رسائل بيت العفاف 1

المعاشرة والطاعة بالمعروف

إعداد

فهد بن محمد الحميزي
المأذون الشرعي لعقود الأنكحة

254.1
م ف م

... شر والتوزيع

ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف : ٢٤٤٦٠٢٣

المعاشرة والطاعة بالمعروف

رسالة إلى كل زوج وزوجة

إعداد

فهد بن محمد الحميزي

المأذون الشرعي لعقود الأنكحة

دار الصميعي للنشر والتوزيع
الرياض . شارع السويدي العام

ح فهد بن محمد الحميزي ، ١٤٢٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحميزي ، فهد بن محمد
المعاشرة والطاعة بالمعروف : رسالة إلى كل زوج وزوجة / فهد بن محمد الحميزي - الرياض ، ١٤٢٧هـ
٣٢ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم (سلسلة بيت العناف : ١)
ردمك : X - 618 - 52 - 9960

١- الزواج ٢- العلاقات الزوجية
٣- الوعظ والإرشاد أ- العنوان

ديوي ٢١٢,٥ ١٤٢٧/١٩٤٩

رقم الايداع: ١٤٢٧/١٩٤٩
ردمك: X - 618 - 52 - 9960

دار الصميعي للنشر والتوزيع

الرياض - السويدي - شارع السويدي العام
ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
هاتف ٤٢٥١٤٥٩/٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مقدمة

الحمد لله القائل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] . وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد :

فإن الإسلام قد حثَّ على الزواج ورغّب فيه ووضح حِكَمَهُ وأحكامه وما فيه من ثمرات وفضائل ، وفي هذه الرسالة أحببت أن أذكر شيئاً من الوصايا لمن أقبل على الزواج ذكوراً وإناثاً ، وهي من باب التذكير لمن نسيها والتعليم لمن جهلها .

فهد بن محمد الحميزي
ص . ب : ٢٠١ الرمز البريدي : ١١٣٦٢
جوال : (٠٥٥٤٤٢٥٤٤٢)
(fahad٤٤٢@maktoob.com)

أولاً : حقها عليك

* صورة مشرقة من بيت النبوة :

عن الأسود قال : سألت عائشة رضي الله عنها :ما كان النبي ﷺ يَصْنَعُ في بيته ؟ قالت : كان يكون في مهنة أهله – تعني خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة . رواه البخاري .

* السعادة في الاختيار الصحيح :

إن مما شرع الله عز وجل من أسباب السعادة وجبل النفوس عليه الارتباط برباط الزوجية ، فإنه من أعظم أسباب السعادة في هذه الحياة ، وحصول الطمأنينة ، والسعادة ، والسكينة ، متى تحقق الوئام بين الزوجين ، وكُتِبَ التوفيق لهما ، ولذا امتنّ الله تعالى على عباده بهذه النعمة فقال : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم : ٢١] .

روى الإمام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا متاعٌ ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة** » .

*** الزواج تاج الفضيلة :**

قال الشيخ بكر أبو زيد ـ وفقه الله ـ : « الزواج صلة شرعية تُبرم بعقد بين الرجل والمرأة بشروطه وأركانه المعتبرة شرعاً ، ولأهميتة قدمه أكثر المحدثين والفقهاء على الجهاد ؛ لأن الجهاد لا يكون إلا بالرجل ، ولا طريق له إلا بالزواج ، وهو يمثل مقاماً أعلى في إقامة الحياة واستقامتها ، لما ينطوي عليه من المصالح العظيمة ، والحكم الكثيرة ، والمقاصد الشريفة ... » .

وقد عظَّم الله تعالى من شأن الزواج ، حتى سماه

بالميثاق الغليظ ، أي العهد الشديد - الوفاء والالتزام القائم على الإمساك بالمعروف أو التسريح بإحسان - فقال سبحانه وتعالى : ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

فاعلم يا أخي أن زوجتك أمانة في عنقك سوف تُسأل عنها يوم القيامة ، قال عليه الصلاة والسلام : «استوصوا بالنساء خيراً » متفق عليه .

وإن تزوجت فكُنْ حاذقاً
واسأل عن الغصنِ وعن منبتهِ
واسأل عن الصهرِ وأحواله
من جيرة وذي قربتهِ

* تبادل الهدية :

تبادل الهدية بين الأزواج سيما هدايا الزوج للزوجة إحدى أسباب غرس المحبة بينهما . قال رسول الله ﷺ : «تهادوا تحابوا» . حسنه الألباني في الإرواء .

* * *

حقوق الزوجة على الزوج

« الـزواج في حقيقـته عبارة عن شركة بين رجل وامرأة من أجل بناء الجيل الصالح ، الذي يعبد ربه ويبني ويعمر الحـياة ، فأصـل الـزواج في الإسـلام هـو حلـول المـودة والألفـة والإيـثار بين اثنين ... ، ومن أجل دوام العشرة بينهما جعل الله تعالى لكل من الرجل والمرأة حقوقاً لدى الآخـر يجـب القـيام بها » [نقلاً عن كتاب خمسون وصية من وصايا الرسول للنساء] .

أولاً : الإحسان في المعاملة والمعاشرة بالمعروف :

الزوجة أمانة عند الزوج ، فيجب عليه إحسان معاملتها قولاً : بكلام حسن وعفّة لسان ، وفعلاً : بمعاملة كريمة . لقولـه تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ، وقول النبي ﷺ : «لا يفـرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خُلقاً رضي

منها خلقاً آخر » أخرجه مسلم .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه في الحديث المتفق عليه عن النبي ﷺ أنه قال : «استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهله » صححه الألباني .

ثانياً : صون الزوجة والغيرة عليها واحترامها :

الغيرة على الزوجة أمرٌ فطري في النفوس ، سأل سعد ابن عبادة رضي الله عنه رسول الله ﷺ قال : لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفَح ، فقال النبي ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد ! لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله ، حرم الفواحش ما ظهر

منها وما بطن » . أخرجه البخاري .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه روضة المحبين ، بعد أن ذكر أنواعاً من الغيرة منها المحمود والمذموم : وملاك الغيرة وأعلاها ثلاثة أنواع :

١ - غيرة العبد لربه أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده .

٢ - وغيرته على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه .

٣ - وغيرته على حرمته أن يطّلع عليها غيره .

فالغيرة التي يحبها الله ورسوله دارت على هذه الأنواع الثلاثة وما عداها فإمّا من خدع الشيطان ، وإمّا بلوى من الله كغيرة المرأة على زوجها أن يتزوج عليها.

ثالثاً : إعفاف الزوجة :

وهذا حق مقرّر للزوجة ، ثابت في السنة النبوية ، ففي الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص

رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » فقلت : بلى يا رسول الله . قال : « فلا تفعل ، صم وأفطر ، وقُمْ ونم ، فإنّ لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينيك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه » . فأخبر عليه الصلاة والسلام أن للزوجة على زوجها حقاً ، بل إن هذا الحق يعد أيضاً من أنواع العبادة التي يُثاب عليها الرجل ، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : «وفي بضع أحدكم صدقة» ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدُنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها في حرام ، أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال ، كان له أجر » أخرجه مسلم .

رابعاً : حفظ أسرار الزوجة :

وهذا الحق يعد من الحقوق المشتركة بين الزوجين .

أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من أشرّ الناس منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى المرأة ، وتفضي إليه ، ثم ينشر سرها » .

خامساً : النفقة الزوجية :

قال الله تعالى : ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق :٦] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة :٢٣٣] والآيتان وإن كانتا في إيجاب النفقة للمعتدّة فهي للزوجة التي لم تطلّق أولى وألزم .

وقال الله تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء :٣٤] .

قال الإمام ابن كثير معلقاً على هذه الآية : «﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟

مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أي : المهور والنفقات والكُلَف التي أوجبها الله عليهم لهنّ في كتابه وسنة نبيه ﷺ» .

وعند أبي داود أن النبي ﷺ سُئل عن حق الزوجة فقال : «أن تُطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، ولا تضرب الوجه ، ولا تهجر إلا في البيت» . صححه الألباني .

وعند هذا الحق يتبادر إلى الذهن ما أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها : أن هنداً زوجة أبي سفيان قالت : يارسول الله إن أبا سفيان رجلٌ شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه ، وهو لا يعلم ، فقال : «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » .

وأخرج مسلم أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : « ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف » .

سادساً : احتمال هفوات الزوجة وغضّ الطّرف عنها :

أخي الزوج : ينبغي أن تعلم أنه ليس من سِمَة البشر

الكمال ، بل الأصل في البشر الخطأ والزلل ، ولذلك من الحق والعدل أن تغضّ طرفك عن الأخطاء الصغيرة والهفوات العابرة ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر » . أخرجه مسلم .

فالزوج العاقل الكريم إذاً لا يعاتب زوجته عند أدنى هفوة ، ولا يؤاخذها بأول زلّة ، بل يلتمس لها المعاذير ، ويحملها على أحسن المحامل ، ومن ثمّ يقدم لها النصح بقدر المستطاع .

سابعاً : تعليمها أمور دينها :

قال الحق سبحانه : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [مريم :٢٠] . قال ابن كثير في تفسير الآية : «أي : استنقذهم من عذاب الله بإقام الصلاة واصبر أنت على فعلها .

روى مسلم في صحيحه : أن النبي ﷺ إذا أوتر يقول :

« قومي يا عائشة » .

وفسّر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى : ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ بقوله : اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار .

وكان ﷺ يعلم نساءه أمور دينهن ، وزوّج رجلاً من الصحابة امرأة على ما معه من القرآن .

ثامناً : العدل بين النساء إن كن أكثر من واحدة :

والأصل في هذا الحق قوله تعالى : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ- : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين ، الذين

يعدلـون في حكمهـم وأهلـيهم ومـا وُلُـوا » . صـححه الألباني في الجامع الصغير .

وجاء في الطبقات لابن سعد ـ وأصله في البخاري ـ : أن النبي ﷺ كان يُطاف به محمولاً في مرضه كل يوم وكل ليلة فيبيت عند كل واحدة منهن ويقول : «أين أنا غداً؟» ففطنـت لذلـك امـرأة مـنهن فقالـت : إنما يسأل عن يوم عائشـة . فقلـنا : يـا رسول الله : قد أذنّا لك أن تكون في بيت عائشـة ، فإنـه يشـق علـيك أن تُحمل في كل ليلة ، فقال : « وقد رضيتن ؟ » فقلن : نعم ، قال : « فحولوني إلى بيت عائشة » .

* تذكّـر :

تذكـر أيها الزوج قول المصطفى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الحديـث المتفق عليه : « إن أحق الشروط أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج » .

* العلاقة بذوي القربى :

على الزوج القدوة أن يحرص على احترام أسرة الزوجة وإكرامها وخاصة والديها بحيث يشعرون وكأنه ابنهم وذلك بجانب بره وإحسانه لأسرته وخاصة والديه ، قال الله تعالى : ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء :٣٦] الآية .

* قيل :

- أنت تسب امرأتك إذا امتدحت امرأة أخرى أمامها .

- الزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ .

* حذاري !!

احذر أخي الزوج أن تكون من الناس الذين هم داخل بيوتهم من أفظ الناس وأغلظهم ، وهم خارجها من ألطف الناس وآنسهم .

ثانياً : حقه عليكِ :

*** الزوجة الحكيمة :**

إن الزوجة الحكيمة فعلاً هي التي تنصر الزوج على نفسه ، فتذكره بالله دائماً وذلك طمعاً في إستمرار السعادة الأسرية ، كما كانت نساء الصحابة – رضوان الله عليهن – يقلن لأزواجهن عند الخروج من البيت : «بالله عليك لا تدخل علينا حراماً ، واتق الله فينا » .

*** الاحترام المتبادل :**

ما أجمل أن يكون الاحترام المتبادل بين الزوجين قائماً على الدوام ، وأن يكون عن طيب خاطر وراحة نفس .

والواجب عليكِ احترامك زوجك والاعتراف له بالقوامة وعدم منازعته في الاختصاصات التي يجب أن ينفرد بها ، وإنزاله منزلته التي أنزله الله إياها ، من كونه رب الأسرة وسيدها وحاميها والمسؤول الأول عنها .

ولله دَرُّ أمّ هانـئ حين خطبها النبي ﷺ فأبت ، لا لعدم رغبتها أو موافقتها ، بل لانشغالها وهي أم أطفال صغار ، أن يطغـى أحـد الواجـبين عـلى الآخر : واجب الزّوج ، وواجب الأطفال .

*** كوني له أرضاً يكن لكِ سماءً :**

أخـتي المسلمة ! اقرئي وصية أسماء بنت خارجة امرأة عـوف الشيباني ، إلى ابنتها قبل زفافها ، تجدي فيها كلمةً جامعـةً لأصول المعاملات الزّوجية ، والآداب التي يجب أن تتحلى بها كل فتاة مقبلة على الزّواج .

تقول أسماء لابنتها :

« أي بُنـية ! إن الوصـية لو تُركت لفضلِ أدبٍ لتركتُ ذلك منك ، ولكنّها تذكرةٌ للغافل ، ومعونةٌ للعاقل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزّوج لغنى والديها وشدة حاجتها إليها كنتُ أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرّجال خُلِقنَ،

ولهنّ خُلِقَ الرجالُ .

أي بُنيّة ! إنّك تفارقين بيتك الذي منه خرجتِ ، وتتركين عشّكِ الذي فيه درجتِ ، إلى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضاً يكن لك سماءً ، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً ، وكوني له أَمَةً يكن لك عبداً ، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً .

- **أما الأولى والثانية :** فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة .

- **وأما الثالثة والرابعة :** فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينُهُ منكِ على قبيح ، ولا يشم منك إلا أطيب ريح .

- **وأما الخامسة والسادسة :** فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة .

- **وأما السابعة والثامنة :** فالاحتراس بماله ، والادعاء على حشمه وعياله، فملاك الأمر في المال حسن التقدير ،

وفي العيال حسن التدبير .

- **وأما التاسعة والعاشرة :** فلا تعصين لـه أمراً ولا تفشين لـه سراً ، فإنكِ إن خالفتِ أمرَهُ أوغرت صدره ، وإن أفشيت سرَّه لم تأمني غَدرَهُ .

ثم إيـاكِ والفرح بين يديهِ إن كان تَرِحاً ، أو التَرحَ بين يديه إن كان فرحاً ، فإن الخصلة الأولى من التقصير ، والأخرى من التكدير .

وكونـي ما تكونين له إعظاماً ، يكن أشد ما يكون لك إكراماً ، وأشدَّ ما تكونين له موافقةً ، يكن أطول ما يكون لك مرافقةً ، واعلمي أنك لا تصلين إلى ما تُحبين حتى تؤثري رضاهُ على رضاكِ ، وهواهُ على هواكِ ، فيما أحببتِ أو كرهتِ ـ والله يخيرُ لكِ .

فما أجمل أن تزود كلُّ أمٍّ عاقلةٍ ابنتها بمثل تلك الآداب القيمة والنصائح النيرة ، والتي حوت حقوق الزوج برمتها .

*** حقوق الزوج على الزوجة :**

أولاً : الطاعة بالمعروف :

والمراد بالمعروف : ما أقره الشرع وأمر به ، فهي تطيعه في غير ما نهى الله عنه . قال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] وقال سبحانه : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء : ٣٤] .

بل اعلمي أختي المسلمة أن رفضكِ طاعة زوجك يعرضك لغضب الله تعالى ولعنته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : « **إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فأبت أن تجيء ، فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح** » متفق عليه .

واسمعي إلى ما قال ابن الجوزي – رحمه الله – بهذ الصدد قال : « وينبغي للمرأة العاقلة إنْ وجدت زوجا يلائمها ، أن تجتهد في مرضاته ، وتتجنب كل ما يؤذيه ، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه أوجبت ملالته ، وبقي ذلك في نفسه ، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر عليها ، فإنّه قد يجد وقد لا تجد هي ، ومعلومٌ أنَّ الملل للمستحسن قد يقع ، فكيف للمكروه » اهـ.

ثانياً : القرار في المنزل وترك الخروج منه إلا بإذن الزوج :

قال الله تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب : ٣٣] وهذا وإن كان خطاباً لنساء النبي ﷺ فهو إرشاد لبقية نساء الأمة بالتأسي بهن ، والتأدب بآدبهن .

ثالثاً : صون العرض والمال :

لقولـه ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «والمرأةُ راعيةٌ في بيت

زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها » أخرجه البخاري .

رابعاً : خدمة البيت :

والدليل على المطالبة لخدمة الزوج في البيت ما ذكره ابن القيم – رحمه الله – في كتابه الزاد من أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قسم الأمر بين علي وفاطمة رضي الله عنهما ، حين اشتكيا إليه الخدمة ، فحكم على فاطمة بالخدمة الباطنة (أي الخدمة داخل البيت) وحكم على علي بالخدمة الظاهرة (أي خارج المنزل) .

خامساً : التزين للزوج :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنا مع النبي ﷺ في غزوة ، فلما قدِمنا ذهبنا لندخل ، فقال : **«أمهلوا حتى ندخل ليلاً – أي عشاءً – لكي تمتشط الشَّعِثة ، وتستحد المُغيبة »** . رواه البخاري ومسلم .

سادساً : مراعاة مشاعر الزوج :

عليك أن تبتعد عما يؤذيه من قول أو فعل أو خلق ، وعليك كذلك مراعاة ظروفه المالية والاجتماعية .

قال الشاعر :

إنك إن كلفتني ما لم أطق
ساءك ما سرَّك مني من خُلُق

سابعاً : حفظ أسرار الزوج وعدم إفشاءها :

وهذا الحق يعد من الحقوق المشتركة بين الزوجين ، قال الله تعالى : ﴿ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء :٣٤] فسر بعض المفسرين قوله ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ أنهن الحافظات بما يجري بينهنّ وبين أزواجهن مما يجب كتمه ويتحتم ستره من بواطن وأسرار ، وفي الحديث : «إن من شر الناس منزلة

عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه » .

* قصّـة :

ذهبت أم كلثوم بنت جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهـي ابنة خمس سنين ، في حاجة إلى أمير المؤمنين عمر بـن الخطـاب – رضـي الله عـنه – وكان ثوبها يجر ورائهـا شـبراً أو يـزيد ، فأراد عمر – رضي الله عنه –أن يمازحهـا ، فـرفع ثوبها حتى بدت قدماها ، فقالت : مَه ، أما لو لم تكن أمير المؤمنين لضربتُ وجهك !!

* فتــوى :

سـئل الشـيخ عبد العزيز بن باز – رحمه الله – عن ما يسمى (بدبلة الخطوبة) ؟

فأجـاب : لا يجـوز التخـتم بالدبلة لأنه تشبّه بالكفار ، فقد جاءت هذه العادة من الكفار، وكما جاء في الحديث:

« مـن تشبه بقوم فهو منهم » . أخرجه أبو داود وصحح الألباني

*** ذكـرى ..**

تذكـري أختي المسلمة قول النبي ﷺ : لما عرضت عليا النار ورأى أكثر أهلها النساء ، فقال : « **رأيت أكثر أهله النسـاء** » قـالوا : بم يـا رسـول الله ؟ قـال : « **يكفرن** » . قـيل: يكفـرن بالله ؟ قال : « **يكفرن العشير**[(١)] ، ويكفرن الإحسـان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط» . رواه البخاري.

*** كوني لبقة :**

اللّـباقة تعني بكل بساطة : الكلمة المناسبة ، ورد الفعل الذكي .

---

(١) أي الزوج .

أو بعبارة أخرى : أن المرأة اللَّبقة هي التي تُلبس لكل حال لبوسها ، وتستطيع أن تحول الموقف المضاد بذكاء الكلمة والفعل إلى صالحها .

ومما نقش في ذاكرة التاريخ مما يدل على لباقة بعض النساء : أن خالد بن يزيد بن معاوية وقع يوماً في عبد الله ابن الزبير منافس بني أميّة اللدود ، وأقبل يصفه بالبخل ، وكانت زوجته رملة بنت الزبير أخت عبد الله بن الزبير جالسة فأطرقت ولم تتكلم بكلمة ، فقال لها خالد : ما لك لا تتكلّمين ؟! أرضىً بما قلتُه أم تنزّهاً عن جوابي ؟! فقالت : لا هذا ولا ذاك ، ولكن المرأة لم تخلق للدخول بين الرجال ؟ إنما نحن رياحين للشمّ والضّم ! فأعجبه قولها ورجاحة عقلها .

* أخيّة :

احذري الصفات غير المرغوبة لدى الزوج ، واحرصي

على تقديره وتوقيره ،جاء في تفسير ابن الجوزي ع قوله تعالى : ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] قالت ابنة سعيد بن المسيِّب: «ما كنا نكلم أزواجنا إلا ك تكلمون أمراءكم .. » .

فهل لك في ابنة ابن المسيب أسوة ؟! .

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : وينبغي للمرأة أ تصبر على أذى الزوج كما يصبر المملوك .

قال بعض العرب : لا تنكحوا من النساء ستة :

« لا أنّانة ، ولا منّانة ، ولا حنّانة : (وهي التي تحن إلى زوج آخر)، ولا حداقة : (وهي التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه وتكلف الزوج شراءه) ، ولا برّاقة : (وهي التي تكون طوال النهار في تزيين وجهها ليكون برّاقاً) ، و لا شدّاقة : (وهي كثيرة الكلام) » .

* من كنوز الحكم :

قيل : المرأة الجميلة تملك القلوب ، لكن المرأة الفاضلة تسرق العقول .

قيل : رُبَّ جميلة بدون دين يصونها جرَّت على أسرتها الويلات .

قيل :

جمالُ الوجْهِ مع قبحِ النفوسِ

كقنديـلٍ على قبرِ مجوسـي !

قيل : قال عبد الله بن جعفر لابنته : يا بنية إيّاكِ والغيرة ، فإنها مفتاح الطلاق ، وإيّاكِ والمعاتبة ، فإنها تورث الضغينة .

قيل : ثلاثة أشياء تسقط قيمة المرأة : حبُّ المال ، والأنانيَّة ، وحبُّ السيطرة . وثلاثة ترفعها : التضحية ، والوفاء ، والفضيلة .

قال رجل للحسن : فمن أزوِّج ابنتي ؟ قال : ممن يتقي الله ؛ فإن أحبها أكرمها ، وإن أبغضها لم يظلمها .

* وأخيـــراً :

أخـي الزوج : لتقف قليلاً مع نفسك بعد أن أصبحت رباً لأسـرة وعلى عتبة مرحلة جديدة في حياتك .. لا بد أن تكـون واعـياً لحجم ومقدرات الأمانة والمسؤولية التي صرت مكلفاً بها .

أخـي الزوج : لئن كنت بالأمس وحدك فالآن أتى من يشـاركك ، ولـئن كنـت في الماضـي تفكـر لنفسك فالآن تفكـر لـك ولغـيرك ، ومنذ العقد وإلى أن تخلوا بزوجتك لـيلة الـزفاف فإنه يحدوك الأمل المشرق والمستقبل الباسم في السعادة .. فخذ بزمام الأمر ، وابحث عنها في مظانها .

* * *

نبض الكتاب

قيل : الزوج الصالح أبٌ بعد أبٍ .

قال رجل للحسن : فمن أزوج ابنتي ؟

قال ممن يتقى الله ؟ فإن أحبها أكرمها ،

وإن أبغضها لم يظلمها .

قيل : المرأة الجميلة تملك القلوب لكن المرأة

الفاضلة تسرق العقول .

قيل : ثلاثة أشياء تسقط قيمة المرأة :

حبُّ المال ، والأنانيَّة ، وحبُّ السيطرة ،

وثلاثة ترفعها : التضحية ، والوفاء ،

والفضيلة .

(بيت العفاف) موقع متخصص في أصول المعاملات الزوجية ،
برؤية شرعية ، وطرح عصري .. زورونا على موقعنا
www.homizi.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع
الرياض - السويدي - شارع السويدي العام - ص.ب ٤٩٦٧ الرمز البريدي ١١٤١٢
هاتف ٤٢٥١٤٥٩/٤٢٦٢٩٤٥ فاكس ٤٢٤٥٣٤١

ردمك 9960-52-618-X

مطبعة النرجس: ت: ٢٣١٦٦٥٣ ف: ٢٣١٦٨٦٦

254.
م م ل

سلسلة الأمن والسلامة والصحة المهنية (٤)

٢٥٤،١
م م ل

لماذا لا تُزوجها ؟

المؤلف
محمد بن علي المطوع

ⓒ محمد بن علي المطوع ، ١٤٢١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المطوع ، محمد بن علي
لماذا لاتتزوجها؟. ـ الرياض.
٢٤ص ، ١٢×١٧سم
ردمك : ٥-٣٨٦-٣٨-٩٩٦٠
١- الزواج ٢- العنوسة أ- العنوان
ديوي ٢٥٤,١ ٢١/٢٨٨٦

رقم الإيداع: ٢١/٢٨٨٦
ردمك : ٥-٣٨٦-٣٨-٩٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهــــــــــداء

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(إذا مـات ابـن آدم انـقـطـع عـمـلـه إلا مـن ثلاث : صدقـة جـاريـة، أو عـلـم يـنـتـفـع به، أو ولـد صالح يـدعو لـه)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تـعالى لا يقبل مـن الـعـمـل إلا ما كان خـالـصـا, وابـتـغـي بـه وجـهـه)

إلى كـل العـاملين بـإخلاص في الظـاهر والباطـن لـتـحـقـيـق رفـعـة وحمايـة الـدين والمـقـدسات والأمة المسلمة وأوطانـها.

إلى كل من آلمته حرارة المعصية ودمعة الحـزن والأسـى والحرمان , إلى كل من أراد الخـروج بـنـفـسـه ومـجـتـمـعـه من قـهر الظـلم و شـنـاعـة الـجـريـمـة الخـلـقـيـة...

أهـدي هـذا الـجـهـد المتـواضـع.

قال الله سبحانه وتعالى :" ولا تقف ما ليس لك به علـــم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا "[1] .

قال الله سبحانه وتعالى: " أفرأيت من أتخذ إلاهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعـــل علـــى بصـــره غشاوة فمن يهديه من بعد الله آفلا تذكرون "[2].

قال الله سبحانه وتعالى: " اليوم نختم على أفواههم وتكلمنـــا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكســـبون. ولـــو نشـــاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون. ولـــو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فمـــا اســـتطاعوا مضيـــاً ولا يرجعون. ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون "[3]

قال الله سبحانه وتعالى: " ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون. حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصـــارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا

---

[1] سورة الإسراء: الآية ٣٦.

[2] سوره الجاثية: الآية ٢٣.

[3] سورة ياسين: الآية ٦٥-٦٨

قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهـــو خلقكـــم أول مرة وإليه ترجعون "[4]

قال الله سبحانه وتعالى " وما كـــان لمؤمـــن ولا مؤمنـــة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم "[5]

قال الله سبحانه وتعالى " والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنـــات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا "[6]

قال رسول الله ﷺ (لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذيـــن ماتوا ، إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله مـــن الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه ، إن الله أذهب عنكم عبيـــة الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شـقي ، الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من الـــتراب)[7] وقـــال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[8]

---

[4] سورة فصلت: الآية ١٩-٢١

[5] سورة الأحزاب: الآية ٣٦

[6] سورة الأحزاب: الآية ٥٨

[7] (صحيح) الجامع الصغير ٥٤٨٢ [8] (صحيح)البخاري ومسلم

المقدمة

إن هذا الموضوع الإنساني الأخلاقي المهم والخطير والـــذي بكت من هولـه العيون وتـمزقت مـن اجلـه القلـوب وتفاعلت واحترقت له العواطف وجاش له الوجدان بالكثير من القصص والعبر على مدار السنون والأيام ، مـن قتـل للأرواح وتدمير للأخلاق واختلاط في الأنسـاب وكـثرة لأبناء الزنا وضياع للترابط والتراحم الأسري الإسـلامي ، قال الله سبحانه وتعالى"وأنكحوا الأيامى منكم والصـالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضلـه والله واسع عليم "[٨] أخي المسلم أختي المسـلمة يـا مـن شهدت بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا فأنت المسـئول عـن هـذه المخـالفـات وأسبابـها بطريق مباشر أو غير مباشـر علمـا بأنـك

[٨] سورة النور الآية ٣٢

لاترضاها لنفسك في يوم من الأيام أخي الحبيب قال الله سبحانه وتعالى (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون)[9] إن الله سبحانه وتعالى خلقنا من نفس واحدة ثم تفرع بأمره سبحانه وتعالى من ذلك الجنسين الذكر والأنثى وأوجد فيهما ما يرغب أحدهما في الآخر لتستمر هذه الحياة ويكثر النسل بالسبل الشرعية الشريفة النقية العفيفة الطاهرة فلماذا أخي الحبيب المسئول عن من ولاك الله أمرها من أخواتنا المسلمات من أم أو أخت أو بنت أو يتيمة أو غير ذلك ، قد أصبحت السبب والحاجز المنيع بينهن وبين الزواج الحلال وحرماهن من زهرة الحياة الدنيا من بنين وبنات وعشرة ومؤانسة زوجية رحيمة وبذلك فانك قد أجرمت في حق شرعي قد أوجبه الله سبحانه وتعالى لهن فهل غفلت أو تغافلت عن

---

[9] سورة الروم الآية ٢١

الحساب في الدنيا و الآخرة ؟ وهل الأسـباب والأعـذار الدنيوية والعادات الباليه والعنصرية المقيتة والأفكار الدخيلة على أهل الإسلام كافية لك أمام الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟ أخي الحبيب رعـاك الله إن الـزواج الشرعي من هدي الأنبياء والمرسلين فمن خالفه أو كرهـه أو رغب عنه فقد خالف القرآن الكريم والسنة المطـهرة قـال النبي صلى الله عليه وسلم (أمـا والله إني لأخشـاكم لله ، وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتـزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١٠] وقال صلى الله عليه وسلم (حبب إلي من دنيـاكم النسـاء والطيـب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة)[١١] وقال صلى الله عليه وسـلم (تزوجـوا الودود الولود فإنـي مـكـاثـر بـكـم الأمـم يـوم القيامة)[١٢]

---

[١٠] البخاري ومسلم (صحيح) الجامع الصغير ١٣٣٦

[١١] النسائي واحمد (صحيح)

[١٢] أبو داود والنسائي وأحمد (صحيح)

قال الله سبحانه وتعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله...)[13] قال الرسول صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا)[14] وقال عليه الصلاة و السلام (اللهم أني أحرج حق الضعيفين: (اليتيم والمر أه)[15] و قال الرسول صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي)[16] فهل نقتدي جميعا بالحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في جميع حياتنا و معاملاتنا ونتغلب على هواء النفس وشهواتها وملذاتها وخطوات الشيطان ؟.

---

[13] سورة الروم الآية ٣٠

[14] البخاري ومسلم (صحيح)

[15] احمد وابن ماجة (حسن)

[16] ابن ماجة (صحيح) الجامع الصغير ٣٣١٤

ومن أهم أسباب حرمان المرأة من الزواج ما يلي:

١-الطمع والجشع في أكل رواتب الموظفات.

٢-إجبارها على تكميل دراستها مهما بلغ سنها وذلك للسمعة والرياء وغير ذلك.

٣-حرمانها حتى تكون خادمة له في بيته ومربية لأبنائه أو عند تجارته أو مزرعته أو عند غنمه وماشيته.

٤-حرمانها لأنه يريد مهراً مبالغاً فيه وكأنه بيع لا زواج شرعي.

٥-حرمانها لتكون طعماً لكل من يتقدم إلى خطبتها من تقديم الهدايا وجميع أنواع الخدمات وكثرة الوعود الكاذبة له بزواج فإذا اعرض جاءه آخر وهكذا ....

٦- دعوى أنه لم يتقدم الرجل المناسب و الكفء والمقتدر ماديا وغير ذلك.

٧-دعوى انه لابد من زواج البنت الكبرى ثم الصغرى بالترتيب علماً بأن الكبرى قد تكون تجاوزت العمر المناسب وبذلك يحرمهن جميعا من الزواج.

٨- رفض تزويج الزوج المتزوج والذي

عنــده أولاد. (أي رفـــــــــض التـــعـــدد).

٩-إعراض الفتاة نفسها عن الـــزواج بحجــة الدراســة ثم التخـــرج والعمـــل لتـــأمين المســـتقبل ومـــا علمــــت "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين "[١٧] ومن ثم تصبح في عمر غير مرغوب للزواج وبذلك تفقد أمومتها في طفل يداعـــب وجداها وينـــادي عاطفتـــها (يـــا أمـــي الحبيبـــــة).

١٠- التقليد الأعمى للمجتمعات غير المسلمة أو الانفتاحية والتي لا تقيم لشريعة الإسلامية أي اعتبار (دعـــاة التحرر).

١١-فساد الأم أخلاقيا ثم جر ذلك إلى بناها فيتم الأعراض عنهن لأهن فاسدات مفسدات كالأمراض المعدية والخطـيرة.

١٢- انعـــدام قوامـــة الأب أو مـــن يحـــــل محلـــه.

١٣-انعدام الغيرة وديـــاثـــة الأبـــويـــن ومـــن اعظـــم مســـببات انعـــدام الغـــيرة ، المخـــــدرات بأنواعـــــها والأغـــــاني والأفـــلام والقنـــــوات الجنســـــية.

---

[١٧] سورة الذاريات الآية ٥٨

١٤-التمسك بعادات الجاهلية من حجر بنت العم أو القريبة وغيرها حتى يفوتها قطار الزواج وحرمانها من حقها الشرعي.

١٥-فساد أحد أقرباء المرأة مما يتسبب في إعراض الخطاب عنها (مثل أن يكون أبوها أو أخوها مروج مخدرات أو غير ذلك).

١٦-الانتقام منها ! فإنه لا يحب لها الخير (مثلا بحجة أنها لا تسمع أوامره أو أن تكون أخته من امرأة أخرى أو غير ذلك).

أخي المسلم هل سألت نفسك يوما عن حرمان من وليت أمره ، يا من ترجو لقاء الله وما عنده من النعيم لا تخن أمانتك التي أأتمنك الله عليها وكنت مسئولا عنها، أنني أخاطب فيك إسلامك وإيمانك وإحسانك لماذا تكون السبب في هذا الظلم أو معين عليه وأنت لا ترضاه لنفسك الست بشرا ولديك شهوة ولديك ما لديك فعليك أن تعلم إنهن أعظم حبا لذلك منك، من حنان ومعاشرة وإنجاب فعليك بتقوى الله ومراقبته في الظاهر

والباطن ولا تخن الأمانة وتضيع الجواهر المصونات العفيفات وتكون السبب في حرمانهن و إفسادهن لا قدر الله ، كن رحيما عطوفا وعونا لهن على طاعة الله أولا ثم البحث عن الزوج الصالح لسترها ثانيا الذي إن رغب فيها أكرمها وان اعرض عنها لم يحرمها ولم يظلمها قال الله سبحانه وتعالى (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان)[18] فيا أخي الحبيب الحذر الحذر والخطر الخطر من أن تقابل ربك يوم القيامة وأنت السبب في حرمانها وعذابها في الليل وقهرها في النهار وفي كل المناسبات كيف بها إذا رأت طفلا صغيرا تداعبه أمه ، أو أن تكون السبب في ما تقترفه من العار والفضيحة والذنوب والآثام فإن الصبر شأنه عظيم وتأثيره على النفس كبير ولا يستطيع الكثير منا الصبر إلا من رحمه الله خاصة في هذه الأزمنة

---

[18] سورة البقرة الآية ٢٢٩

المتأخرة التي تـهيأ فيها الكثير من المغريات والفـتن الـتي لا تعد ولا تحصى من وسائل إعلاميـة ودعاءيـه وقنـوات فضائية و أفلام وأغاني وإنـترنت بأنواعـها وتوجهاتـها وأهدافها ووسائل الاتصـالات والمواصـلات وقـرناء السـوء و كذلك الدور الحيـوي لأنـواع الملبوسـات والمشروبـات والمأكولات و العطورات والإكسسـوارات ومساحيق التجميل وغير ذلك الكثير والكثير. فمـا هـو دورك أخي الحبيب؟ إنني لأعجب أشـد العجـب !! أمـا سـمعـت الكثير من القصص الـتي تجعـل الـرأس في الأرض وتبدل العزة مهانة وتجلب المشاكل الكبيرة والتعاسة والانطواء فيجب عليك أن تسعى إلى الخير ما اسـتطعت إلي ذلك سبيلا وابتعد عن الشـر وأسبابه بكل ما هـيأ الله لك من قـوة وحكمه .

أخي المسلم يا من تـحب لقـاء الله إنـي أحـبك في الله فأهديك هذه النصيحة التي أسأل الله الرحمن الرحيم أن تجـد إلى قلبك المؤمن سبيلا والى فـؤادك مدخـلا والى قـرارك

أمرا رشدا تبرأ به ذمتك وتصدق الله في أمانتك التي أنت محاسب عنها قال الرسول صلى الله عليه وسلم (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[19] إن عين الظالم تنام ولكن عين المظلوم لا تنام ودعوته مستجابة ، أخي الحبيب إني مشفق عليك وعلى من وليت أمره فاستعن بالله سبحانه وتعالى وأنت في الدنيا في دار امتحان واختبار وعمل وفي الآخرة حساب ولا عمل فإما جنة عرضها السماوات والأرض أو نار أعاذنا الله وإياكم منها وجميع المسلمين قال الله سبحانه وتعالى " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد "[20].

---

[19] (الترمذي وابن ماجة وحسنه الألباني)

[20] سورة ق الآية ٣٧

وختــــاما

دعوة صادقة أوجهها إليك أيها الشاب أيها الرجل أمل أمتـه وأمنها ومستقبلها بعد الله سبحانه وتعالى لماذا تعــرض عــن الزواج لماذا لا تتزوج هل تريد أن تتبع عــورات إخوانــك المسلمين وتفسد عليهم نسائهم وبناتــهم إن ذلك الطريــق الشاق والخطر والمظلم يبدأ بمحــارم إخوانــك المســلمين وسوف ينتهي بــمحــارمك أنت فقـــف مــع نفســك وحاسبها قبل أن لا ينــفع النــدم وتصبح الخسارة أعظــم وأعــم في الدنيا والآخرة قال الله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنــما يؤخرهم ليوم تشــخص فيه الأبصار)[٢١] أخي الحبيب الغيور إن الأعذار الواهية مــن غلاء المهور وغير ذلك ، قد تتغلب على كل ذلك بــإذن الله ثــم بتوجيه انتبــاهــك إلى طــلب الــحـــــلال والعمــل من أجلــه والفرص أمامك كي تعــف نفســك

[٢١] سورة إبراهيم الآية ٤٢

وتكون نواة لأسرة مسلمة صالحه تسبح الله وتعبده وتكـون مصدر خير لك بعد وفاتك قال الرسول صلـــى الله عليــه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عملـــه إلا مـــن ثـــلاث: صدقـــة جاريه، أو علـــم ينتفـــع بـــه ، أو ولـــد صـــالح يدعوا له)[٢٢]ومن هذا المنطلق تكسب وتفوز بـــخـــيري الدنيا والآخرة وتتمتع بالحـــلال في الدنيا وبالحور العـــين في الآخرة فسر على بركة الله وهـــديه وحفظـــه لـــك في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العـــالمين.

الفقير إلى عفو ربه غفر الله
له ولوالديه وللمسلمين أجمعين
مـــحمد بن علي المطوع

الرياض ١١٣٦٣
ص.ب ١٩٨

---

[٢٢] البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي (صحيح)

المراجـــــع

القرآن الكريم

صحيح البخاري رحمه الله

صحيح مسلم رحمه الله

سنن أبو داود رحمه الله

سنن الترمذي رحمه الله

سنن ابن ماجة رحمه الله

سنن النسائي رحمه الله

صحيح الجامع الصغير (الألباني رحمه الله)

كتيب الزواج دار الوطن حفظهم الله

وقــفات حره للشيخ/ عثمان السعيد حفظه الله

الـفـهـرس

٤- الإهـــداء

٧-المقدمة

١١- من أهم أسباب حرمان المرأة من الزواج.

١٧- الخاتمة

١٩-المراجع

صدر للمؤلف

١-دليل الأمن والسلامة والصحة المهنية

٢-الخطر على العيون ومن العيون

٣-مختصر الرسالة في أشراط الساعة

٤-قاتل الأخلاق حكمه وأسبابه وعلاجه

تطـلـب مؤلـفاتـنـا مـــن:

مؤسســة الجريسي للتوزيـــع

الريــــــاض ٤٠٢٢٥٦٤

ص.ب ١٤٠٥ الرياض ١١٤٣١

ار.س

الحمد الله الواحد الذي خلق فسوى وشرع فأوفى وأنار الطريق لمن أراد به الهدى وجنة الخلد ونعيم لايبلى وخلق الزوجين الرجل والأنثى وجعل بينهما مودة ورحمة وتألفاً وتعاضداً وشرع لكل واحد منهما منهجا مثاليا يتلائم مع تركيبه الجسمي والفكري والأخلاقي والسلوكي في هذه الحياة الفانية التي هي مزرعة للآخرة ، فأصبح كل منهما محاط بسياج الأمن والأيمان والسلامة والأسلام قال الله سبحانة وتعال (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم (كلكم لآدم وآدم من تراب) وأصاب القائل

(الناس للناس من بدو وحاضرة

البعض للبعض وان لم يشعروا خدموا)

المؤلف

دار طيبة للنشر والتوزيع
128379
SR1.00

ردمك : ٥-٣٨٦-٣٨-٩٩٦٠

مطبعة دار طيبة - الرياض - ت: ٤٢٨٣٨٤٠

التحذير

من الزواج بالمحارم من الرضاع
وحكم رضاع الكبير

٢٥٤.
س ت

تأليف
عبد الرحمن سمير أحمد الصباع

للنشر والتوزيع

التحذير
من الزواج بالمحارم من الرضاع
وحكم رضاع الكبير

جمع وترتيب

سمير بن أحمد الصباغ

(أبو عبد الرحمن)

الصديق

٢٠ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

ت: فاكس ٠٠٢٠٢٥١٤٤٠٨٦ ـ محمول ٠١٠١٢٢١٧٧٤

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١/ ٢٠١٠

رقم الإيداع

٤٤٥٩/ ٢٠١٠

الترقيم الدولي

٩٧٨ـ٩٧٧ـ٤١٢ـ٠٤٢ـ٨

أبو بكر الصديق

٢٠ درب الأتراك خلف جامع الأزهر

ت : فاكس ٠٠٢٠٢٢٥١٤٤٠٨٦ ـ محمول ٠١٠١٢٢٢١٧٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

فهذا بحث مختصر فى أحكام الرضاع، أعددته لخطبة الجمعة بمسجد التوحيد بسنديون فأشار علىّ بعض إخوانى أن أنسخ هذا البحث وتعم فائدته لمن أراده.

فاستعنت بالله على ما أشاروا به علىّ وقدمت له بهذه المقدمه التى هى خطبة الحاجة التى كان يبدأ بها النبى ﷺ خطبه وحديثه، وبخاصة بأن

أحكام الرضاع من الأحكام المهمة التى نسيها كثير من الناس وجهلوا أحكامها حيث يترتب عليها حل فرج من عدمه، وبخاصة بعد أن عمّت البلوى بانتشار الكثير من حالات الزواج بين المحارم من الرضاع بسبب الجهل بهذه الأحكام.

فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا البحث نافعاً لعباده المؤمنين.

وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم. وأن يرزقنا والمسلمين العلم النافع والعمل الصالح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أبو عبدالرحمن

سمير بن أحمد الصباغ

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

باب (يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)

روى الترمذى عن علىٍّ بن أبى طالب قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم من الرضاع ما يحرم من النسب» (ت ١١٤٦ ـ الرضاع) (صحيح)

روى الترمذى وابن ماجه والشيخان عن عائشة قال رسول الله ﷺ: «إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من الولادة» (صحيح) (ت ١١٤٧ ـ جه ١٩٣٧).

قال القرطبى رحمه الله: (فى الحديث دلالة على أن الرضاع ينشر الحرمة بين الرضيع والمرضعة وزوجها، يعنى الذى وقع الإرضاع بين ولده منها، أو السيد فتحرم على الصبى لأنها تصير أمه وأمها جدته فصاعداً. وأختها لأنها خالته وبنتها لأنها أخته وبنت بنتها فنازلاً لأنها بنت أخته، وبنت صاحب اللبن لأنها أخته وبنت بنته فنازلاً لأنها نبت أخته، وأمه فصاعداً لأنها جدته، وأخته لأنها عمته.

ولا يتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع. فليست أخته من الرضاعة أختاً لأخيه ولا بنتاً لأبيه إذ لا رضاع بينهم.

والحكمة فى ذلك أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءاً من أجزاءهما، فانتشر التحريم بينهم بخلاف قرابات الرضيع لأنه ليس بينهم وبين المرضعة ولا زوجها نسب ولا سبب.

قلت والمحرمات من النسب سبع: الأم وإن علت، والبنت وإن نزلت، والأخت، وبنت الأخت، وبنت الأخ، والعمة والخالة. فكذلك فى الرضاع. والله أعلم. لقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ

وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ ﴾.

(الأب من الرضاع والأم من الرضاع)

لو أن طفلاً رضع من امرأة صارت هذه المرأة أمًا له من الرضاع وصار زوجها أبًا له من الرضاع. وتثبت بينهم من الحرمة كل ما يثبت بين الابن الصلبي وأمه وأبيه.

** وقد سئلت اللجنة الدائمة في الفتوى رقم (١٨٨٩٩):

س١: رجل له ابن من الرضاع فهل يعتبر الأب محرمًا لزوجة ابنه من الرضاع أم لا؟.

الجواب: زوجة الابن من الرضاع مثل زوجة الابن من النسب كل منهما تحرم على أبي الزوج من نسب أو رضاع لقول النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» لكن يشترط في الرضاع أن يكون في الحولين. وأن يكون خمس رضعات فأكثر وعليه فإنه يعتبر محرمًا لها.

س٢: رجل له زوجة فهل تعتبر أم زوجته من الرضاع من محارم هذا الرجل أم لا، مع العلم أن الرضاع مستوفي شروطه كاملة في السؤالين حسب نص الشرع؟

الجواب: تحرم أم الزوجة من الرضاعة كما تحرم أم الزوجة من النسب لقول النبي ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» وعليه فيكون محرماً لأم زوجته من الرضاع. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(تحريم ابنة الأخ من الرضاعة)

١ ـ روى مسلم عن عليٍّ بن أبى طالب قال: قلت: يا رسول الله ما لك تنوق فى قريش وتدعنا؟ فقال، وعندكم شىء؟، قلت: نعم: ابنة حمزة. فقال: «إنها لا تحل لى، إنها ابنة أخى من الرضاعة».

٢ ـ وفى مسلم عن ابن عباس بزيادة (ويحرم من الرضاعة ما يحرم من الرحم) ص: ١٤٤٧.

٣ ـ وفى رواية لمسلم عن أم سلمة قالت: قيل لرسول الله: أين أنت يا رسول الله عن ابنة حمزة؟

أوقيل: ألا تخطب بنت حمزة بن عبدالمطلب؟.

قال: «إن حمزة أخى من الرضاعة» ص: ١٤٤٨.

تَنَوَّقُ: أى تختار، و تميل.

قال الحافظ فى الفتح (٩/ ٤٥): قال مصعب الزبيرى: كانت ثويبة أرضعت النبى بعدما أرضعت حمزة ثم أرضعت أبا سلمة.

٤ ـ روى سعيد بن منصور فى سننه عن طريق سعيد بن المسيب عن عليٍّ قال: يا رسول الله ألا تتزوج بنت عمك حمزة فإنها من أحسن فتاة قريش.

قال الحافظ وكأن عليًا لم يعلم بأن حمزة رضيع النبى، أو جوز الخصوصية، أو كان ذلك قبل تقرير الحكم.

قال القرطبى: وبعيد أن يكون عليًا لم يعلم بتحريم ذلك.

٥ ـ روى مسلم عن أم حبيبة قالت: دخل علىّ رسول الله فقلت له: هل لك فى أختى بنت أبى سفيان؟ فقال: أفعل ماذا؟ قلت: تنكحها. قال: أو تحبين ذلك؟

قلت : لست لك بمخلية ، وأحب من شركني في الخير أختي .

قال : «فإنها لا تحل لي» .

قلت : فإني أخبرت أنك تخطب درة بنت أبي سلمة .

قال : بنت أم سلمة؟ . قلت : نعم .

قال : «لو أنها لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي ، إنها ابنة أخي من الرضاعة . أرضعتني وأباها ثويبة ، فلا تعرضن عليّ بناتكن ولا أخواتكن» ١٤٤٩ .

وفي رواية «أنكح أختي عزة» .

معاني الكلمات :

لست لك بمخلية : أي لست أخلى لك بغير ضرة . أي لست بمنفردة بك ولا خالية من ضرة .

قال النووي رحمه الله : (١٠ / ٢٥) : معناه أنها حرام عليّ بسببين : كونها ربيبة وكونها بنت أخي ، فلو فقد أحد السببين حرمت بالآخر .

ـ والربيبة بنت الزوجة ، مشتقة من الرب وهو الإصلاح لأنه يقوم بأمورها ويصلح أحوالها .

ـ ومذهب العلماء كافة أنها حرام سواء كانت في حجره أم لا . إلا داود الظاهري فيرى أن الربيبة لا تحرم إلا إذا كانت في حجر زوج أمها .

ـ قال الجمهور : التقييد إذا خرج على سبب لكونه الغالب لم يكن له مفهوم يعمل به فلا يقصر الحكم عليه ، ونظيره قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ ومعلوم أنه يحرم قتلهم بغير ذلك أيضًا .

لكن خرج التقييد بالإملاق لأنه الغالب ، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُكْرِهُوا

فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا ﴾ ونظائره فى القرآن كثيرة.

- ثويبة: مولاة لأبى لهب ارتضع منهاﷺ قبل حليمة السعدية.

- «فلا تعرضن علىّ بناتكم ولا أخواتكم»: إشارة إلى أخت أم حبيبة، وبنت أم سلمة.

وهذا محمول على أنها لا تعلم حينئذ تحريم الجمع بين الأختين، وكذا لم تعلم من عرض بنت أم سلمة تحريم الربيبة.

وكذا لم تعلم من عرض بنت حمزة تحريم بنت الأخ من الرضاعة، أو لم تعلم أن حمزة أخ له من الرضاع. والله أعلم.

قال الحافظ فى الفتح (٩ / ٤٦): قوله (أو تحبين ذلك)؟ هو استفهام تعجب من كونها تطلب أن يتزوج غيرها مع ما طبع عليه النساء من الغيرة.

قال الحافظ: فى قوله (وأحب من شاركنى فى خير): قيل: المراد به صحبة رسول الله ﷺ المتضمنة لسعادة الدارين لما لعله يعرض من الغيرة التى جرت بها العادة بين الزوجات. لكن فى رواية هشام المذكورة (وأحب من شركنى فيك أختى) فعرف أن المراد بالخير ذاته ﷺ.

** مسألة فى ابنة الأخ من الرضاعة **

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٦٩٣٢) ما ملخصه:

أن رجلاً رضع من جدته لأبيه كثيراً ثم تزوج ابنة عمه حسين وأنجب منها طفلين فما حكم ذلك؟

وإذا كان إصدار الفتوى بالانفصال فهل يطلقها بالنطق بالطلاق؟ وهل تعتد زوجته رغم غيابه عنها أكثرمن ثلاث سنوات وما زال غائبًا

وقت السؤال، وما وضع الأطفال فى البناء الاجتماعى، وهل وجودهم بجانب أمهم أصح أم يلحقون به؟

الجواب: إذا ثبت أن والد زوجتك قد رضع من جدتك خمس رضعات فى الحولين وأنك قد رضعت من هذه المرأة أيضًا على الصفة المذكورة فإنه لا يجوز لك أن تتزوج ابنته لأنك تصبح عمًّا لها من الرضاعة وبذلك يعتبر نكاحك لها باطلاً، وتعتبر حلاًّ للأزواج بعد حيضها ثلاث حيضات من آخر وطء حصل منك لها ولا يلزمك نطق بطلاقها لأن النكاح والحال ما ذكر باطل لا يحتاج إلى طلاق وتعتبر محرمًا لك وهكذا أخواتها من عمك حسين وعمك سيد لأنك بهذا الرضاع صرت عمًّا لهن وأخًا لعميك حسين وسيد.

أما الأولاد الذين أنجبتهم بنت عمك فهم أولاد شرعيون لاحقون بك نسبًا، لأنك حين معاشرتك لها جاهل التحريم بالرضاع المذكور، أما موضوع بقائهم عند أمهم أو عندك فهذا يرجع بشأنه إلى المحكمة إن لم يحصل بينكما اتفاق على بقائهم عندها أو عندك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم..
اللجنة الدائمة،،

** قلت: وفى هذه المسألة صار عمه أخًا له من الرضاع وصارت ابنة عمه ابنة أخيه من الرضاعة فحرمت عليه.

باب حرمة زواج الأخ من أخته من الرضاع (ووجوب التفريق بين الزوجين إذا تبين أنهما أخوين من الرضاعة)

١- روى البخارى عن عقبة بن الحارث أنه تزوج ابنة لأبى إهاب بن عزيز فأتته امرأة فقالت: إنى أرضعت عقبة والتى تزوج، فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتنى ولا أخبرتنى.

فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ: فكيف وقد قيل؟

ففارقها عقبة، ونكحت زوجاً غيره. (٨٨ ـ العلم ـ باب الرحلة فى المسألة النازلة ـ ٢٦٤٠ـ ٢٦٥٩ ـ ٢٦٦٠ ـ ٥١٠٤).

٢- ورواه البخارى فى كتاب الشهادات: باب إذا شهد شاهد أو شهود بشيء فقال آخرون: ما علمنا بذلك يحكم بقول من شهد.

قال الحميدى: هذا كما أخبر بلال أن النبى صلى فى الكعبة، وقال الفضل: لم يصل، فأخذ الناس بشهادة بلال، كذلك لو شهد شاهدان أن لفلان ألف درهم وشهد آخران بألف وخمسمائة يقضى الزيادة.

ـ ثم روى الحديث عن عقبة بن الحارث أنه تزوج من ابنة لأبى إهاب ابن عزيز، فأتته امرأة فقالت: قد أرضعت عقبة والتى تزوج. فقال لها عقبة: ما أعلم أنك أرضعتنى، ولا أخبرتنى.

فأرسل إلى آل إهاب يسألهم؟ فقالوا: ما علمنا أرضعت صاحبتنا.

فركب إلى النبى بالمدينة فسأله. فقال رسول الله: كيف وقد قيل؟ ففارقها ونكحت زوجاً غيره. (٢٦٤٠ ـ الشهادات).

٣- رواه البخارى في باب شهادة الإماء والعبيد فى كتاب الشهادات

بلفظ عن عقبة: أنه تزوج أم يحيى بنت أبى إهاب، فجاءت أمة سوداء، فقالت: قد أرضعتكما، فذكرت ذلك للنبى فأعرض عنى، قال: فتنحيت فذكرت له قال: فكيف وقد زعمت أنها أرضعتكما، فنهاه عنها. (٢٦٥٩ ـ باب شهادة الإماء والعبيد) وفى رواية: دعها عنك أو نحوه.

فوائد حديث عقبة بن الحارث

١ـ ذكر البخارى فى كتاب العلم قائلاً: باب الرحلة فى المسألة النازلة وتعليم أهله.

وفى هذا فائدة وهى الرجوع إلى أهل العلم فى المسائل والقضايا وإن ترتب على ذلك تكبد المشاق والمتاعب بل والسفر من أجل معرفة حكم الله ورسوله فى المسألة، لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

٢ـ كان عقبة بن الحارث مقيماً فى مكة فسافر إلى المدينة ليسأل رسول الله ﷺ.

٣ـ ذكر البخارى هذا الحديث فى كتاب الشهادات قائلاً: باب: إذا شهد شاهد أو شهود بشىء، وقال آخرون: ما علمنا بذلك يحكم بقول من شهد.

والشاهد من ذلك أن المثبت مقدم على النافى لأن المثبت عنده زيادة علم.

فلو أثبت بعض الناس الرضاع وشهدوا به، ونفى آخرون يؤخذ بقول من أثبت. ولا يلتفت لقول من نفى.

٤ـ كثير من الناس يحاولون نفى الرضاع على سبيل المجاملة، علماً بأن غيرهم يثبته ويشهد بـه فحسابهم على الله، بل وبعض النساء بعد أن تشهد به

تراجع من أجل أنه سيخرب البيت وتتشتت الأسرة، وكلام الناس.

٥ـ المرأة أثبتت الرضاع ونفاه عقبة وآل أبي إهاب بن عزيز، فاعتمد النبي ﷺ قول المرأة، وأمر عقبة بفراق امرأته إما وجوباً عند من يقول به، وإما ندباً على طريق الورع. والوجوب أرجح والله أعلم.

٦ـ ذكر البخاري رحمه الله هذا الحديث في كتاب الشهادات قائلاً: (باب شهادة الإماء والعبيد).

والشاهد منه أن النبي أمر عقبة بفراق امرأته بقول الأمة المذكورة، فلو لم تكن شهادتها مقبولة ما عمل بها، فشهادة العبد والأمة جائز إذا كانوا عدولاً.

٧ـ ثم ذكر البخاري هذا الحديث في باب شهادة المرضعة، مستدلاً به على جواز شهادة المرأة وحدها في الرضاع وهو الصواب لهذا الحديث. وهو قول أحمد بن حنبل والبخاري وابن حجر والأوزاعي وابن عباس وعثمان بن عفان والزهري والحسن وإسحاق وجماعة من أهل العلم.

٨ـ روى عبدالرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب قال: فرق عثمان بين ناس تناكحوا لقول امرأة سوداء أنها أرضعتهم.

٩ـ جواز إعراض المفتي ليتنبه المستفتي على أن الحكم فيما سأله الكف عنه.

١٠ـ جواز تكرار السؤال لمن لم يفهم المراد والسؤال عن السبب المقتضي لرفع النكاح.

١١ـ قول الجمهور في هذه المسألة بأنه لا يكفي في ذلك شهادة المرضعة وحدها لأنها شهادة على نفسها، قول غير صحيح ومخالف لصريح الحديث.

[illegible] م يتو [illegible] حتى يسأل العلماء عنه .

[illegible] ا الح [illegible] البيوع قائلاً: باب تفسير الم [illegible]

وقال أبو [illegible] ت شي [illegible] هون من الورع، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .

وفيه عن عقبة أن امرأة سوداء جاءت فزعمت أنها أرضعتهما فذكر للنبى فأعرض عنه وتبسم وقال : ،، كيف وقد قيل؟ .

وفائدة ذلك أنه أمره بفراقها احتياطاً وتورعاً على قول الأكثر، خشية الوقوع فى الشبهات، إذ لو صح كلام المرأة المرضعة لكان الأمر حراماً يقيناً بالإجماع .

قلت : والراجح كما سبق ذكره أن النبى اعتمد شهادة المرأة بفراقها للحرمة . والله أعلم .

ولذلك قال الشوكانى رحمه الله فى النيل (٦ / ٣١٩ / ٣٢٠): وقد استدل بالحديث على قبول شهادة المرضعة ووجوب العمل بها وحدها .

وقال : وأما قيل من أمره ﷺ له من باب الاحتياط فلا يخفى مخالفته لما هو الظاهر ولا سيما بعد أن كرر السؤال أربع مرات كما فى بعض الروايات .

والنبى يقول له فى جميعها (وكيف وقد قيل) وفى بعضها (دعها عنك)وفى بعضها (لا خير لك فيها) مع أنه لم يثبت فى رواية أنهﷺ أمره بالطلاق، ولو كان ذلك من باب الاحتياط لأمره به .

فالحق وجوب العمل بقول المرأة المرضعة حرة كانت أو أمة، حصل الظن بقولها أو لم يحصل لما ثبت فى رواية أن السائل قال : وأظنها كاذبة .

فيكون هذا الحد

أساس، أعنى قول

ومخصصاً لعمومات

النساء وعند أكثر المخالفين.

** فائدة: بل إذا نسيت المرأة المرضعة بأنها أرضعت طفلاً وشهد على ذلك غيرها من النساء الثقات عليها بأنها أرضعت هذا الطفل، يقبل شهادة المرأة الشاهدة على المرأة الناسية.

وقد سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٩٣٢٨):

س: نسيت مرضعة أنها أرضعت زيدا من الناس ولكن شهدت أختاها وحلفتا بأنهما قد رأيناها ترضع هذا الطفل المذكور خمس رضعات فأكثر فهل يثبت بذلك رضاعة المرضعة لهذا الطفل؟

الجواب: الرضاع من الأمور التى يطلع عليها النساء غالبًا ويثبت بشهادة امرأة عدل. وعلى ذلك فشهادة أختى تلك المرأة بأن أختهما أرضعت شخصاً خمس رضعات فأكثر فى الحولين يثبت بها الرضاع وتنتشر به الحرمة إذا كانتا ثقتين أو إحداهما.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اللجنة الدائمة.

مسألة: إذا تزوج بإحدى محارمه من الرضاعة بدون علم التحريم ثم علم فماذا يفعل وما آثار ذلك؟

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (٢١٩٥):

س: إذا تزوج الرجل امرأة وبعد ما ولدت منه طفلاً وطفلة ثبت أنها

أخته من الرضاعة فماذا يعمل؟

وهل يتقلد بالذنب، وذلك أن الأطفال بعد بلوغهم، وهل يسمح لهم الشرع أن يتزوجوا أو يبقوا بلا زواج إلى موتهم؟

الجواب: إذا تزوج رجل من امرأة دون علمه بوجود مانع من موانع الزواج ثم ثبت بعد عقد النكاح أنها أخته من الرضاعة بأن كان الرضاع خمس رضعات فى الحولين وجب فسخ النكاح وفراقه إياها لبطلان هذا العقد، سواء دخل بها أم لم يدخل، وسواء ولد له منها طفل أم طفلان أم أكثر، وجماعه إياها قبل العلم بالرضاع ليس زنًا بل نكاح شبهة، ولا إثم عليه لأنه جامعها معتقدًا أنها زوجة شرعية، والأولاد يلحقون به نسبًا تجرى عليهم أحكام الأولاد من النكاح الصحيح فيرثون أباهم وعليه نفقتهم وليس ولادتهم من والدين على هذه الطريقة بمانع من تزوجهم فهم فى ذلك كسائر المسلمين.

لكن ينبغى للمسلم أن يتحرى قبل عقد الزواج عن الموانع من الزواج من مصاهرة ورضاع وغير ذلك ثم يقدم على النكاح وهو على بينة من خلو من يعقد عليها من موانع الزواج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان
نائب الرئيس	الرئيس
عبدالرزاق عفيفى	عبدالعزيز بن عبدالعزيز بن باز

باب (حرمة الجمع بين المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها أو المرأة وأختها من الرضاعة)

فكما يحرم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها من النسب كذلك يحرم من الرضاعة.

لما رواه الإمام مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها».

وكذلك كما يحرم الجمع بين الأختين من النسب لقوله تعالى في آية المحرمات من النساء: ﴿وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ﴾ فكذلك يحرم الجمع بين الأختين من الرضاعة لقول النبي ﷺ: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب».

وسئلت اللجنة الدائمة في الفتوى رقم (١٣٨٦٧):

س: تزوجت امرأة ثانية وقد اتضح أن رجلاً أخ زوجتي الأولى من الرضاع، وقد رضعت زوجتي الثانية من زوجته، فهل يجوز الجمع بينهما؟

الجواب: الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات فأكثر في الحولين، فإذا كان رضاع كل من أخ زوجتك الأولى وزوجتك الثانية كذلك فأخو زوجتك الأولى أب لزوجتك الثانية من الرضاعة وزوجتك الأولى عمة للزوجة الثانية، لأنها ابنة أخيها من الرضاعة، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها».

وثبت أن النبي ﷺ قال: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة».

وثبت من حديث عائشة قالت: كان فيما نزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن بـ(خمس معلومات) فتوفي رسول

شبهه. فمذهبنا ومذهب العلماء كافة ثبوت حرمة الرضاع بينة وبين الرضيع ويصير ولداً له، وأولاد الرجل إخوة الرضيع وإخوته، وتكون إخوة الرجل أعمام الرضيع، وأخواته عماته. وتكون أولاد الرضيع أحفاد الرجل.

ولم يخالف فى هذا إلا أهل الظاهر وابن علية فقالوا: لا تثبت حرمة الرضاع بين الرجل والرضيع، ونقله المازرى عن ابن عمر وعائشة واحتجوا بقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ولم يذكر البنت أو العمة كما ذكرها فى النسب.

واحتج الجمهور بهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة فى عم عائشة وعم حفصة وقوله ﷺ مع إذنه منه: «إنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة».

وأجابوا عما احتجوا به من الآية أنه ليس فيها نص بإباحة البنت والعمة ونحوهما لأن ذكر الشيء لا يدل على سقوط الحكم عما سواه لو لم يعارضه دليل آخر.

كيف وقد جاءت هذه الأحاديث الصحيحة. والله أعلم.

عم المرأة من الرضاعة محرم لها ويجوز له الاستئذان عليها

١- روى البخارى عن عائشة أن أفلح أخا أبى القعيس جاء يستأذن عليها وهو عمها من الرضاعة بعد أن نزل الحجاب، فأبيت أن أذن له، فلما جاء رسول الله أخبرته بالذى صنعت فأمرنى أن آذن له علىّ. (ح ٥١٠٣- م ١٤٤٥- ن)

٢- وفى رواية قالت: جاء عمى من الرضاعة فاستأذن علىّ فأبيت أن

آذن له حتى أستأذن رسول الله فسألته عن ذلك فقال «إنما هو عمك فأذني له» فقلت: يا رسول الله إنما أرضعتنى المرأة، ولم يرضعنى الرجل، فقال «إنه عمك فليلج عليك» قالت: وكان ذلك بعد أن ضرب علينا الحجاب.

٣ـ عنها أنه جاء أفلح أخو أبى القعيس يستأذن عليها، بعد ما نزل الحجاب، وكان أبو القعيس أبا عائشة من الرضاعة، قالت عائشة: فقلت والله لاآذن لأفلح حتى أستأذن رسول الله، فإن أبا القعيس ليس هو أرضعنى ولكن أرضعتنى امرأته، قالت: فلما دخل رسول الله قلت: يا رسول الله إن أفلح أخا أبى القعيس جاءنى يستأذن عليّ فكرهت أن آذن له حتى أستأذنك. قالت فقال النبى: «ائذنى له». قال عروة: فبذلك كانت عائشة تقول: حرموا من الرضاعة ما تحرمون من النسب.

٤ـ وفى رواية (فإنه عمك تربت يمينك).

٥ـ وفى رواية أن عمها اسمه (أبو الجعد وهو أفلح) أخو أبى القعيس.

!! فوائد من حديث عائشة وعمها من الرضاعة !! أفلح أخو أبى القعيس

١ـ أن لبن الفحل يحرم فتنتشر الحرمة من ارتضع الصغير بلبنه، فلا تحل له بنت زوج المرأة التى أرضعته من غيرها مثلاً. (وهو قول جمهور العلماء).

٢ـ أن من شك فى حكم يتوقف عن العمل به حتى يسأل العلماء عنه.

٣ـ أن من اشتبه عليه الشيء طالب المدعى ببيانه ليرجع إليه أحدهما.

٤ـ أن العالم إذا سئل يصدق من قال الصواب فيها.

٥ـ وجوب احتجاب المرأة من الرجال الأجانب.

٦ـ مشروعية استئذان المحرم على محرمه.

٧ـ أن المرأة لا تأذن في بيت الرجل إلا بإذنه.

٨ـ أن المستفتي إذا بادر بالتعليل قبل سماع الفتوى أنكر عليه لقوله لها (تربت يمينك) فإن فيه إشارة إلى أنه كان من حقها أن تسأل عن الحكم فقط ولا تعلل.

٩ـ أن العم من الرضاعة محرم للمرأة.

باب (دخول الأخ على أخته من الرضاعة وشرطه)

١ـ روى البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك فقالت: إنه أخي، فقال: «انظرن ما إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة». (خ ١٥٠٢ـ م ١٤٥٥ ـ د ٢٠٥٨ ـ ن. جه ١٩٤٥).

قال الحافظ في الفتح: (٩ / ٥١، ٥٢): المعنى: تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة، ومقدار الارتضاع فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط.

قال المهلب: انظرن ما سبب هذه الإخوة، فإن حرمة الرضاع إنما هي في الصغر حتى تسد الرضاعة المجاعة.

وقال أبو عبيد: معناه أن الذي جاع كان طعامه الذي يشبعه اللبن من الرضاع لا حيث يكون الغذاء بغير الرضاع.

قوله (فإنما الرضاعة من المجاعة): أي الرضاعة التي تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هي حيث يكون الرضيع طفلاً لسد اللبن جوعته، لأن

معدته ضعيفة يكفيها اللبن وينبت بذلك لحمه، فيصير كجزء من المرضعة فيشترك في الحرمة مع أولادها.

فكأنه قال: «لا رضاعة معتبرة إلا المغنية عن المجاعة أو المطعمة من المجاعة».

ومن شواهده حديث ابن مسعود: (لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم) أخرجه أبو داود مرفوعاً وموقوفاً

وحديث أم سلمة: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء» أخرجه الترمذي وصححه.

باب (أبناء الإخوة والأخوات من الرضاعة)

١ـ روى مالك عن عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه أنه أخبره أن عائشة زوج النبي ﷺ كان يدخل عليها من أرضعته أخواتها وبنات أخيها.

(ولايدخل عليها من أرضعته نساء إخوتها):

وفحوى هذه الجملة الأخيرة كانت لا ترى لبن الفحل يحرم، ولكن قد صح عنها أن رسول الله ﷺ أباح لها أن تدخل أفلح أخا أبي القعيس لما استأذن عليها والعبرة بما ورد عن رسول الله ﷺ. فالعبرة بما روت لا بما رأت.

باب (المرأة وابنتها من الرضاعة تحت رجل واحد)

١ـ روى مسلم عن أم الفضل قالت: دخل أعرابي على نبي الله ﷺ وهو في بيتي، فقال: يا نبي الله إني كانت لي امرأة فتزوجت عليها أخرى فزعمت امرأتي الأولى أنها أرضعت امرأتي الحدثى رضعة أو رضعتين

فقال النبي ﷺ: «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان». (م ١٤٥١ ـ حم ٦/ ٣٣٩ ـ رزاق ١٣٩٢٦ ـ هق / ٤٥٥).

قلت: والشاهد من ذلك: أنها لو أرضعت المرأة الحدثى خمس رضعات فأكثر لصارت ابنة لها من الرضاعة ولحرمت على زوجها ولكنها لم تكمل الخمس رضعات فلم تحرم بذلك.

وقد تقدم رئيس محكمة الفجيرة الشرعية للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بسؤال مضمونه: أن رجلاً تزوج بامرأة قد أرضعتها مطلقته من قبل وهي طفلة رضيعة، وقد أنجب من هذه الرضيعة (الزوجة الثانية) سبعة أولاد فما الحكم؟

فأجابت اللجنة بالآتي: إذا كان الأمر كما ذكر وأن رضاع المرأة من مطلقته خمس رضعات فأكثر في الحولين فإنها لا تحل لأنها ربيبته قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾.. إلى قوله: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ وقال ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة». علماً بأن الرضعة هي أن يمسك الطفل الثدي ثم يمص منه لبناً فإن تركه ثم عاد ومص لبناً فرضعة ثانية وهكذا.. (وبالله التوفيق.. انظر فتاوى اللجنة ٢١/ ١١١/ ١١٢).

باب (زمن الرضاعة الذى يثبت بها التحريم)

١ـ قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾.

قال الإمام مالك فى الموطأ: الرضاعة قليلها وكثيرها تحرم، فأما ما كان بعد الحولين فإن قليله وكثيره لا يحرم شيئاً، وإنما هو بمنزلة الطعام. (ص. ٦٠٤).

ـ وهو اختيار القرطبى فى تفسير والوالدات.

وقال الحافظ ابن كثير: هذا إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهى ستان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك ولهذا قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقها لم يحرم.

ثم نقل ابن كثير هذا القول عن جمهور العلماء وهم الأئمة الأربعة والفقهاء السبعة والأكابر من الصحابة وسائر أزواج رسول الله ﷺ سوى عائشة.

٢ـ روى البخارى عن عائشة أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها رجل فكأنه تغير وجهه، كأنه كره ذلك فقالت: إنه أخى، فقال: «انظرن ما إخوانكن فإنما الرضاعة من المجاعة». (خ ٥١٠٢ ـ م ١٤٥٥ ـ د ٢٠٥٨ ـ ن. جه ١٩٤٥).

قال الحافظ فى الفتح (٩ / ١٤٨): قوله (من المجاعة) أى الرضاعة التى تثبت بها الحرمة وتحل بها الخلوة هى حيث يكون الرضيع طفلاً يسد اللبن جوعته لأن معدته ضعيفة يكفيها اللبن وينبت بذلك لحمه فيصير

كجزء من المرضعة فيشترك فى الحرمة مع أولادها.

فكأنه قال: لا رضاعة معتبرة إلا المغنية من المجاعة أو المطعمة من المجاعة كقوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ ومن شواهد حديث ابن مسعود «لا رضاع إلا ما شد العظم وأنبت اللحم». أخرجه أبو داود مرفوعاً وموقوفاً، وحديث أم سلمة «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء» أخرجه الترمذى وصححه.

٣ـ روى الترمذى عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء فى الثدى وكان قبل الفطام» حديث صحيح.

وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً.

قال الشوكانى فى النيل (٦/ ٣١٦): قوله (فتق الأمعاء) أى سلك فيها، والفتق الشق، والأمعاء جمع معى.

قوله (فى الثدى) أى فى زمن الثدى أى فى زمن الرضاع قبل الفطام، كما وقع التصريح بذلك فى آخر الحديث.

** زمن الرضاع الذى يحرم **

١ـ روى سعيد بن منصور فى سننه (٩٨٠) عن ابن عباس قال: «لا رضاع إلا ما كان فى الحولين» صحيح. (حقق ٧/ ٤٦٢) طبرى ٤٩٦٣ ـ المحلى (١٠/ ١٩).

وعند الطبرى (لا رضاع بعد فصال السنتين).

وفي لفظ (ليس يحرم من الرضاع بعد التمام، إنما يحرم ما أنبت اللحم وأنشأ العظم).

قلت: والشاهد من أثر ابن عباس أن الرضاع الذي يحرم هو ما كان في الحولين.

٢- روى مالك وعبد الرزاق عن ابن عمر قال: (لا رضاعة إلا لمن أُرضع في الصغر، ولا رضاعة لكبير). صحيح. (مالك ٢ / ٦٠٣) - رزاق (٧ / ٤٦٥) - طبري (٤٩٥٦ - ٤٩٠٧).

٣- روى مالك عن سعيد بن المسيب قال: (لا رضاعة إلا ما كان في المهد، وإلا ما أنبت اللحم والدم) صحيح (مالك ٦٠٤ - رزاق (٧ / ٤٦٥).

٤- روى عبد الرزاق عن الشعبي قال: (كل سعوط أو وجور أو رضاع يرضع قبل الحولين فهو يحرم وما كان بعد الحولين فلا يحرم) صحيح (رزاق ٧ / ٤٦٣ - منصور ٩٧٣ - طبري ٤٩٦٠).

٥- روى عبد الرزاق (٧ / ٤٦٣) ومالك (٦٠٧) عن أبي عطية الوادعي قال: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إنها كانت معي امرأتي فحصر لبنها في ثديها فجعلت أمصه ثم أمجه فأتيت أبا موسى فسألته فقال: حرمت عليك.

قال: فقام وقمنا معه حتى انتهى إلى أبي موسى، فقال: ما أفتيت هذا؟ فأخبره بالذي أفتاه.

فقال ابن مسعود وأخذ بيد الرجل أرضعًا ترى هذا؟ إنما الرضاع ما أنبت اللحم والدم.

فقال أبو موسى: لا تسألوني عن شيء ما كان هذا الحبر بين أظهركم.

صحيح. (رزاق ـ مالك ـ هق (٧/ ٤٦١) طبرى (٤٩٥٨ / ٤٩٦١).

قلت: الشاهد من ذلك: أن ابن مسعود ﷺ بين أن الرضاع الذى يحرم هو ما كان فى السن التى بين الله ورسوله أنها سن الرضاع فى الحولين الأولين فى حياة الإنسان وهو ما أنبت اللحم والدم.

وقد أقره أبو موسى على ذلك والناس شهود من الصحابة والتابعين.

وأن رضاع الكبير لا يحرم ولا يثبت به التحريم. والله أعلم.

(مسألة)

لو رضع رجل من ثدى امرأته هل تحرم عليه وتصير له أمًّا من الرضاعة؟

الجواب: لا تحرم عليه ولا تصير له أمًّا من الرضاعة. لأن الرضاع المحرم هو ما كان فى الحولين. والله أعلم.

وقد سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٦٦٤٤) قالت السائلة:

س: أعرض على سماحتكم أن زوجى بعد أن أنجبت منه طفلين كنت أرضع الطفل الثانى ويقوم بتكتيف يدى على ظهرى ويرضع من ثديى الاثنين بالقوة، واعتاد الرضاع منى لمدة أربعة أشهر وصرح لى بقوله بأنك مثل أمى، وبعد هذا أحضرنى زيارة لأهلى وصرحت لهم بما فعل من رضعه من ثديى حتى يمتصه جميعاً فهل هذا الفعل حلال أم حرام وما هو الحكم؟

ج: فعل زوجك هذا لا يجوز له ويجب عليه تركه وعدم العودة إليه، لكنه لا يحرمك عليه لأن الرضاع المحرم ما كان فى الحولين لقوله ﷺ: «إنما الرضاعة من المجاعة» متفق عليه. وقوله ﷺ: «لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق الأمعاء فى الثدى وكان قبل الفطام».

وبناءً على ذلك فإنك لا تحرمين عليه. وقوله لك إنك مثل أمي إن كان يقصد به الرضاع فهو غير صحيح، وإن كان يقصد به الظهار فإنه تجب عليه الكفارة وهي عتق رقبة فإن لم يجدها صام شهرين متتابعين فإن لم يستطع أطعم ستين مسكيناً لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ الآية وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو
بكر أبو زيد	عبدالعزيز آل الشيخ	صالح الفوزان
عضو	الرئيس	
عبدالله بن غديان	عبدالعزيزبن عبدالله بن باز	

٦- روى مالك (٦٠٦) عن عبدالله بن دينار أنه قال: جاء رجل إلى عبدالله بن عمر وأنا معه عند دار القضاء يسأله عن رضاعة الكبير؟.

فقال عبدالله بن عمر: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني كانت لي وليدة (أمة) وكنت أطؤها فعمدت امرأتي إليها فأرضعتها، فدخلت عليها فقالت: دونك فقد والله أرضعتها. فقال عمر: أوجعها (اضرب زوجتك)

وفي رواية عند عبد الرزاق (عزمت عليك لما رجعت فأوجعت ظهر امرأتك) أوجعها وأت جاريتك (أي جامعها) فإنما الرضاعة رضاعة الصغير.

صحيح (مالك ٦٠٦ - رزاق، ، ٧ / ٤٦٢، ، - هق، ، ٧ / ٤٦١، ،).

وقلت: والشاهد من ذلك: أن عمر بن الخطاب بين أن الرضاعة التى تحرم هى رضاعة الصغير فى الحولين، وأن رضاع الكبير لا يؤثر ولا يحرم. والله أعلم.

٧ـ رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن جابر بن عبدالله قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إن امرأتى أرضعت سُريتى لتحرمها علىّ فأمر عمر بالمرأة أن تجلد، وأن يأتى سُريته بعد الرضاع.

قلت: والشاهد أن المرأة المرضعة أرادت أن تكون الجارية السرية ابنة لها من الرضاع وكذلك ابنة لزوجها من الرضاع، لتصير الجارية ابنة لسيدها من الرضاعة فتحرم عليه. ولكن حيلتها باطلة لأن رضاع الكبير لا تثبت به حرمة. وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ والله أعلم.

** أقوال العلماء فى شرط الرضاع المحرم **

١ـ قال بن قدامة المغنى (٧ / ٥٤٢): أن شرط تحريم الرضاع أن يكون فى الحولين، وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقال: والاعتبار بالعامين لا بالفطام، فلو فطم قبل الحولين ثم ارتضع فيهما لحصل التحريم ولو لم يفطم حتى تجاوز الحولين ثم ارتضع بعدهما قبل الفطام لم يثبت التحريم.

٢ـ قال الكاسانى فى بدائع الصنائع (٥١٤): فأما صفة الرضاع، فالرضاع المحرم ما يكون فى حال الصغر، فأما ما يكون فى حال الكبر فلا يحرم عند عامة العلماء وعامة الصحابة.

٣ـ قال الشوكانى رحمه الله فى النيل (٦/ ٣١٤، ٣١٥): قال بعد ذكر

ونقل خلاف العلماء: فإن الرضاع يعتبر فيه الصغر، إلا فيما دعت إليه الضرورة والحاجة، كرضاع الكبير الذى لا يستغنى دخوله على المرأة ويشق احتجابها منه. وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

٤ـ الحافظ فى الفتح (٩ / ١٤٩): نقل عن الجمهور أنهم يعتبرون الصغر فى الرضاع المحرم.

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٤٥٩٠):

س: تزوجت من امرأة اسمها عائشة وأنجبت منها ثلاثة أطفال ولها أخت أكبر منها سناً اسمها فاطمة متزوجة وأنجبت طفلة وأنا فى سن الثامنة أو التاسعة وكثر الحليب فى ثديها وطلبت منى أن أرضعه وأخرجه خارج ثديها فى قدح وتدعى أننى عملت حسب ما طلبت ثم أنجبت طفلاً بعد فترة وحصل لها مثل المرة الأولى بالنسبة لكثرة الحليب فى ثديها إلا أنه فى المرة الثانية كنت نائماً ليلاً حسب ما تدعى وأيقظتنى وطلبت منى أن أرضع الحليب وأخرجه خارج ثديها إلا أنه فى هذه المرة كنت نائماً وتسرب الحليب فى بطنى أكثر مما أنزلته فى القدح حسب ما يدعون، وأنى رضعت أكثر من عشر مرات وإن أختها الصغيرة هى زوجتى حالياً وأنجبت منها ثلاثة أطفال. هل زواجى من أختها عائشة صحيح أم لا، وهل أطفالها يصبحون إخواناً لى من الرضاعة أم لا؟

الجواب: إذا كان الأمر كما ذكر فإن رضاعك من المرأة فاطمة لا يحرم لأن عمرك وقت الرضاعة ثمان أو تسع سنين كما ذكرت فى السؤال، وزمن الرضاعة الذى ينشر الحرمة فى الحولين لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ . وعلى هذا فلا أثر لرضاعك المذكور ولا

تحريم. . وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو	عضو	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن باز

باب (عدد الرضعات التي تحرم)

اختلف أهل العلم رحمهم الله تعالى في هذه المسألة على ثلاثة أقوال والراجح هو القول الثالث الأخير كما يلي:

١ـ أن الرضعة الواحدة تحرم ويثبت بها التحريم من الرضاع، وهذا هو قول جمهور العلماء واستدلوا بالعمومات الواردة وهي كالآتي:

أ ـ قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ قالوا: فلم يذكر في الآية عدد رضعات فهي على عمومها يثبت التحريم بالرضعة الواحدة أو الأكثر.

ب ـ حديث «إنما الرضاعة من المجاعة» قالوا: لم يذكر عدد معين فلو رضعة واحدة تحرم.

ج ـ حديث النبي في ابنة حمزة «إنها ابنة أخي من الرضاعة».

د ـ حديث النبي في بنت أبي سلمة «إنها ابنة أخي من الرضاعة».

هـ ـ حديث عائشة وعمها من الرضاعة «إنه عمك فليلج عليك».

و ـ بعض الآثار عن السلف كأثر ابن عمر عند عبدالرزاق وأثر سعيد ابن المسيب في الموطأ وأثر طاووس عند عبدالرزاق ومضمونها أن قليل الرضاعة وكثيره يحرم.

وممن قال بهذا القول ابن عمر وابن المسيب وطاووس وعروة بن

الزبير والزهرى والإمام مالك والثورى وأبو حنيفة والأوزاعى والليث ومكحول ورواية لأحمد.

٢- أن الذى يحرم ثلاث رضعات فأكثر: واستدلوا بالآتى:

أ- حديث عائشة عند مسلم مرفوعاً «لا تحرم المصة ولا المصتان».

قالوا: فما زاد عن المصتين يحرم ويثبت به التحريم.

ب - حديث مسلم عن أم الفضل مرفوعاً «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان».

فقالوا: فما زاد عن اثنين يحرم.

وممن قال بهذا القول الإمام أحمد بن حنبل وسليمان بن يسار وسعيد ابن جبير وإسحاق بن راهويه وأبى عبيد وأبى ثور وابن المنذر وآخرين.

٣- أن الذى يحرم خمس رضعات فما زاد واستدلوا بالآتى:

أ - روى مسلم عن عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخ بخمس معلومات فتوفى رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن.

ب - روى البيهقى عن عائشة قالت «لا يحرم دون خمس رضعات معلومات».

وممن قال بهذا القول الإمام الشافعى، وأم المؤمنين عائشة وأصحاب الشافعى وبعض أهل العلم

** قال النووى رحمه الله فى شرح مسلم: ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جداً حتى إنه ﷺ توفى وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآناً متلواً لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما

بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا أن هذا لا يتلى " .

هذا وقد اعترض على حديث عائشة باعتراضات :

١ـ أنه لا ينتهض للاحتجاب على الأصح من قول الأصوليين، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، والراوى روى هذا على أنه قرآن لا خبر، فلم يثبت كونه قرآناً؟ ولا ذكر الراوى أنه خبر، ليقبل قوله فيه وأجيب عن هذا الاعتراض بأن هذا من القرآن المنسوخ تلاوة الباقى حكماً كآية الرجم وأجيب عن قولها «وهن فيما يقرأ من القرآن» بأن حروف الجر تتناوب من القرآن معناها مع القرآن والله أعلم.

٢ـ واعترض عليه أيضاً بأن عائشة كانت تأمر من يريد أن يدخل عليها أن يرضع عشر رضعات. وأجيب عليه بأن عائشة اختارت لنفسها ذلك، والعبرة بما روت لا بما رأت.

٣ـ روى الدارقطنى عن عائشة قالت: لا يحرم دون خمس رضعات معلومات. صحيح.

٤ـ «لا تحرم المصة ولا المصتان، ولا الإملاجة ولا الإملاجتان» رواه مسلم عن عائشة. (م ١٤٥ ـ د ٢٠٦٣ ـ ت ١١٥٠ ـ ن. جه ١٩٤١).

قلت: وهذا هو القول الراجح الذى عليه الدليل الصحيح الصريح، ولا عبرة بما أورده البعض من شبهات حول هذا الحديث.

باب (ما هو معنى الرضعة)

١ـ روى مسلم عن عائشة قال رسول الله ﷺ : «لا تحرم المصة والمصتان».

٢ـ روى مسلم من حديث أم الفضل عن النبى ﷺ قال: «لا تحرم الإملاجة والإملاجتان».

٣ـ روى مسلم عن أم الفضل أن رجلاً من بنى عامر بن صعصعة قال: يا نبى الله هل تحرم الرضعة الواحدة؟ قال: لا. وفى رواية: أتحرم المصة؟ قال: لا.

٤ـ وفى رواية عن أم الفضل عن الرسول «لا تحرم الرضعة أو الرضعتان أو المصة أو المصتان»

*قالت اللجنة الدائمة (فتاوى إسلامية حـ م / ١٤١) جمع وترتيب محمد بن عبدالعزيز المسند: «والرضعة المعتبرة شرعاً أن يمتص الطفل اللبن من الثدى فإذا تركه اعتبرت رضعة، فإذا عاد إليه صارت ثانية، وهكذا حتى يكمل خمساً. وبهذا يتضح أن المعتبر فى الرضعة ما ذكر، لا أن الرضعة يوم أو بعض يوم، إذ قد يكمل الطفل الرضاع المعتبر شرعاً فى أقل من ساعة وقد لا يتم له الرضاع الناشر للحرمة إلا فى خمسة أيام فأكثر».

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . . اللجنة الدائمة . .

وقال الشيخ عبدالرحمن بن جبرين فى معنى الرضعة: هو إمساك الثدى والامتصاص ثم تركه. فتاوى إسلامية (٣ / ١٣٨).

قلت: ويتضح مما سبق أن معنى الرضعة هو معنى المصة، هو معنى الإملاجة: وهو أن يلتقم الطفل ثدى المرأة ويرتشف منه ثم يتركه لأخذ نفس أو غيره فهذه تسمى رضعة. فمن الممكن أن يستكمل الطفل الخمس

رضعات في وجبة واحدة. فليعلم هذا ولينتبه إليه. والله أعلم.

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٦ / ٣١٠): الرضعة: هي المرة من الرضاع، كضربة، وجلسة، وأكلة. فمتى التقم الصبي الثدي فامتص منه ثم تركه باختياره لغير عارض كان ذلك رضعة.

قال المباركفوري في تحفه الأحوزي: (٤ / ٢٣٨): المصة: هي المرة من المص كالرضعة من الرضاع.

قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث: الملج: المص، ملج الصبي أمه إذا رضعها.

والملجة: المرة، والإملاجة: المرة أيضاً من أملجته أمه أي أرضعته.

باب «صفة الرضاع المحرم»

قال العدوي في جامع أحكام النساء (٣ / ٨٠): «ذهب جمهور أهل العلم إلى أن لبن المرضع يحرم سواء تناوله الطفل من ثديها، أو حلب له في إناء وشربه من الإناء».

بينما ذهب أبو محمد بن حزم ومعه بعض العلماء إلى أن الذي يحرم هو ما ارتضع من الثدي فقط متمسكين بالمعنى اللغوي للإرضاع.

ولا شك أن رأي الجمهور أرجح لأنه لبن امرأة سدت به المجاعة وفتقت به الأمعاء. والله تعالى أعلم

قال الشافعي في الأم (٥ / ٣٨): والوجور كالرضاع، وكذلك السعوط، لأن الرأس جوف.

قلت: الوجور: هو الدواء يوضع في الفم.

والسعوط: هو الدواء يوضع فى الأنف.

قال الحافظ فى الفتح: (٩ / ١٤٨): واستدل به على أن التغذية بلبن المرضعة يحرم سواء كان بشرب أم أكل بأى صفة كان، حتى الوجور والسعوط والثرد والطبخ وغير ذلك إذا وقع بالشرط المذكور من العدد، لأن ذلك يطرد الجوع.

وهو موجود فى جميع ما ذكر فيوافق الخبر والمعنى. وبهذا قال الجمهور.

لكن استثنى الحنفية الحقنة، وخالف فى ذلك الليث وأهل الظاهر فقالوا: الرضاعة المحرمة إنما تكون بالتقام الثدى ومص اللبن منه.

قال الكاسانى فى البدائع (٤ /٩): وليستوى فى تحريم الرضاع الارتضاع من الثدى والإسعاط والإيجار، لأن المؤثرفى التحريم هو حصول الغذاء باللبن وإنبات اللحم وإنشاز العظم وسد المجاعة وذلك يحصل بالإسعاط والإيجار لأن السعوط يصل إلى الدماغ وإلى الحلق فيغذى ويسد الجوع، والوجور يصل إلى الجوف فيغذى.

وسئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٣١٧٨):

س: لى بنت خالة أريد الزواج منها ولكنها رضعت من والدتى ولكن بطريقة غير مباشرة، فكانت والدتى تضع لبنها فى زجاجة ثم تشرب منه بنت خالتى لوجود مرض جلدى فى والدتى. فهل يحل لى الزواج بها؟

الجواب: الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات فأكثر فى الحولين فإذا كان رضاع ابنة خالتك من لبن والدتك كذلك فهى ابنة لأمك من الرضاع وأخت لك من الرضاعة ولو كان الرضاع بطريق الزجاجة، وعليه لا يحل لك الزواج منها لأنها أختك من الرضاعة، قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ

﴿أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ .

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ .

وثبت أن النبي ﷺ قال: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة». وثبت من حديث عائشة قالت: كان فيما أنزل من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن بـ(خمس معلومات) فتوفى رسول الله والأمر على ذلك. علماً أن الرضعة هى أن يمسك الطفل الثدى ثم يمص منه لبناً، فإن تركه وعاد ومص لبناً فرضعة ثانية وهكذا. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٤٨٤٦):

س: قبل حوالى أربعين سنة أنجبت والدتى طفلاً فأصيب بمرض ارتفاع درجة الحرارة (سخونة) وفى نفس ذلك الوقت كانت عندى بنت عم وهى من نفس عمر أخى الأكبر وأصيبت بنفس المرض، قامت والدتى بوضع حليب من صدرها فى نصف فنجال قهوة صغير، وخلطته مع علاج لهذا المرض، وكانت تسقى جزء منه لأخى وجزء منه تضعه فى عيون أخى، وكانت تسقى الجزء الآخر لبنت عمى وجزء منه تضعه فى عيون بنت عمى. وقد كانت نية الوالدة هو إعطاء العلاج وليس الرضاعة، ولو كان المقصود الرضاعة لأرضعتها من صدرها. وكان إعطاء العلاج على مدار ثلاثة أو أربعة أيام كل يوم نصف فنجال قهوة صغير كما ذكرت سابقاً، بنت عمى أنجبت طفلة، والسؤال هنا: هل تجوز بنت بنت عمى زوجة لى أو لا تجوز؟

الجواب: يشترط فى الرضاعة المحرمة أن تكون فى الحولين الأولين

من عمر الطفل، وأن تكون خمس رضعات فأكثر وصفة الرضعة أن يصل إلى الطفل من حليب المرضعة بأن يلتقم الثدى فيمص منه لبناً، فإذا تركه لنفس أو انتقال لثدى آخر حسبت رضعة وهكذا حتى تتم خمس رضعات فى وقت واحد أو أوقات مختلفة. وإن حلبت فى إناء وسقته الصبى فى وقت واحد فرضعة واحدة، وإن سقته فى خمسة أوقات متفرقة فخمس رضعات، سواء خلطته بطعام أو شراب أو غيره ما دامت صفة اللبن باقية لقوله تعالى فى المحارم: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾. ولقولهﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». ولا تشترط النية فى الرضاع، فإذا كانت والدتك قد أسقت ابنة عمك خمس مرات من لبنها الذى تضيف له شيئاً من الدواء فى حوليها الأولين فإنها تصير أختاً لكم من الرضاعة وعمة لأولادكم وأنتم أخوال لأولادها الذكور والإناث. وإن كانت عدد الرضعات أقل من خمس فإنها لا تحرم وتكون أجنبية عنكم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم... اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفى	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(باب الشك فى عدد الرضعات)

قال ابن قدامة فى المغنى (٧/ ٥٣٧): وإذا وقع الشك فى وجود الرضاع أو فى عدد الرضاع المحرم هل كمل أم لا؟ لم يثبت التحريم، لأن الأصل عدمه، فلا نزول عن اليقين بالشك كما لو شك فى وجود الكلام من عدمه.

قال النجمى فى فتح الرب الودود (٢ / ٢٢٨): التحريم يكون مقصوراً على الراضع ونسله أما الشك فى الرضاع وعدمه فلا يبنى عليه تحريم، لأن الأصل عدمه ولا ينتقل عن الأصل إلا بيقين.

(باب الأحوط فى الشك)

١ـ فائدة: إذا كان الرضاع لم يستكمل شروطه فالأفضل ترك النكاح.

قال العلامة الشيخ أحمد بن يحيى آل بشير النجمي في «فتح الرب الودود ٢/ ٢٣١»: التحريم مقصور على الراضع فقط، فإذا رضع الطفل من امرأة حرمن عليه بناتها جميعاً وإذا رضعت طفله من امرأة حرم عليها أولادها جميعاً، وكذلك أبناء البنين والبنات إذا كان الرضاع خمس رضعات فى الحولين.

٢ـ أما إذا كان عدد الرضاع غير معلوم وكان قليلاً لا يدرى هل بلغ الخمس أم لا. فالأحوط ترك النكاح والأخذ بجانب التحريم. وذلك جواباً على السؤال رقم (٤٦٩).

وسئلت اللجنة الدائمة في الفتوى رقم (١٨٤٠١) قال السائل (٢١/ ٥): أنا شاب أبلغ الثلاثين من عمرى وسبق لى أن رضعت من زوجة جدي لأبى وحيث أن هذه المرضع متوفاه ولا نعلم عدد الرضعات ولكن هناك رضاع مشهور ومعروف، فهل يصح لى السلام على بنات أعمامى من جدى كبنات أخ أبى وبنات أخوات أبى فهل أنا عم لهن أم لا وهل هن محرم لى أم لا؟.

الجواب: ما دام الرضاع غير معلوم فالواجب الاحتياط فى هذا وهو: عدم اعتباره رضاعاً محرماً لاحتمال عدم اكتمال شروطه الشرعية، فتعتبر المذكورات

أجنبيات عنك. ولاحتمال اكتمال شروطه فترك الزواج منهن احتياطاً، وقد علم من الشريعة الاحتياط فى الأبضاع ما لا يحتاط فى غيرها لقول النبىﷺ : «دع ما يريبك إلى ما لايريبك» وقولهﷺ : «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه». وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	عضو
بكر أبوزيد	صالح الفوزان	عبدالله بن غديا
نائب الرئيس		الرئيس
عبدالعزيز آل الشيخ		عبدالعزيزبن عبدالله بن باز

(باب لبن الفحل ومعناه)

١ـ روى البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه من حديث أم المؤمنين عائشة ﵂ قالت: جاء عمي من الرضاعة يستأذن عليّ، فأبيت أن آذن له حتى أستأمر رسول اللهﷺ فقال رسول اللهﷺ : «فليلج عليك فإنه عمك» قالت: إنما أرضعتنى المرأة ولم يرضعنى الرجل. قال: «فإنه عمك فليلج عليك» (واللفظ للترمذى).

قال المباركفورى فى التحفة (٤/ ٢٣٦): الفحل: بفتح الفاء وسكون المهملة: أى الرجل ونسبة اللبن إليه مجازية لكونه السبب فيه.

وقال رحمه الله (٤ / ٢٣٧): فى الحديث دليل على أن لبن الفحل يحرم حتى يثبت الحرمة من جهة صاحب اللبن كما ثبت من جهة المرضعة، فإن النبىﷺ أثبت عمومة الرضاع، وألحقها بالنسب.

قلت: وهذا هو قول جماهير أهل العلم من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار.

فائدة: سبب اللبن الذى يشربه الرضيع هو ماء الرجل والمرأة معاً، فوجب أن يكون الرضاع منهما وأيضاً فإن الوطء يدر اللبن فللفحل فيه نصيب.

(لبن الفحل يحرم ولو لم يجتمعا على ثدى واحد)

١ـ روى مالك والترمذى عن ابن عباس سئل عن رجل كانت له امرأتان فأرضعت إحداهما غلاماً وأرضعت الأخرى جارية فقيل له: هل يتزوج الغلام الجارية؟ فقال: لا. اللقاح واحد. (مالك ٢/ ٦٠٢. ت ١١٤٩ ـ هق ٧/ ٤٥٣ ـ رزاق ٧/ ٤٧٣، شيبة ٤/ ٣٤٧).

٢ـ قال ابن حزم رحمه الله فى المحلى (١٠/ ٣): لبن الفحل يحرم، وهو ما ذكرنا آنفاً من أن ترضع امرأة رجل ذكراً، وترضع الأخرى أنثى فتحرم إحداهما على الأخرى.

قال المباركفورى فى التحفة (٤/ ٢٣٨): أى لا يحل للغلام أن يتزوج الجارية.

(اللقاح واحد) قال الجزرى فى النهاية: اللقاح بالفتح اسم ماء الفحل.

أراد أن ماء الفحل الذى حملت منه المرأة واللبن الذى أرضعته كل واحدة منهما كان أصله ماء الفحل.

مسألة

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٥٦): قال القاضي عبد الوهاب: يتصور تجريد لبن الفحل برجل له امرأتان ترضع إحداهما صبياً والأخرى صبية؟

فالجمهور قالوا: يحرم على الصبي تزويج الصبية.

** مسألة مهمة **

* س: تزوجت زوجة ثانية وزوجتي الأولى أرضعت ولداً من أقاربنا، فهل الزوجة الأخيرة يكون الولد الذي رضع من زوجتي الأولى محرماً لها أم لا؟

* ج: إذا رضع الطفل خمس رضعات فأكثر في الحولين من لبن الزوجة الأولى صار زوجها أباً للطفل من الرضاعة، ويكون محرمًا للزوجة الثانية لأنه ابن زوجها من الرضاعة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ ولما ثبت عن النبي ﷺ قال: «إن الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة». وبالله التوفيق. (انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٢١/ ١٠٦/ ١٠٧).

* س: رجل متزوج بزوجتين ورضع طفل من إحداهما فهل الزوجة الأخرى تحرم على هذا الطفل؟

* ج: نعم الزوجة الثانية التي لم ترضع هذا الطفل تحرم عليه وهي من محارمه لأنها زوجة لأبيه من الرضاعة، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وجميع أبناء الزوجتين من هذا الرجل يحرمون على هذا الطفل لأنهم إخوة له من الرضاعة.

(انظر فتاوى اللجنة الدائمة ٢١/ ١٠٤ / ١٠٥ بتصرف).

باب (هل رضاع الكبير يحرم؟)

١ـ روى الإمام مسلم عن عائشة قالت: جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم (وهو حليفه)

فقال النبي «أرضعيه».

قالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟

فتبسم رسول الله ﷺ وقال: قد علمت أنه رجل كبير.

(١٤٥٣) زاد عمر في حديثه (وكان قد شهد بدراً).

٢ـ وفي رواية لمسلم: فأتت النبي ﷺ فقالت: إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا وإني أظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً، فقال لها النبي ﷺ: «أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة». فرجعت فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة.

٣ـ وفي رواية قالت: يا رسول الله: إن سالماً معنا في بيتنا، وقد بلغ ما يبلغ الرجال وعلم ما يعلم الرجال، قال: «أرضعيه تحرمي عليه»

٤ـ وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: «أرضعيه» فقالت: يا رسول الله: إنه لذو لحية. فقال: «أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة». قالت: والله ما عرفته في وجه أبي حذيفة.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم (١٠/٣١): واختلف العلماء في هذه المسألة:

ـ قالت عائشة وداود: تثبت حرمة الرضاع برضاع البالغ كما تثبت

برضاع الطفل لهذا الحديث.

ـ وقال سائر العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار إلى الآن: لا يثبت إلا بإرضاع من له دون سنتين، إلا أبا حنيفة فقال: سنتين ونصف.

وقال زفر: ثلاث سنين. وعن مالك رواية سنتين وأيام.

ـ واحتج الجمهور: بقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

وبالحديث الذى ذكره مسلم بعد هذا «إنما الرضاعة من المجاعة» وبأحاديث مشهورة. وحملوا حديث سهلة على أنه مختص بها وبسالم.

وقد روى مسلم عن أم سلمة وسائر أزواج النبى ﷺ أنهن خالفن عائشة فى هذا. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «أرضعيه».

ـ قال القاضى: لعلها حلبته ثم شربه من غير أن يمس ثديها ولا التقت بشرتاهما وهذا الذى قاله القاضى حسن.

ويحتمل أنه عفى عن مسه للحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبر. والله أعلم.

** قال الشافعى رحمه الله تعالى فى الأم (٣٩١٥): هذا والله أعلم فى سالم مولى أبى حذيفة خاصة، ثم قال: فإن قال قائل: ما دل على ما وصفت؟ أى خصوصية سالم بهذا الحكم.

قال: فذكرت حديث سالم الذى يقال له مولى أبى حذيفة عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه أمر امرأة أبى حذيفة أن ترضعه خمس رضعات يحرم بهن، وقالت أم سلمة فى الحديث: وكان ذلك فى سالم خاصة.

وإذا كان هذا لسالم خاصة فالخاص لا يكون إلا مخرجاً من حكم العام وإذا كان مخرجاً من حكم العام فالخاص غير العام، ولا يجوز فى العام إلا أن يكون رضاع الكبير لا يحرم ولابد إذا اختلف الرضاع فى الصغير والكبير من طلب الدلالة على الوقت الذى إذا صار إليه المرضع فأرضع لم يحرم.

(فائدة فى حديث أبى حذيفة ورضاعة الكبير وعدد الرضعات)

١ـ روى الإمام مالك والإمام أحمد عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمر امرأة أبى حذيفة فأرضعت سالماً خمس رضعات وكان يدخل عليها بتلك الرضاعة. (ن ـ شفع ـ رزاق)

ـ وفى رواية لأحمد: أن أبا حذيفة تبنى سالماً وهو مولى لامرأة من الأنصار كما تبنى النبى زيداً وكان من تبنى رجلاً فى الجاهلية دعاه الناس ابنه، وورث ميراثه، حتى أنزل الله ﷻ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ فردوا إلى آبائهم، فمن لم يعلم له أب فمولى وأخ فى الدين، فجاءت سهلة فقالت: يا رسول الله كنا نرى سالماً ولداً يأوى معى ومع أبى حذيفة ويرانى فضلى، وقد أنزل الله ﷻ فيهم ما قد علمت فقال: «أرضعيه خمس رضعات فكان بمنزلة ولده من الرضاعة».

(مالك وأحمد). (د. خ فى المغازى).

معانى الكلمات:

فضلى: أى متبذلة فى ثوب مهنتها.

والفضل من الرجال والنساء الذى عليه ثوب واحد بغير إزار.

وقال ابن وهب: أى مكشوف الرأس.

وقال الشوكانى فى نيل الأوطار (٦/ ٣١٢): وقد استدل بأحاديث الباب من قال أنه لا يقتضى التحريم من الرضاع إلا خمس رضعات معلومات.

وإلى ذلك ذهب ابن مسعود وعائشة وعبدالله بن الزبير وعطاء وطاووس وسعيد بن جبير وعروة بن الزبير والليث بن سعد والشافعى وأحمد فى ظاهر مذهبه، وإسحاق وابن حزم وجماعة من أهل العلم وعلى ابن أبى طالب. وذهب الجمهور إلى أن الرضاع الواصل إلى الجوف يقتضى التحريم وإن قل.

باب (موقف أم المؤمنين عائشة من رضاع الكبير)

١- روى مسلم عن زينب بنت أم سلمة قالت: قالت أم سلمة لعائشة: إنه يدخل عليك الغلام الأيفع (هو الذى قارب سن البلوغ) الذى ما أحب أن يدخل علىّ.

فقالت عائشة: أما لك فى رسول الله أسوة؟

قالت: إن امرأة أبى حذيفة قالت: يا رسول الله إن سالماً يدخل علىّ وهو رجل. وفى نفس أبى حذيفة شىء، فقال رسول الله ﷺ: «أرضعيه حتى يدخل عليك».

٢- وفى رواية أن أم سلمة قالت لعائشة: والله ما تطيب نفسى ما يرانى الغلام قد استغنى عن الرضاعة. فقالت: لم؟

قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله فقالت يا رسول الله: إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم، فقالت: فقال رسول الله ﷺ: «أرضعيه» فقالت: إنه ذو لحية، فقال: «أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة» فقالت: والله ما عرفته في وجه أبي حذيفة.

(وممن وافق أم المؤمنين عائشة على قولها)

الليث بن سعد وعطاء بن أبي رباح وابن علية وداود الظاهري، والإمام أبو محمد بن حزم رحمه الله تعالى حيث قال في المحلى (١٠/١٧ وما بعدها): ورضاع الكبير محرم، ولو أنه شيخ يحرم كما يحرم رضاع الصغير ولا فرق.

وهذا مكان اختلف فيه الناس.

ثم ذكر رحمه الله أقوال أهل العلم وناقشها ثم ختم البحث بقوله: (فصح أن عائشة كان يدخل عليها الكبير إذا أرضعته في حال كبره أخت من أخواتها الرضاع المحرم، ونحن نشهد بشهادة الله عز وجل ونقطع بأنه تعالى لم يكن يبيح سرر رسول الله ينتهك من لا يحل له مع قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾.

فنحن نوقن بأن رضاع الكبير يقع به التحريم، وليس في امتناع سائرهن من أن يدخل عليهن بهذه الرضاعة شيء ينكر لأن مباحاً لهن أن لا يدخل عليهن من يحل له الدخول عليهن. وبالله تعالى التوفيق.

قلت: وهذا القول مردود ومرجوح بقول جماهير العلماء من الصحابة والتابعين وعلماء الأمصار وبما استدلوا به من أدلة واحتجوا به

من حجج. والله أعلم.

ويدل عليه موقف باقى أزواج النبى ﷺ كما يأتى.

* وأقول رداً على ابن حزم أن هذه المسألة بالنسبة لأم المؤمنين من مسائل الاجتهاد، وهى كانت أهلاً للاجتهاد وقد خالفت أمهات المؤمنين فى ذلك، وقد أخطأت فهى مأجورة بأجر واحد وليست آثمة فالمجتهد إذا أصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر كما ثبت به الحديث عن رسول الله ﷺ. وعائشة صديقة وليست نبياً. ولها فى النبيين الكريمين سليمان وداود أسوة، فقد أثنى الله عليهما بالعلم والحكمة وخص بفهم الحكم أحدهما.

باب (موقف باقى أزواج النبى من رضاع الكبير)

١ـ روى مسلم عن أم سلمة قالت: أبى سائر أزواج النبى ﷺ أن يدخلن عليهن أحداً بتلك الرضاعة.

وقلن لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله لسالم خاصة.

فما هو بداخل علينا أحد بهذه الرضاعة ولا رائينا. (١٤٥٤).

٢ـ روى النسائى ومالك وأحمد والبيهقى عن عروة بن الزبير قال: أبى سائر أزواج النبى أن يدخل عليهن بتلك الرضعة أحد من الناس يريد رضاعة الكبير.

وقلن لعائشة: والله ما نرى الذى أمر رسول الله سهلة بنت سهيل إلا رخصة فى رضاعة سالم وحده من رسول الله، والله لا يدخل عليهن أحد بهذه الرضعة ولا يرانا. (مالك ٢: ٦٠٥ ـ حم ٦ / ٢٦٩ ـ هق ٧ / ٤٥٩).

ونخلص مما سبق بالآتى :

* أن قول جماهير أهل العلم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وأزواج النبى إلا عائشة، أن رضاع الكبير لا يُحرم وأن حديث سالم واقعة عين خاصة بسالم مولى أبى حذيفة .

* والقول الثانى : هو قول أم المؤمنين عائشة والليث بن سعد وعطاء ابن أبى رباح وابن عُلية وداود الظاهرى وابن حزم أن رضاع الكبير يثبت به الحرمة على العموم. وهذا قول مردود بالكلية.

* وهناك قول ثالث لشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ذكره ابن القيم فى زاد المعاد الجزء الخامس.

حيث قال: أن حديث سهلة ليس بمنسوخ ولا مخصوص ولا عام فى كل أحد، وإنما هو رخصة للحاجة لمن لا يستغنى عن دخوله على المرأة، ويشق احتجابها عنه، كحال سالم مع امرأة أبى حذيفة.

فمثل هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثر رضاعه، وأما من عداه فلا يؤثر إلا رضاع الصغير.

وهذا مسلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، والأحاديث النافية للرضاع فى الكبير إما مطلقة فتقيد بحديث سهلة أو عامة فى الأحوال فتخصص هذه الحال من عمومها، وهذا أولى من النسخ ودعوى التخصيص بشخص بعينه، وأقرب إلى العمل بجميع الأحاديث من الجانبين وقواعد الشرع تشهد له، والله الموفق ا . هـ.

* قلت : وتظهر فائدة الأخذ بهذا القول فى مثل الحالات التى تقوم فيها أسرة بتربية طفل يتيم أو نحوه ثم يعسر عليهم بعد ذلك الاحتجاب

عنه وقد تربى معهم كواحد من أولاد الأسرة، فحينئذ يرتضع هذا الغلام ويصبح محرماً يدخل بلا حرج عليه ولا على الأسرة. والله أعلم.

* ويمكن الجمع بين قول الجمهور وقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن الأصل قول الجمهور بأن رضاع الكبير لايثبت به حرمة إلا فيمن كان حاله كحال سالم مولى أبي حذيفة ﷺ والله أعلم.

باب (رضاع الجدات يحرم ولو كان بعد سن اليأس)

وذلك لأن جماهير أهل العلم اشترطوا في الرضاع المحرم شرطين:

١ـ أن يكون في الحولين.

٢ـ أن يكون خمس رضعات فأكثر.

وهذا هو الصحيح، وماهية اللبن الذي ثاب عن وطء وحمل واللبن الذي لم يثب عن وطء وحمل، وإنما ثاب عن تتابع الرضاع كله ماهيته سواء وعناصره سواء فكله مغذ وكله يفتق الأمعاء وكله ينبت اللحم وينشز العظم.

فالتفريق بين اللبن الذي ثاب عن حمل وغيره تفريق بغير فارق.

وإذا كان الرضاع المحرم هو ما أنبت اللحم وأنشز العظم فكلا اللبنين منبت للحم ومنشز للعظم ومشبع ومغذ، فلما اتحدا فيما يترتب عليهما وهو علة الحكم اتحدا في التحريم. والله أعلم. باختصار من فتح الرب الودود (٢/ ٢٣٤).

** سئلت اللجنة الدائمة في الفتوى رقم (٨٨٧٦):

*س: رضع ولد من جدته لأبيه، وكان عمره عند الرضاع سنتين، وكان عمر جدته خمساً وسبعين سنة، وكان اللبن متغيراً ينقط تنقيطاً من الثدي، فأراد

هذا الولد الزواج من ابنة عمه شقيق أبيه، هل يجوز له الزواج منها؟.

* ج: الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات فأكثر فى الحولين، فإذا كان رضاع هذا الطفل كذلك فهو ابن لجدته من الرضاعة، وأخ لأبنائها وبناتها وعم لأبنائهم وبناتهم. قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾.. إلخ).

** وسئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (٥٢٩٧):

* س: يوجد امرأة رضعت من لبن جدتها أم أبيها وهى أى الجدة واقفة عن الحمل حيث أن زوجها متوفى له ثلاثون سنة، وتدعى هذه المرأة أنها أخت لعمها وأن عيال عمها يقولون: يا عمتنا ولا تتغطى عنهم، هل الرضاع الحاصل يحَوِّى أم لا؟

* ج: إذا نزل لهذه المرأة لبن من جدتها، وكان رضاعها منها خمس رضعات فأكثر فى الحولين صارت بنتاً لها من الرضاع وأختاً لجميع أولاد جدتها من الرضاع ولو كانت كبيرة السن وزوجها ميتاً، لأن المعتبر نزول اللبن لا السن ولا وجود زوج. وبالله التوفيق.

عضو	عضو
عبدالله بن قعود	عبدالله بن غديان
نائب الرئيس	الرئيس
عبدالرزاق عفيفى	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

** وفى الفتوى رقم (١٤٦٠٤) سؤال ملخصه أنه شاب رضع من جدته وهو صغير بعد أن انقطع عنها الإنجاب بخمس وعشرين سنة فهل هذا الرضاع يحرم ويصير به ابناً لها ويحرم عليه الزواج من ابنة عمه لأنه صار بذلك أخاً لعمه من الرضاعة؟

* الجواب: إذا كان الرضاع على ما وصف فى الفتوى السابقة فإنه لا يحل لك الزواج من ابنة عمك ولو كان اللبن النازل من ثدى جدتك خفيفاً وبعد مضى خمس وعشرين سنة من ولادتها.

(وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

مسألة: الرضيع إذا رضع من الجدة أو من المرأة وقد انقطع لبنها فلا تأثير له.

سئلت اللجنة الدائمة عن سؤال ملخصه أن رجلاً رضع من جدته أم أمه وهى عجوز لم يخرج منها لبن فهل يجوز له الزواج من ابنة خاله أم لا؟.

فأجابت اللجنة: إذا كان الأمر كما ذكر فى السؤال من أن الجدة التى رضع منها السائل لم ينزل منها لبن، فإنه يجوز له أن يتزوج بنت خاله المشار إليها فى السؤال، ولكن لابد من التأكد من أنه لم ينزل منها لبن وقت ارتضاعه منها، إما عن طريق المرضعة نفسها إن كانت على قيد الحياه أو عن طريق من يعرفها وقت ارتضاع السائل منها. (انظر الفتوى رقم ٣٤٧٨ فتاوى اللجنة الدائمة ٢١/ ٤٩٢٤٨).

قلت: وذلك مثل المرأة التى ليس فى ثديها لبن، ولكنها تلقم طفلاً ثديها لتوهمه أن فيه لبن لتسكته ونحو ذلك فهذا الرضاع لا يثبت به حرمة ولا تأثير له لعدم وجود اللبن. والله أعلم.

مسألة: إذا كان الخارج من ثدى الجدة أو المرأة ماء وليس لبناً فلا يثبت به حرمة ولا تأثير له.

سئلت اللجنة الدائمة عن سؤال ملخصه أن رجلاً رضع من جدته لأبيه وكان الذى يخرج من ثديها ماء وليس لبناً، فهل يحل له الزواج من ابنة عمه أم أنه صار أخاً لعمه من الرضاعة؟

فأجابت اللجنة: لا عمل على الرضاع المذكور ولا حرج فى تزويج ابن أخيك من ابنتك لاعتراف الجدة بأن الخارج منها ماء وليس لبناً ولإنكارها خروج شىء منها فيما بعد. وبالله التوفيق.

(وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

باب (فائدة فى رضاع الجدات)

قال النجمى حفظه الله فى فتح الرب الودود (٢ / ٢٣١): (إذا رضع ابن الابن أو ابن البنت من جدته رضاعاً كاملاً حرمن عليه بنات خالاته وبنات أخواله وبنات عماته وبنات أعمامه).

قلت:

١ـ إذا رضع ابن الابن من جدته لأبيه صار أخاً لأبيه وأعمامه وعماته من الرضاعة وبناءً عليه:

يحرم عليه الزواج ببنات أعمامه لأنه صار عماً لهن من الرضاع.
ويحرم عليه الزواج ببنات عماته لأنه صار خالاً لهن من الرضاع.

٢ـ وإذا رضعت بنت الابن من جدتها لأبيها صارت أختاً لأبيها وأعمامها وعماتها من الرضاعة وبناء عليه:

يحرم عليها الزواج من أبناء عمها لأنها صارت عمة لهم من الرضاعة.

ويحرم عليها الزواج من أبناء عماتها لأنها صارت خالة لهم من الرضاعة.

٣- إذا رضع ابن الابن من جدته لأمه صار أخاً لأمه وأخواله وخالاته من الرضاع وبناءً عليه:

يحرم عليه الزواج من بنات خاله لأنه صار عمًا لهن من الرضاعة.

ويحرم عليه الزواج من بنات خالاته لأنه صار خالاً لهم من الرضاعة.

٤- إذا رضعت بنت الابن من جدتها لأمها صارت أختاً لأمها وخالاتها وأخوالها من الرضاعة وبناءً عليه:

يحرم عليها الزواج من أبناء خالاتها لأنها صارت خالة لهم من الرضاعة.

ويحرم عليها الزواج من أبناء أخوالها لأنها صارت عمة لهم من الرضاعة.

هذا والله تعالى أعلم.

وسئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٢٩٠٠):

* س: لى أخ قد رضع من جدته من ناحية الأم أكثر من عشرين رضعة فهل يحق له الميراث من جدته، وهل يحق له الزواج من بنات خاله أو بنات خالاته، وهل يحق لى أن أتزوج منهن؟

* ج: الرضاع المحرم ما كان خمس رضعات فأكثر فى الحولين، فإذا كان رضاع أخيك من جدته كذلك فهو ابن للجدة من الرضاعة، وأخ لجميع أولادها ولا يحل له الزواج من بنات خاله أو خالاته، لأنهن بنات أخوته من الرضاعة ولا يحق له أن يرث من جدته للرضاعة المذكورة لأن الرضاع ليس من أسباب الميراث، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾

إلى قوله: ﴿وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ﴾ وقال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وثبت عن النبى ﷺ قال: «الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة» وثبت من حديث عائشة قالت: (كان فيما نزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخن بخمس معلومات، فتوفى رسول الله والأمر على ذلك) علماً أن الرضعة هى أن يمسك الطفل الثدى ثم يمص منه لبناً فإن تركه وعاد ومص لبناً فرضعة ثانية وهكذا.

وأما من لم يرضع من أخوان أخيك فيحل لهم الزواج من بنات أخوالكم وخالاتكم ولا أثر لرضاعة أخيكم المذكورة على هذا الزواج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب (لو نزل للبكر لبن وشرب منه طفل هل يصير ولداً لها من الرضاع؟)

قال الإمام الشافعى فى (الأم ٤/ ٤٢): (لو أن بكراً لم تمس بنكاح ولا غيره أو ثيباً ولم يعلم لواحدة منهما حمل، ونزل لهما لبن فحلب فخرج لبن فأرضعت به مولوداً خمس رضعات كان ابن كل واحدة منهما ولا أب له، وكان فى غير معنى ولد الزنا، وإن كانت له أم ولا أب له، لأن لبنه الذى أرضع به لم ينزل من جماع).

قال ابن قدامة فى المغنى (٧/ ٥٤٦): (فصل): وإن ثاب لامرأة لبن من غير وطء فأرضعت به طفلاً نشر الحرمة فى أظهر الروايتين، وهو قول ابن حامد ومذهب مالك، والثورى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى، وكل من يحفظ عنه ابن المنذر لقول الله تعالى: ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ

ٱلَّتِىٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾ ولأنه لبن امرأة فتعلق به التحريم كما لو ثاب بوطء ولأن ألبان النساء خلقت لغذاء الأطفال فإن كان هذا نادراً، فجنسه معتاد.

والرواية الثانية: لا تنشر الحرمة لأنه نادر لم تجر به العادة به لتغذية الأطفال فأشبه لبن الرجال.

والأول أصح..

قلت: والراجح ما ذكره ابن قدامة والإمام الشافعى من أنه يثبت به الحرمة إذا استوفى خمس رضعات فأكثر وفى الحولين. والله أعلم.

باب (لو شرب رجل وامرأة من بهيمة واحدة فهل يعتبرا إخوة من الرضاعة؟. أى هل لبن البهيمة يحرم؟)

قال الإمام الشافعى رحمه الله فى الأم (٥ / ٣٧): لو شرب غلام وجارية لبن بهيمة من شاة أو بقرة أو ناقة لم يكن هذا رضاعاً، إنما هذا كالطعام والشراب، ولا يكون محرماً بين من شربه، وإنما يحرم لبن الآدميات لا البهائم.

وقال الله تعالى: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ﴾.

وقال فى الرضاعة: ﴿فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

باب (هل التبرع بالدم له حكم الرضاع والحرمة؟)

سئل الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: إذا احتاجت امرأة إلى الدم، وأخذ لها من شخص أجنبى عنها ثم عوفيت ورغب ذلك

الشخص فى التزوج بها، فهل يجوز هذا؟

الجواب: قال: نعم يجوز للإنسان أن يتزوج بامرأة أخذ لها من دمه، لأن الدم ليس لبناً حتى يقول إنه يحرم.

والمحرم هو اللبن بشرط أن يكون قبل الفطام فى الحولين. وقد ثبت عن النبى ﷺ أنه قال: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب».

(فتاوى إسلامية ٣/ ١٣٤، ١٣٥).

قلت: وكذلك من تبرع بعضو من أعضاء جسده كالكلية ونحوها لا يصير أخاً للمتبرع إليه ولا يندرج تحت أحكام الرضاع ولا تثبت به أخوة ولا محرمية. والله أعلم.

** هل تثبت الحرمة باللبن الصناعى؟ **

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٣٥٨٧):

* س: هل جائز أن ترضع الأم طفلها من حليب النيدو أو حليب مثله إذا كان حليب الأم غير كافى لتغذية الطفل؟

* ج: لا مانع من إرضاع الأم لطفلها من الحليب الصناعى ولا ينشر هذا الحليب الرضاع المحرم.

وسئلت فى الفتوى رقم (٣٠٨٥١):

* س: هل جميع الأطفال الذين يشربون الحليب الصناعى يكونون إخوة لكونه حليباً واحداً؟

* ج: لا يكونون بذلك إخوة، لأنه ليس فى حكم الرضاع المحرم شرعاً.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

(إذا خلط لبن المرأة بلبن صناعى أو شىء آخر هل يثبت به التحريم؟)

سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (٢١٠٥٧):

* س: امرأة أرضعت طفلاً من لبنها ولكنها لم ترضعه من ثديها مباشرة، وإنما وضعت اللبن فى رضاعة وخلطته بلبن صناعى ثم أرضعته، فهل يؤثر هذا اللبن ويجعل الطفل ولداً لها؟ وكيف تحسب الرضعات فى هذه الحالة؟

* ج: لبن المرأة المشوب بغيره من لبن صناعى أو ماء أو نحو ذلك له حكم اللبن الخالص إذا كانت صفات اللبن باقية، لأنه متى كانت الصفات ظاهرة فقد حصل شربه ويحصل منه إنبات اللحم وإنشاز العظم، كما يحصل الارتضاع المباشر للبن الخالص من الثدى، فوجب أن يساويه فى التحريم لعموم الأدلة كقول النبى ﷺ: «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب». وقوله ﷺ: «لا رضاع إلا ما أنشز العظم وأنبت اللحم» وتحسب الرضعة بترك الطفل الرضاعة لانتقال من ثدى إلى ثدى أو تنفس. فكلما توقف حسبت رضعة واحدة وهكذا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو
بكر أبوزيد	صالح الفوزان
عضو	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ

باب (هل يجوز تبرع النساء باللبن ليحفظ في المستشفيات لتغذية الأطفال «كبنك الدم ؟»)

وجه سؤال من وزير الصحة السعودى إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء قال فيه: نظراً إلى قيام بعض الأطباء بتغذية الأطفال بحليب طبيعي مستحلب من بعض الأمهات اللاتى لهن أطفال فى القسم حيث يحفظ الحليب فى الثلاجة ويعطى لطفل آخر دون معرفة الأم أو معرفة ذوى الطفل بحجة أن الحليب الطبيعي يساعد على الوقاية من الأمراض، آمل من سماحتكم إفادتنا عن الحكم الشرعى فى هذا الموضوع.

الجواب: وبعد دراسة اللجنة له أجابت بما يلى: (لا يجوز شرعاً استحلاب الأمهات والاحتفظ بحليبهن وتغذية طفل آخر به، لما فى ذلك من الجهالة المؤدية إلى هتك حرمات الرضاع التى يقع بها التحريم شرعاً من جهة المرضعة ومن جهة صاحب اللبن ومن جهة الرضيع إذ أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وقد قال النبي ﷺ: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

وبناءً على ذلك لا يجوز إنشاء بنوك لجمع حليب النساء لإرضاعه للأطفال المحتاجين لذلك.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (انظر الفتوى رقم ١٥٩٩٠).

عضو	عضو	عضو
بكرأبوزيد	عبدالعزيزآل الشيخ	صالح الفوزان
عضو	نائب الرئيس	الرئيس
عبدالله بن غديان	عبدالرزاق عفيفي	عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

باب (الأحكام المترتبة على التحريم بالرضاع)

قال الحافظ في الفتح (٩/ ٤٥٢٤٤): قوله (الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة) أي وتبيح ما تبيح وهو بالإجماع فيما يتعلق بتحريم النكاح وتوابعه وانتشار الحرمة بين الرضيع وأولاد المرضعة وتنزيلهم منزلة الأقارب في جواز النظر والخلوة والمسافرة.

ولكن لا يترتب عليه باقي أحكام الأمومة من التوارث ووجوب الإنفاق والعتق بالملك والشهادة والقتل وإسقاط القصاص.

قال القرطبي: في حديث عم حفصة: في الحديث دلالة على أن الرضاع ينشر الحرمة بين الرضيع والمرضعة وزوجها يعني الذي وقع الإرضاع بين ولده منها أو السيد.

فتحرم على الصبي لأنها تصير أمه، وأمها لأنها تصير جدته فصاعداً، وأختها لأنها خالته وبنت بنتها فنازلاً لأنها بنت أخته، وبنت صاحب اللبن لأنها أخته، وبنت بنته فنازلاً لأنها بنت أخته وأمه فصاعداً لأنها جدته، وأخته لأنها عمته.

ولا يتعدى التحريم إلى أحد من قرابة الرضيع: فليست أخته من الرضاعة أختاً لأخيه ولا بنتاً لأبيه إذ لا رضاع بينهم.

والحكمة في ذلك أن سبب التحريم ما ينفصل من أجزاء المرأة وزوجها وهو اللبن، فإذا اغتذى به الرضيع صار جزءاً من أجزائهما فانتشر التحريم بينهم، بخلاف قرابات الرضيع لأنه ليس بينهم وبين المرضعة ولا زوجها نسب ولا سبب. والله أعلم.

وسئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٠٨٣٩):

* س: واحد يريد أن يتزوج من ابنة عمه ولكن أخاها رضع من أخته، أما الفتاة والفتى اللذان يريدان الزواج فهما لم يرضعا، الفتاة لم ترضع من أمه والفتى لم يرضع من أمها.

* ج: إذا كان الأمر كما ذكر جاز للفتى المذكور الزواج من ابنة عمه ولا أثر لرضاع أخيها من لبن أخت الفتى على هذا الزواج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وسئلت اللجنة فى الفتوى رقم (٩١٦٩):

* س: اثنان إخوة الأخ الأصغر رضع مع طفلة خطبها أخوه الأكبر فهل يجوز هذا الزواج أم لا؟

* ج: إذا كان الأمر كما ذكر وأن رضاع الأخ الأصغر مع الطفلة من أمها فيجوز للأخ الأكبر الزواج من البنت المذكورة ولا أثر لرضاع الأخ الأصغر على الزواج.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب (مسائل وفوائد متنوعة فى الرضاع)

١ـ رجل رضع من امرأة فهل يجوز لأخيه أن يتزوج من بناتها الذين هن أخوات من الرضاعة لأخيه؟

الجواب: نعم يجوز لهذا الأخ أن يتزوج من هؤلاء البنات حيث أنه ليس أخاً لهن من الرضاعة، وإنما أخوه هو الذى يحرم عليهن لأنه أخوهن وهن أخواته من الرضاعة.

٢ـ قاعدة: (التحريم في الرضاعة يكون مقصوراً على الراضع ولا يتعداه إلى إخوته الذين لم يرضعوا. (فتح الرب الودود ٢/ ٢٢٦) للنجمي.

٣ـ قاعدة: (التحريم يكون مقصوراً على الراضع ونسله، أما الشك في الرضاع وعدمه فلا ينبنى عليه تحريم لأن الأصل عدمه، ولا ينتقل من الأصل إلا بيقين). (فتح الرب الودود٢ / ٢٢٨)

٤ـ قاعدة: (لا يشترط في اللبن أن يكون من ولادة حديثة في الحولين أو أقل) فلو أن امرأة ولدت منذ ثلاث سنين أو أكثر وفى ثديها لبن ورضع منها رضيع صارت له أماً من الرضاعة وصار أبناؤها إخوة له من الرضاع وصار هو أخاً لهم من الرضاع.

٥ـ قاعدة: (الرضاع تسرى حرمته فى الراضع وفروعه دون أصوله وحواشيه).

الأصول هم: الآباء والأمهات.

الحواشي: الأخوة والأخوات.

والفروع هم: البنون والبنات.

وعلى هذا فإنه لا بأس أن يتزوج أخوه من بنت أخته من الرضاع. وبالله التوفيق. فتح الرب الودود (٢ / ٢٣٠).

وقد سئلت اللجنة الدائمة فى الفتوى رقم (١٧٤١٠):

* س: فيه امرأة قد أرضعت أحد أولادى، هل يحل لى أن أتزوج من بناتها؟

* ج: إذا كان الأمر كما ذكر جاز لك الزواج من احدى بنات هذه المرأة التى أرضعت أحد أولادك ولا أثر لرضاعة ولدك من المرأة على

زواجك من إحدى بناتها.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

باب (عقوبة وجزاء من تزوج بإحدى محارمه من الرضاعة أو النسب أو علم ولم يفارقها)

١ـ روى أبو داود عن البراء قال: لقيت عمي ومعه راية فقلت له: أين تريد؟ قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمرني أن أضرب عنقه وآخذ ماله. (٤٤٥٧ ـ ن. ت. هق. ك. حب. جم منصور).

٢ـ وفي رواية عن البراء بن عازب قال: بينما أنا أطوف على إبل لي ضلت إذ أقبل ركب أو فوارس معهم لواء فجعل الأعراب يطيفون بي لمنزلتي من النبي إذ أتوا قبة فاستخرجوا منها رجلاً فضربوا عنقه، فسألت عنه فذكروا أنه أعرس بامرأة أبيه. (د ٤٤٥٦ ـ منصور ٩٤٢ ـ قط ٣/ ١٩٦ ـ ك ٤/ ٣٥٧ وصححه الذهبي) ت١٣٦٢ الأحكام فيمن تزوج بامرأة أبيه.

٣ـ وفي رواية عند النسائي والبيهقي عن معاوية بن قرة عن أبيه أن النبي ﷺ بعث أباه جد معاوية إلى رجل عرس بامرأة أبيه فأمره فضرب عنقه وخمس ماله. (ن ٤/ ٢٩٦، هق ٨/ ٢٠٨) جه الحدود ٧/ ٢٦ باب من تزوج امرأة أبيه من بعده ـ ن في النكاح ٣٣٣٣ باب نكاح ما نكح لأباه. ـ ت الأحكام ١٣٦٢ باب فيمن تزوج امرأة أبيه).

٤ـ قلت: والشاهد من ذلك أن النبي ﷺ أمر بقتل من نكح إحدى محارمه والمحرمات عليه.

••••• وبالله التوفيق •••••

من كليات رسائل النور ٥

مرشد أخوات الآخرة

تأليف
بديع الزمان
سعيد النورسي

شركة سوزلر للنشر

ترجمة
سان قاسم الصالحي

مرشد إخوان الآخرة

- الترقيم الدولي : 977-5323-67-3
- رقـم الإيداع : ٢٠٠٤/٩١٣٥
- الطبعة الرابعة : (٢٠٠٤)

- حقوق الطبع محفوظة للناشر

- النـــاشـــر : شركة سوزلر للنشر
- العـــنـــوان : ٣٠ شارع جعفر الصادق ـ الحي السابع ـ مدينة نصر ـ القاهرة جمهورية مصر العربية

تليـفـــون : ٢٦٠٢٩٣٨ (٢٠٢) +

تليفـاكـــس : ٢٦٣٠٥٣١ (٢٠٢) +

30 Gafar EL-Sadek St., 7th Nasr City

Cairo – Egypt.

Tel. : + 202 2602938

Telefax : + 202 2630531

http : // www.sozler.com.tr

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت: ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم: ٧١

من كليات رسائل النور (٥)

مرشد إخوان الآخرة

٢٥٤،١
ن س م

تأليف
بديع الزمان
سعيد النورسي

SÖZLER PUBLICATIONS

ترجمة
إحسان قاسم الصالحي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حوار مع المؤمنات، اخواتي في الآخرة

باسمه سبحانه

حينما كنت اشاهد في عدد من الولايات اهتمام النساء برسائل النور اهتماماً حاراً خالصاً وعلمت اعتمادهن على دورسي التي تخص النور بما يفوق حدي بكثير، جئت مرة ثالثة الى مدرسة الزهراء المعنوية، هذه المدينة المباركة «اسپارطة»، فسمعت ان اولئك النساء الطيبات المباركات، اخواتي في الآخرة، ينتظرن مني ان القي عليهن درسا، على غرار ما يلقى في المساجد من دروس الوعظ والارشاد. بيد أني اعاني امراضاً عدة، مع ضعف وانهاك شديدين حتى لا استطيع الكلام ولا التفكر. ومع ذلك فقد سنحت بقلبي هذه الليلة خاطرة قوية، هي:

انك قد كتبت قبل خمس عشرة سنة رسالة (مرشد الشباب) بطلب من الشباب انفسهم، وقد استفاد منها الكثيرون، بينما النساء هن احوج الى مثل هذا «المرشد» في هذا الزمان.

فازاء هذه الخاطرة وعلى الرغم مما اعانيه من اضطراب ومن عجز

وضعف كتبت في غاية الاختصار لأخواتي المباركات ولبناتي المعنويات الشابات بعض ما يلزمهن من مسائل، ضمن نكات ثلاث.

النكتة الاولى:

لما كان اهم اساس من اسس رسائل النور هو «الشفقة» وان النساء هن رائدات الشفقة وبطلات الحنان، فقد اصبحن اكثر ارتباطاً برسائل النور فطرة. فهذه العلاقة الفطرية تُحس بها في كثير من الاماكن ولله الحمد والمنة.

ولقد غدت التضحية التي تنطوي عليها الشفقة والحنان ذات اهمية عظمى في زماننا هذا، اذ انها تعبر عن اخلاص حقيقي وفداء دون عوض ومقابل.

نعم! ان فداء الأم بروحها انقاذاً لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر، وتضحيتها بنفسها باخلاص حقيقي لاولادها باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة في النساء، بحيث يستطعن ان ينقذن حياتهن الدنيوية والاخروية بانكشاف هذه البطولة وانجلائها في انفسهن، إلا ان تيارات فاسدة تحول دون ظهور تلك السجية القيمة القويمة وتمنع انكشافها، او تصرف تلك التيارات هذه السجية الطيبة الى غير محالها فتسئ استعمالها.

نورد هنا مثالا واحدا من مئات امثلتها:

ان الوالدة الحنون تضع نصب عينها كل فداء وتضحية لتمنع عن ولدها المصائب والهلاك، لتجعله سليماً معافىً يستفيد في الدنيا. فتربي ولدها على هذا الاساس، فتنفق جميع اموالها ليكون ابنها عظيماً وسيداً آمراً. فتراها تأخذ ولدها من المدارس العلمية الدينية وترسله الى اوروبا، من دون ان تفكر في حياة ولدها الابدية التي تصبح مهددة بالخطر.

فهي اذ تسعى لتنقذه من سجن دنيوي، لا تهتم بوقوعه في سجن جهنم الابدي، فتتصرف تصرفا مخالفا لفطرتها مخالفة كلية، اذ بدلا من ان تجعل ولدها البرئ شفيعا لها يوم القيامة تجعله مدعياً عليها، اذ سيشكو ذلك الولد هناك قائلا لها: «لِمَ لم تقوى ايماني حتى سببت في هلاكي هذا؟!».

وحيث انه لم يأخذ قسطاً وافراً من التربية الاسلامية، فلا يبالي بشفقة والدته الخارقة، بل قد يقصر في حقها كثيراً.

ولكن اذا ما سعت تلك الوالدة الى انقاذ ولدها الضعيف من السجن الابدي الذي هو جهنم، ومن الاعدام الابدي الذي هو الموت في الضلالة، بشفقتها الحقيقية الموهوبة دون الاساءة في استعمالها، فان ولدها سيوصل الانوار دوما الى روحها بعد وفاتها،

اذ يسجل في صحيفة اعمالها مثل جميع الحسنات التي يعملها الولد. كما سيكون لها ولدا طيبا مباركا ينعمان معا في حياة خالدة، شفيعا لها عند الله ما وسعته الشفاعة، لا شاكيا منها ولامدعيا عليها.

نعم! ان اول استاذ الانسان واكثر من يؤثر فيه تعليماً، انما هو والدته.

سأبين بهذه المناسبة هذا المعنى الذي احسسه دائماً احساسا قاطعا في شخصي، وهو:

اقسم بالله ان ارسخ درس اخذته، وكأنه يتجدد عليّ، انما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية، حتى استقرت في اعماق فطرتي واصبحت كالبذور في جسدي، في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم اني قد اخذت دروساً من ثمانين الف شخص، بل ارى يقينا ان سائر الدروس انما تبنى على تلك البذور.

بمعنى اني اشاهد درس والدتي – رحمها الله – وتلقيناتها لفطرتي وروحي وانا في السنة الاولى من عمري، بذور اساس ضمن الحقائق العظيمة التي اراها الآن وانا في الثمانين من عمري.

مثال ذلك:

ان «الشفقة» التي هي اهم اساس من الاسس الاربعة في

مسلكي ومشربي في الحياة.. وان «الرأفة والرحمة» التي هي حقيقة عظمى ايضاً من حقائق رسائل النور، اشاهدهما يقينا بانهما نابعتان من افعال تلك الوالدة الرؤوف ومن احوالها الشفيقة ومن دروسها المعنوية.

نعم! ان الشفقة والحنان الكامنين في الامومة والتي تحملها باخلاص حقيقي وتضحية وفداء قد أسئ استعمالها في الوقت الحاضر، اذ لا تفكر الام بما سينال ولدها في الآخرة من كنوز هي اثمن من الالماس، بل تصرف وجهه الى هذه الدنيا التي لاتعدل قطعاً زجاجية فانية، ثم تشفق على ولدها وتحنو عليه في هذا الجانب من الحياة. وما هذا الا اساءة في استعمال تلك الشفقة.

ان مما يثبت بطولة النساء في تضحيتهن العظيمة دون انتظار لأجر ولاعوض، من دون فائدة يجنينها لانفسهن ومن دون رياء واظهار لأنفسهن، هي استعدادهن للفداء بأرواحهن لأجل الولد، اقول ان مما يثبت ذلك هو ما نراه في الدجاجة التي تحمل مثالا مصغراً من تلك الشفقة، شفقة الامومة وحنانها، فهي تهاجم الاسد، وتفدي بروحها، حفاظا على فراخها الصغار.

وفي الوقت الحاضر، ان ألزم شئ واهم اساس في التربية

الاسلامية واعمال الآخرة، انما هو «الاخلاص» فمثل هذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الاخلاص الحقيقي.

فاذا ما بدت هاتان النقطتان في تلك الطائفة المباركة، طائفة النساء، فانهما سيكونان مدار سعادة عظمى في المحيط الاسلامي.

اما تضحية الآباء فلا تكون دون عوض قطعاً، وانما تطلب الاجر والمقابل من جهات كثيرة تبلغ المائة، وفي الاقل تطلب الفخر والسمعة. ولكن مع الاسف فان النساء المباركات يدخلن الرياء والتملق بطراز آخر وبنوع آخر نتيجة ضعفهن وعجزهن، وذلك خلاصا من شر ازواجهن الظلمة وتسلطهم عليهن.

النكتة الثانية:

لما كنت في هذه السنة معتزلا الناس مبتعداً عن الحياة الاجتماعية، نظرت الى الدنيا نزولا عند رغبة اخوة واخوات من النوريين، فسمعت من اغلب من قابلني من الاصدقاء، شكاوى عن حياتهم الاسرية. فتأسفت من الاعماق وقلت: «او دَبّ الفسادُ في هذه الحياة ايضاً؟ ان الحياة الاسرية هي قلعة الانسان الحصينة، ولاسيما المسلم، فهي كجنته المصغرة ودنياه الصغيرة».

فتشت عن السبب الذي ادى الى فسادها. وعلمت ان هناك منظمات سرية تسعى لاضلال الشباب وافسادهم بتذليل سبل

الشهوات امامهم وسوقهم الى السفاهة والغواية لافساد المجتمع الاسلامي والاضرار بالدين الاسلامي، كما احسست ان منظمات ايضاً تعمل في الخفاء وتسعى سعياً جاداً مؤثراً لدفع الغافلات من النساء اللطيفات الى طرق خاطئة آثمة. وادركت ان ضربة قاصمة على هذه الامة الاسلامية تأتي من تلك الجهة.

فانا ابين بيانا قاطعا، يا اخواتي ويا بناتي المعنويات الشابات!

ان العلاج الناجع لانقاذ سعادة النساء من الافساد في دنياهن واخراهن معا، وان الوسيلة الوحيدة لصون سجاياهن الراقية اللاتي في فطرتهن من الفساد، ليس الا في تربيتهن تربية دينية ضمن نطاق الاسلام الشامل.

انكن تسمعن ما آلت اليه حال تلك الطائفة المباركة في روسيا!

وقد قيل في جزء من رسائل النور:

ان الزوج الرشيد لا يبني محبته لزوجته على جمال ظاهري زائل لايدوم عشر سنوات، بل عليه ان يبني مودته لها على شفقتها التي هي اجمل محاسن النساء وادومه، ويوثقها بحسن سيرتها الخاصة بانوثتها، كي تدوم محبته لها كلما شابت تلك الزوجة الضعيفة، اذ هي ليست صاحبته ورفيقته في حياة دنيوية مؤقتة، وانما هي رفيقته المحبوبة في حياة ابدية خالدة. فيلزم ان يتحابا باحترام ازيد ورحمة

أوسع، كلما تقدما في العمر. اما حياة الاسرة التي تتربى في احضان المدنية الحديثة فهي معرضة للانهيار والفساد، حيث تبنى العلاقة فيها على صحبة مؤقتة يعقبها فراق ابدي.

وكذلك قيل في جزء من رسائل النور:

ان السعيد هو ذلك الزوج الذي يقلد زوجته الصالحة، فيكون صالحا مثلها، لئلا يفقد رفيقته في حياة ابدية خالدة.

وكم هي سعيدة تلك الزوجة التي ترى زوجها متدينا فتتمسك بأهداب الدين لئلا تفقد رفيقها الابدي، فتفوز بسعادة آخرتها ضمن سعادة دنياها!

وكم هو شقي ذلك الزوج الذي يتبع زوجته التي ارتمت في احضان السفاهة فيشاركها ولا يسعى لانقاذها!

وما اشقاها تلك الزوجة التي تنظر الى فجور زوجها وفسقه وتقلده بصورة اخرى!

والويل ثم الويل لذينك الزوجين اللذين يعين كل منهما الآخر في دفعه الىٰ النار، اي يغري كل منهما الآخر للانغماس في زخارف المدنية.

وفحوى هذه الجمل التي وردت بهذا المعنى في رسائل النور هو:

انه لايمكن ان يكون – في هذا الزمان – تنعّم بحياة عائلية وبلوغ لسعادة الدنيا والآخرة وانكشاف لسجايا راقية في النساء الا بالتأدب بالآداب الاسلامية التي تحددها الشريعة الغراء.

ان اهم نقطة وجانب في حياة الاسر في الوقت الحاضر هي:

انه اذا ما شاهدت الزوجة فسادا في زوجها وخيانة منه وعدم وفاء، فقامت هي كذلك – عنادا له – بترك وظيفتها الاسرية وهي الوفاء والثقة فتفسدهما، يختل عندئذ نظام تلك الاسرة كليا ويذهب هباء منثوراً، كالاخلال بالنظام في الجيش.

فلابد للزوجة ان تسعى جادة لإكمال نقص زوجها واصلاح تقصيره كي تنقذ صاحبها الابدي، والا فهي تخسر وتتضرر في كل جانب اذا ما حاولت اظهار نفسها وتحبيبها للآخرين بالتكشف والتبرج، لان الذي يتخلى عن الوفاء يجد جزاءه في الدنيا ايضاً. لان فطرتها تتجنب غير المحارم وتشمئز منهم. فهي تحترز من ثمانية عشرة شخصاً من كل عشرين شخصاً اجنبياً، بينما الرجل قد لا يشمئز من النظر الى امرأة واحدة من كل مائة اجنبية.

فكما ان الزوجة تعاني من العذاب من هذه الجهة فهي تضع نفسها موضع اتهام ايضا بعدم الوفاء وفقدان الثقة والوفاء فلاتستطيع الحفاظ على حقوقها فضلا عن ضعفها.

حاصل الكلام:

كما ان النساء لايشبهن الرجال – من حيث الشفقة والحنان – في التضحية ولا في الاخلاص، وان الرجال لا يبلغون شأوهن في التضحية والفداء. كذلك لاتدرك المرأة الرجلَ في السفاهة والغي بأي وجه من الوجوه، لذا فهي تخاف كثيراً بفطرتها وخلقتها الضعيفة من غير المحارم وتجد نفسها مضطرة الى الاحتماء بالحجاب. ذلك لان الرجل اذا غوى لاجل تلذذ ثماني دقائق لا يتضرر الا بضع ليرات، بينما المرأة تجازى على ثماني دقائق من اللذة بثقل ثمانية اشهر وتتحمل تكاليف تربية طفل لا حامي له طوال ثماني سنوات. بمعنى ان المرأة لاتبلغ مبلغ الرجال في السفاهة، وتعاقب عليها اضعاف اضعاف عقاب الرجل.

ان هذه الحوادث ليست نادرة وهي تدل على ان النساء مخلوقات مباركات خُلقن ليكنّ منشأً للاخلاق الفاضلة، اذ تكاد تنعدم فيهن قابلية في الفسق والفجور للتمتع باذواق الدنيا. بمعنى ان النساء نوع من مخلوقات طيبات مباركات، خلقن لاجل قضاء حياة اسرية سعيدة ضمن نطاق التربية الاسلامية.

فتباً وسحقاً لتلك المنظمات التي تسعى لافساد هؤلاء الطيبات.

واسأله تعالى ان يحفظ اخواتي من شرور هؤلاء السفهاء الفاسدين.. آمين..

اخواتي! اقول لكُنَّ هذا الكلام بشكل خاص:

اعملن على كسب نفقاتكن بعمل ايديكن كما تفعل نساء القرى الطيبات واكتفين بالاقتصاد والقناعة المغروزتين في فطرتكن. وهذا اولى من امتهان انفسكن بسبب هموم العيش بالرضوخ لسيطرة زوج فاسد، سيئ الخلق، متفرنج. واذا ما كان حظ احداكن وقسمتها زوجا لا يلائمها، فلترض بقسمتها ولتقنع، فعسى الله ان يصلح زوجها برضاها وقناعتها. والاّ ستراجع المحاكم لاجل الطلاق – كما اسمع في الوقت الحاضر – وهذا لا يليق قطعاً بعزة الاسلام وشرف الامة.

النكتة الثالثة:

اخواتي العزيزات!

اعلمن قطعاً! ان الاذواق والمتع الخارجة عن حدود الشرع فيها من الآلام والمتاعب اضعاف اضعاف لذائذها. وقد اثبتت رسائل النور هذه الحقيقة بمئات من الدلائل القوية والحوادث القاطعة. ويمكنكن ان تجدن تفاصيلها في رسائل النور.

فمثلاً: الكلمة السادسة والسابعة والثامنة من «الكلمات الصغيرة» و«مرشد الشباب» تبين لكن هذه الحقيقة بوضوح تام نيابة عني. فعليكن اذاً القناعة والاطمئنان والاكتفاء بما في حدود الشرع من اذواق ولذائذ، فملاطفة اولادكن الابرياء ومداعبتهم ومجالستهم في بيوتكن متعة نزيهة تفضل مئات المرات متعة السينما.

واعلمن يقيناً! ان اللذة الحقيقية في هذه الدنيا انما هي في الايمان وفي حدود الايمان. وان في كل عمل صالح لذة معنوية، بينما في الضلالة والغي آلاما منغصة في هذه الدنيا ايضاً. هذه الحقيقة اثبتتها رسائل النور بمئات من الادلة القاطعة. فانا شخصياً شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة وحوادث عديدة: ان في الايمان بذرة جنة، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم. وقد كتبت هذه الحقيقة مرارا في رسائل النور حتى عجز اعتى المعاندين والخبراء الرسميون والمحاكم عن جرح هذه الحقيقة.

فلتكن الآن «رسالة الحجاب» في المقدمة و«مرشد الشباب» و«الكلمات الصغيرة» نائبة عني في القاء الدرس عليكن يا اخواتي الطيبات المباركات ويا من هن بمثابة بناتي الصغيرات. فلقد سمعت انكن ترغبن في ان القي عليكن درساً في الجامع، ولكن مرضي

الشـديد، فضـلاً عن ضعفـي الشديد، واسـباب اخـرى، تحول دون ذلك. لذا فـقـد قررت ان اجـعلكن يا اخـواتي اللاتـي تقـرأن درسي هذا الذي كتبته لكنّ مشـاركات لي في جميع مكاسبي المعنوية وفي دعواتي، كطلاب النور.

واذا اسـتطعتن الحصـول على رسـائل النور وقرأتـنها او اسـتمـعتن اليها، نيابة عني، فانكن تصبحن مشاركات لإخوانكن طلاب النور في جميع مكاسبهم المعنوية وادعيتهم حسب قاعدتنا المقررة.

كنت ارغب ان اكتـب اليكن اكثر من هذا ولكن اكـتفـيت بهذا القـدر لمرضي الـشـديد وضـعـفي الـشـديد وشـيـخـوختي وهرمي، وواجبات كثيرة تنتظرني كتصحيح الرسائل.

الباقي هو الباقي

اخوكم المحتاج الى دعائكن

سعيد النورسي

بشرى .. وتنبيه!

«رسالة خاصة بأركان مدرسة الزهراء الحاليين»

«بشرى مهمة الىٰ العجائز..

وتنبيه للآنسات اللائي يفضلن البقاء عازبات».

ان مفهوم الحديث (عليكم بدين العجائز)(١) يحث علىٰ الاقتداء بدينهن، بمعنى ان الايمان الراسخ في آخر الزمان يكون لدى العجائز.

ولما كان أحد الاسس الاربعة لرسائل النور: «الشفقة» .. وان النساء هن رائدات الشفقة والحنان - حتى تضحي أشدهن تخوفاً بروحها، انقاذاً لطفلها - وان الولدات والاخوات المحترمات يواجهن في هذا الوقت أحداثًا جسامًا.. فقد اُلهم قلبي: أنه يلزم بيان حقيقة فطرية تخص الآنسات من طالبات النور بالرغم من أنها لا يجوز البوح بها أو نشرها، اذ هي خاصة جداً باللائي يرغبن البقاء في حياة العزوبة، أو اضطررن اليها . فأقول:

يا بناتي ويا اخواتي!

---

(١) الديلمي من حديث ابن عمر بلفظ: «اذا كان آخر الزمان واختلفت الاهواء فعليكم بدين البادية والنساء» ومسنده واه (الدرر المنتثرة للسيوطي).

ان زمـاننا هـذا لا يشـبـه الأزمنة الغـابرة، فلقـد تمكّنت التـربيـة الحديثة «الاوروبية» في المجتمع عوضاً عـن التربية الاسلامـية، طوال نصف قرن من الزمان. اذ بينما الذي يتـزوج ليحصن نفسه من الآثام وليجعـل زوجته صاحبـته الابدية ومدار سعـادته الدنيوية، بدافع من تربيـة الاسـلام، تراه يجـعل تلك الضـعيفـة المنكوبـة، بتأثير التـربيـة الاوربية، تحت سـطوته و تحكّمه الدائم، ويحـصر حبـه لها في عـهد شبابها وحده، وربما يزجها في عنت ومشـقات تفوق كثيراً ما هيأ لها من راحـة جزئيـة. فتمـضي الحـياة في عـذاب وآلام، ولاسيمـا ان لم يكن الزوج كفؤاً – بالاصطلاح الشرعي – حيث الحقوق الشرعية لا تراعى . واذا ما تداخلت المنافسة والغيرة والتقليد فالبلاء يتضاعف.

وهكذا فالذي يدفع الىٰ هذا الزواج اسباب ثلاثة:

السبب الأول:

لقـد وضعـت الحكمة الالهـيـة ميـلا وشـوقا فـي الانسان لإدامـة النسل. ووضع أجرة لاداء تلك الوظيفة الفطرية، وهي اللذة. فالرجل ربما يتحـمل مشاق سـاعة لأجل تلك اللذة التي تدوم عشـر دقائق – ان كانت مشروعة – بينما المرأة، تحمل في بطنها الطفل حوالي عشرة أشهر، مـقابل تلك المتعـة التي تدوم عشر دقائق، فـضلا عما تتـحمل

من مشقات طوال عشر سنوات من اجل طفلها. بمعنى ان تلك اللذة التي تدوم عشر دقائق تزيل أهمية ذلك الميل الفطري، حيث تسوق الى هذه المصاعب الكثيرة والمتاعب المستمرة.

فيجب اذاً الآ تدفع المرأة الى الزواج احاسيسها ودوافعها النفسية وميلها الفطري.

السبب الثاني:

ان المرأة محتاجة فطرة الى من يعينها في أمور العيش، لضعف في خلقتها. فمن الأولى لها أن تسعى لكسب نفقتها بنفسها – كما هي الحال لدى نساء القرى – وذلك أفضل لها بعشرات المرات من ان تدفعها تلك الحاجة الىٰ الرضوخ لسيطرة زوج نشأ على تربية غير اسلامية – كما في ايامنا الحاضرة – واعتاد على الاكراه والفساد، وربما تحاول الزوجة كسب رضاه بالتصنع وبالاخلال بعبادتها واخلاقها التي هي مدار حياتها الدنيوية والاخروية. كل ذلك لأجل تلك المعيشة البسيطة الزهيدة.

وحيث ان الخالق الرحيم والرزاق الكريم يرسل لهن رزقهن مثلما يرسل رزق الصغار من الاثداء. فليس من شأن طالبة النور اذن البحث عن زوج تارك للصلاة، فاقد للاخلاق، والرضوخ له من التصنع لأجل ذلك الرزق.

الثالث:

ان في فطرة المرأة حب الاولاد وملاطفتهم، والذي يقوي هذا الميل الفطري ويسوق الىٰ الزواج هو خدمة الولد لها في الدنيا، وشفاعته لها يوم القيامة، وارساله الحسنات اليها بعد وفاتها. الا ان التربية الاوروبية التي حلت محل التربية الاسلامية في الوقت الحاضر، تجعل واحداً او اثنين من كل عشرة ابناء، ابناً باراً بوالدته، ويسجل حسنات في صحيفة أعمالها بأدعيته الطيبة وأعمال البر، ويشفع لها - ان كان صالحاً - يوم القيامة، فيكافئ حقا شفقة والدته، بينما الثمانية الباقية من العشرة يهملون هذه الحالة.

لذا فإن هذا الميل الفطري والشوق النفساني في حب الاولاد ومداعبتهم لا ينبغي ان يدفع المرأة في الوقت الحاضر الىٰ تحمل مصاعب هذه الحياة الشاقة، ان لم تكن مضطرة اليها اضطراراً قاطعا.

فبناء على هذه الحقيقة التي أشرنا اليها، اخاطب بناتي من طالبات النور اللائي يرغبن في حياة العزوبة، ويفضلن البقاء باكرات، فأقول:

يجب ألاّ يبعن أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات، عندما لا

يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الاخلاق الحسنة الملائم لهن تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة ان لم يجدن ذلك الزوج الكفء، كما هو حال بعض طلاب النور الابطال، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربى بتربية الاسلام، وله وجدان حي، ليكون رفيق حياة ابدية يليق بها. وذلك لئلا تفسد سعادتها الاخروية لأجل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنية.

سعيد النورسي

* * *

اشارة قصيرة الى حقيقة مهمة

هناك اشارات لقسم من الاحاديث الشريفة:

أن حقائق الايمان تبدو بوضوح اكثر لدى النساء في آخر الزمان، حتى يتمكنّ من وقاية انفسهن – الى حد – من مهالك الضلالة في ذلك الوقت. كما ان هناك حثاً على الاقتداء بالعجائز في آخر الزمان، كما هو في الحديث (عليكم بدين العجائز).

وهذا يعني ان النساء اللاتي هن بطلات الشفقة ورائدات الحنان والعطف، يحول اخلاصهن النابع من تلك السجية دون مهالك الضلالة المتمرغة بالتصنع والرياء في ذلك الوقت، فيظللن محتفظات باسلامهن.

وهناك حديث آخر فيه:

ان أبا البنات مرزوق، بمعنى أن في آخر الزمان، يكثر الاناث من الاطفال، ويكنّ طيبات، يبارك الله في أرزاقهنّ.

كنت أجهل في السابق سر هذا الحديث الشريف وأمثاله، ولكني ولله الحمد فهمت مؤخراً شيئاً من أسراره، أشير اليه في غاية الاختصار:

ان اطفال الانسان ليسوا كصغار الحيوانات، اذ بينما تقدر هذه الصغار على الاعتماد على انفسها في غضون شهرين او ثلاثة، يحتاج طفل الانسان الى حماية ورعاية مكللة بالرحمة والرأفة، تستغرق عشر سنوات أو اكثر.

وبناء على هذا، لزم دوام شفقة الوالدات علىٰ اطفالهن وحمايتهم حماية جادة، وهي سجية فطرية مغروزة في الانسان خلافاً للحيوان. أما في الرجال فقد درجت الحكمة الالهية في فطرتهم سجية الشرف والغيرة، ليتمكنوا من القيام بمعاونة الوالدات الضعيفات والاطفال العاجزين.

وضمن هذه السجية - الشرف - درجت بطولة نادرة خالصة لا تقبل العوض والمقابل، ولكن - في الوقت الحاضر - دب فيها شئ من الفساد، فضعفت على أثرها تلك البطولة في معظم الناس. الا ان السجية الفطرية لدى النساء - وهي الشفقة والحنان - لم تفسد.

فالنساء بهذه السجية الفطرية يؤدين خدمات جليلة بين المسلمين في آخر الزمان، فتلك الاحاديث الشريفة تشير رمزاً الى أهمية هذه السجية الفطرية ودورها في المجتمع، وكيف انها تكون ركيزة ضمن دائرة الاسلام.

موافقة السنة في الزواج

باسمه سبحانه

﴿وان من شيء الا يسبح بحمده﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً

جـــواب عن ســـؤال ورد في صـــحـــف نشـــرت في بـلدان خارجية(١).

«لِمَ بقيت اعزباً خلافاً للسنة النبوية؟»

لقد قرأنا رسالتكم علىٰ استاذنا الذي يعاني أشد حالات المرض، فقال لنا:

---

(١) ننقل ادناه نص الرسالة التي بعثها أحدهم الى الاستاذ النورسي في حينه:
«لقد قرأت عدداً من رسائل النور مع ترجمة حياتكم، فرأيت في الترجمة ان من شؤونكم الخاصة: العزوبة، وعدم ايجاد علاقة بشيء في الدنيا، الأمر الذي لوحظ سريانه الىٰ طلاب النور ايضاً. وبما ان هذا مما لا يتفق مع قوله تعالىٰ في سورة النساء: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾(النساء: ٣)، وقوله ﷺ: «لا ترهّب في الاسلام» وقوله: «تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة». فقد رأيت أن استوضح الأمر.
واني اعتقد ان الاعتراض الذي أوردته قد يندفع ببيان كون العزوبة مطلوبةً لطلاب النور، ذكورهم واناثهم الى سن معينة، من أجل التفرغ لخدمة القرآن والايمان في سن الفتوة والشباب، ولكنني لا أرى بدا من البحث في هذا، مع تعيين السن التي يتمكن أولئك الطلاب من الزواج بعد الوصول اليها.
وليس لي على كل حال إلا انتظار جوابكم المقارن للصواب ان شاء الله.»
نقلا عن كراس صدر ببغداد سنة ١٩٥٣

لو لم اكن في حالة شديدة من المرض لكنت اكتب جوابا مفصلا لهؤلاء الاخوة الفاضلين الطيبين، الا ان حالتي الصحية المتردية لا تسمح لي بذلك. فاكتبوا في غاية الاختصار، في بضع نقاط، جواباً لاولئك الاخوة المخلصين البررة ولرفقائي في خدمة القرآن:

أولا: في الوقت الذي يلزم لصد هجوم زندقة رهيبة تُغير منذ أربعين سنة، فدائيون يضحّون بكل ما لديهم، قررت ان اضحي لحقيقة القرآن الكريم لا بسعادتي الدنيوية وحدها، بل اذا استدعى الامر بسعادتي الاخروية كذلك، فلأجل ان اتمكن من القيام بخدمة القرآن علىٰ وجهها الصحيح باخلاص حقيقي ما كان لي بدٌ من ترك زواج الدنيا الوقتي - مع علمي بانه سنة نبوية - بل لو وُهب لي عشر من الحور العين في هذه الدنيا، لوجدت نفسي مضطرة الىٰ التخلي عنهن جميعاً، لأجل تلك الحقيقة، حقيقة القرآن. لأن هذه المنظمات الملحدة الرهيبة تشن هجمات عنيفة، وتدبر مكايد خبيثة، فلابد لصدها من منتهى التضحية وغاية الفداء، وجعل جميع الاعمال في سبيل نشر الدين خالصة لوجه الله وحده، من دون ان تكون وسيلة لشئ مهما كان.

ولقد افتى علماء منكوبون، وناس اتقياء، لصالح البدع، أو ظهروا بمظهر الموالين لهم، من جراء هموم عيش أولادهم وأهليهم،

فيقتضي منتهى التضحية والفداء، ومنتهى الثبات والصلابة وغاية الاستغناء عن الناس، وعن كل شئ، تجاه الهجوم المرعب العنيف على الدين، ولا سيما بعد الغاء دروس الدين في المدارس وتبديل الاذان الشرعي ومنع الحجاب بقوة القانون؛ لذا تركت عادة الزواج الذي أعلم انها سنة نبوية لئلا ألج في محرمات كثيرة، ولكي اتمكن من القيام بكثير من الواجبات واداء الفرائض. اذ لا يمكن أن تقترف محرمات كثيرة لأجل اداء سنة واحدة. فلقد وجد علماء ادوا تلك السنة النبوية أنفسهم مضطرة الىٰ الدخول في عشر كبائر ومحرمات و ترك قسم من السنن والفرائض، في غضون هذه السنوات الاربعين.

ثانيا: ان الآية الكريمة ﴿فانكحوا ما طاب لكم..﴾(النساء: ٣) والحديث الشريف (تناكحوا تكثروا..)(١).

---

(١) «تناكحوا تناسلوا أباهي بكم الامم يوم القيامة» رواه عبد الرزاق والبيهقي عن سعيد بن ابي هلال مرسلا بلفظ: «تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة» قال في المقاصد: جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعاً: تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي واخرين عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة، وصححه ابن حبان والحاكم.. الخ «باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني ١٠٢١».

وامثالهما من الاوامر، ليست أوامر وجوبية ودائمية، بل استحبابية مسنونة، فضلا عن انها موقوفة بشروط لابد من توافرها، وقد يتعذر توافرها للجميع وفي كل وقت. ثم ان الحديث الشريف (لا رهبانية في الاسلام) (١) لا يعني ان الانزواء والعزوبة - كما هو لدى الرهبان - محرمتان مرفوضتان لا أصل لهما. بل هو حث على الانخراط في الحياة الاجتماعية كما هو مضمون الحديث الشريف (خير الناس انفعهم للناس) (٢) والا فان ألوفاً من السلف الصالحين قد اعتزلوا الناس موقتاً، وآثروا الانزواء في المغارات لفترة من الزمن، واستغنوا عن زينة الحياة الدنيا الفانية وجردوا انفسهم عنها، كي يقوموا ببناء حياتهم الاخروية على الوجه الصحيح.

فما دام الكثيرون من السلف الصالحين تركوا الدنيا وزينتها بلوغاً الى كمال باق وخاص بشخصهم، فلابد ان الذي يعمل لأجل سعادة باقية، لكثير جداً من المنكوبين، ويحول بينهم وبين السقوط في هاوية الضلالة، ويسعى لتقوية ايمانهم، خدمةً للقرآن والايمان

---

(١) قال ابن حجر لم أره بهذا اللفظ، لكن حديث سعد بن ابي وقاص عند البيهقي: ان الله ابدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة. «كشف الخفاء ٣١٥٤»

(٢) حديث حسن أخرجه القضاعي في مسند الشهاب وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢/٤٢٠/٢ وانظر الصحيحة ٤٢٦ وصحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٦٥٣٨.

خدمة حقيقية، ويثبت تجاه هجمات الالحاد المغير من الخارج والظاهر في الداخل، اقول لابد أن الذي يقوم بهذا العمل العام الكلي – وليس عملا خاصاً لنفسه – تاركاً دنياه الآفلة، لايخالف السنة النبوية بل يعمل طبقا لحقيقة السنة النبوية.

ثم ان الكلام الصادق الصادر من الصديق الاكبر رضي الله عنه: «ليكبر جسمي في جهنم حتى لا يبقى موضع لمؤمن» اتمنى ان اغنم ذرة واحدة من هذا الكلام الصادق.. ولأجله آثر هذا السعيد الضعيف العزوبة والاستغناء عن الناس طوال حياته كلها.

ثالثاً: لم نقل لطلاب النور: «تخلوا عن الزواج، دعوه للآخرين» ولا ينبغي ان يقال لهم هذا الكلام. ولكن الطلاب انفسهم على مراتب وطبقات. فمنهم من يلزم عليه الا يربط نفسه بحاجات الدنيا، قدر المستطاع، في هذا الوقت، وفي فترة من عمره، بلوغاً الىٰ التضحية العظمى والثبات الاعظم والاخلاص الاتم. واذا ما وجد الزوجة التي تعينه على خدمة القرآن والايمان، فبها ونعمت. اذ لا يضر هذا الزواج بخدمته وعمله للقرآن، ولله الحمد والمنة ففي صفوف طلاب النور كثيرون من أمثال هؤلاء. وزوجاتهم لا يقصرن عنهم في خدمة القرآن والايمان، بل قد يفقن أزواجهن ويسبقنهم لما

فطرن عليه من الشفقة التي لا تطلب عوضاً، فيؤدين العمل بهذه البطولة الموهوبة لهن باخلاص تام.

هذا وان المتقدمين والسابقين من طلاب النور أغلبهم متزوجون، وقد أقاموا هذه السنة الشريفة على وجهها، ورسائل النور تخاطبهم قائلة:

«اجعلوا بيوتكم مدرسة نورية مصغرة، وموضع تلقي العلم والعرفان، كي يتربى الاولاد الذين هم ثمار تطبيق هذه السنة، على الايمان، فيكونون لكم شفعاء يوم القيامة، وأبناء بررة في هذه الدنيا، وعندها تتقرر هذه السنة الشريفة فيكم حقاً. وبخلافه لو تربي الأولاد على التربية الاوروبية وحدها - كما حدث خلال ثلاثين سنة خلت - فإن أولئك الأولاد يكونون غير نافعين لكم في الدنيا - من جهة - ومدعين عليكم يوم القيامة، اذ يقولون لكم: «لِمَ لم تنقذوا إيماننا؟» فتندمون وتحزنون من قولهم هذا، يوم لا ينفع الندم، وما هذا الا مخالفة لحكمة السنة النبوية الشريفة».

* * *

ندى الرجاء وبرد الايمان

الرجاء الاول

«الايمان منبع الرجايا»

يا من بلغتم سنّ الكمال، ايها الاخوة الشيوخ الاعزاء، ويا ايتها الاخوات العجائز المحترمات! انني مثلكم شيخ كبير، سأكتب لكم بعض مامرّ عليّ من احوال، وما وجدته بين حين وآخر من ابواب الامل، وبوارق الرجاء في عهد الشيخوخة، لعلكم تشاركونني في انوار السلوة المشعة من تلكم الرجايا والآمال. ان ما رأيته من الضياء، وما فتحه الله عليّ من ابواب النور والرجاء، انّما شاهدته حسب استعدادي الناقص وقابلياتي المشوشة، وستجعل استعداداتكم الخالصة الصافية - بإذن الله - ذلك الضياء اسطع وأبهر مما رأيته، وذلكم الرجاء اقوى وامتن مما وجدته.

ولا ريب انّ منبع ما سنذكره من الاضواء ومصدر ما سنورده من الرجايا ما هو الاّ «الايمان».

الرجاء الثاني

«رحمة الخالق الكريم»

حينما شارفت على الشيخوخة، وفي احد ايام الخريف، وفي وقت العصر، نظرت الى الدنيا من فوق ذروة جبل، فشعرت فجأة حالة في غاية الرقة والحزن مع ظلام يكتنفها، تدب في اعماقي.. رأيت نفسي: انني بلغت من العمر عتياً، والنهار قد غدا شيخاً، والسنة قد اكتهلت، والدنيا قد هرمت.. فهزّني هذا الهرم الذي يغشى كل شئ حولي هزاً عنيفاً. فلقد دنا أوان فراق الدنيا، واوشك أوان فراق الاحباب ان يحلّ.. وبينما اتململ يائساً حزيناً اذا بالرحمة الإلهية تنكشف امامي انكشافاً حوّل ذلك الحزن المؤلم الى فرحة قلبية مشرقة، وبدّل ذلك الفراق المؤلم للاحباب الى عزاء يضئ جنبات النفس كلها.

نعم يا امثالي من الشيوخ! ان الله سبحانه وتعالى الذي يقدّم ذاته الجليلة الينا، ويعرّفها لنا في اكثر من مائة موضع في القرآن الكريم، بصفة «الرحمن الرحيم».. والذي يرسل رحمته بما يسبغ على وجه الارض دوماً من النعم، مدداً وعوناً لمن استرحمه من ذوي الحياة، والذي يبعث بهداياه من عالم الغيب فيغمر الربيع كل سنة بنعم لاتعد ولاتحصى، يبعثها الينا نحن المحتاجين الى الرزق، مظهراً بها بجلاء تجليات رحمته العميمة، وفق مراتب الضعف ودرجات

العجز الكامنة فينا. فرحمة خالقنا الرحيم هذه اعظمُ رجاءً، واكبر أملاً في عهد شيخوختنا هذه، بل هي اسطع نوراً لنا.

ان ادراك تلك الرحمة والظفر بها، انّما يكون بالانتساب الى ذلك «الرحمن» بالايمان، وبالطاعة له سبحانه باداء الفرائض والواجبات.

الرجاء الثالث

«نوره صلى الله عليه وسلم»

حينما أفقت على صبح المشيب، من نوم ليل الشباب، نظرت الى نفسي متأملاً فيها، فوجدتها كأنها تنحدر سعياً من علٍ الى سواء القبر، مثلما وصفها نيازي المصري (١):

بناء العمر يذوي حجراً إثر حجر غافلاً يغط الروح وبناؤه قد اندثر

فجسمي الذي هو مأوى روحي، بدأ يتداعى ويتساقط حجراً إثر حجر على مرّ الايام.. وآمالي التي كانت تشدّني بقوة الى الدنيا،

---

(١) نيازي المصري: شاعر تركي صوفي (١٦١٨- ١٦٩٤م)، ولد في قرية قريبة لولاية «ملاطية». اكمل دراسته في الازهر الشريف فلقّب بـ«المصري»، له ديوان شعر ومؤلفات منها: رسالة الحسنين، موائد العرفان وعوائد الاحسان، هداية الاخوان. تولّى الارشاد في مدارس استانبول العلمية. ـ المترجم.

بدأت اوثاقها تنفصم وتنقطع. فدب فيّ شعور بدنو وقت مفارقة من لا يحصى من الاحبة والاصدقاء، فاخذت ابحث عن ضماد لهذا الجرح المعنوي الغائر، الذي لا يرجى له دواء ناجع كما يبدو!. لم استطع أن اعثر له على علاج، فقلت ايضاً كما قال نيازي المصري:

حكمة الاله تقضى فناء الجسد والقلب تواق الى الابـــد

لهف نفسي من بلاء وكمـد حار لقمان في ايجاد الضمد

وبينما كنت في هذه الحالة اذا بنور الرسول الكريم ﷺ الذي هو رحمة الله على العالمين، ومثالها الذي يعبّر عنها، والداعي إليها، والناطق بها، واذا بشفاعته، وبما أتاه من هدية الهداية الى البشرية، يصبح بلسماً شافياً، ودواءً ناجعاً لذلك الداء الوخيم الذي ظننته بلا دواء، ويبدل ذلك اليأس القاتم الذي احاطني الى نور الرجاء الساطع.

اجل، ايها الشيوخ وايتها العجائز الموقرون، ويامن تشعرون كلكم بالشيخوخة مثلي!. اننا راحلون ولا مناص من ذلك.. ولن يُسمح لنا بالمكوث هنا بمخادعة النفس واغماض العين، فنحن مساقون الى المصير المحتوم. ولكن عالم البرزخ، ليس هو كما يتراءى لنا بظلمات الاوهام الناشئة من الغفلة، وبما قد يصوره اهل الضلالة، فليس هو بعالم الفراق، ولا بعالم مظلم، بل هو مجمع الأحباب،

وعالم اللقاء مع الاحبة والاخلاّء، وفي طليعتهم حبيب رب العامين وشفيعنا عنده يوم القيامة عليه افضل الصلاة والسلام.

نعم، ان مَن هو سلطان ثلاثمائة وخمسين مليوناً من الناس في كل عصر، عبر ألف وثلاثمائة وخمسين سنة وهو مربّي ارواحهم، ومرشد عقولهم، ومحبوب قلوبهم، والذي يُرفع الى صحيفة حسناته يومياً امثال ما قدمت أمته من حسنات، اذ «السبب كالفاعل» والذي هو مدار المقاصد الربانية، ومحور الغايات الإلهية السامية في الكون، والذي هو السبب لرقي قيمة الموجودات وسموّها، ذلك الرسول الاكرم ﷺ، فكما أنه قال في الدقائق الاولى التي تشرّف العالم به «امتي.. امتي..» كما ورد في الروايات الصحيحة والكشفيات الصادقة، فانه ﷺ يقول في المحشر ايضاً: «امتي.. امتي..» ويسعى بشفاعته الى امداد امته واغاثتها باعظم رحمة واسماها واقدسها واعلاها، في الوقت الذي يقول كلّ فرد من الجموع العظيمة: «نفسي.. نفسي». فنحن اذن ذاهبون الى العالم الذي ارتحل اليه هذا النبي الكريم، راحلون الى العالم الذي استنار بنور ذلك السراج المنير وبمن حوله من نجوم الاصفياء والاولياء الذين لايحصرهم العد.

نعم، ان اتباع السنة الشريفة لهذا النبي الكريم ﷺ هو الذي

يقود الى الانضواء تحت لواء شفاعته والاقتباس من انواره، والنجاة من ظلمات البرزخ.

الرجاء الرابع

«القرآن الحكيم»

حينما وطأت قدماي عتبة الشيخوخة، كانت صحتي الجسدية التي ترخي عنان الغفلة وتمدّها قد اعتلّت ايضاً فاتفقت الشيخوخة والمرض معاً على شن الهجوم عليّ، وما زالا يكيلان على راسي الضربات تلو الضربات حتى أذهبا نوم الغفلة عنّي. ولم يكن لي ثمة ما يربطني بالدنيا من مال وبنين وما شابههما، فوجدت ان عصارة عمري الذي اضعته بغفلة الشباب، انما هي آثام وذنوب، فاستغثت صائحاً مثلما صاح نيازي المصري:

ذهب العُمر هباءً، لم أفز فيه بشيْ
ولقد جئت اسير الدرب، لكنْ
رحل الرّكبُ بعيداً
وبقيتْ
ذلك النائي الغريب

وبكيتُ
همتُ وحدي تائهاً اطوي الطريق
وبعينيّ ينابيع الدموع
وبصدري حرقة الشوق
حار عقلي..!

كنت حينها في غربة مضنية، فشعرت بحزن يائس، واسف نادم، وحسرة ملتاعة على ما فات من العمر. صرخت من اعماقي اطلب امداد العون، وضياء الرجاء.. واذا بالقرآن الحكيم المعجز البيان يمدّني، ويسعفني، ويفتح امامي باب رجاء عظيم، ويمنحني نوراً ساطعاً من الامل والرجاء يستطيع ان يزيل اضعاف اضعاف يأسي، ويمكنه ان يبدد تلك الظلمات القاتمة من حولي.

نعم، ايها الشيوخ وايتها العجائز المحترمون، يامَن بدأت اوثاق صلتهم بالانفصام عن الدنيا مثلي! ان الصانع ذا الجلال الذي خلق هذه الدنيا كأكمل مدينة وأنظمها، حتى كأنها قصر منيف، هل يمكن لهذا الخالق الكريم الاّ يتكلم مع احبائه واكرم ضيوفه في هذه المدينة او في هذا القصر؟ وهل يمكن الاّ يقابلهم؟!!

فما دام قد خلق هذا القصر الشامخ بعلم، ونظمه بارادة، وزيّنه باختيار، فلابد انه يتكلم؛ اذ كما ان الباني يعلم، فالعالم يتكلم.

وما دام قد جعل هذا القصر دار ضيافة جميلة بهيجة، وهذه المدينة متجراً رائعاً، فلابد ان يكون له كتب وصحف يبين فيها ما يريده منا، ويوضح علاقاته معنا.

ولاشك ان اكمل كتاب من تلك الكتب المقدسة التي انزلها، انما هو القرآن الحكيم المعجز، الذي ثبت اعجازه بأربعين وجهاً من وجوه الاعجاز، والذي يتلى في كل دقيقة بألسنة مائة مليون شخص في الاقل، والذي ينشر النور ويهدي السبيل. والذي في كل حرف من حروفه عشر حسنات، وعشر مثوبات في الاقل، واحياناً عشرة آلاف حسنة، بل ثلاثين ألف حسنة، كما في ليلة القدر. وهكذا يمنح من ثمار الجنة ونور البرزخ ما شاء الله ان يمنح. فهل في الكون اجمع كتاب يناظره في هذا المقام، وهل يمكن ان يدّعي ذلك احد قط؟

فما دام هذا القرآن الكريم الذي بين ايدينا هو كلام رب العالمين، وهو أمره المبلّغ الينا، وهو منبع رحمته التي وسعت كل شئ، وهو صادر من خالق السموات والارض ذي الجلال، من جهة ربوبيته المطلقة، ومن جهة عظمة ألوهيته، ومن جانب رحمته المحيطة الواسعة، فاستمسك به واعتصم، ففيه دواء لكل داء، ونور لكل ظلام، ورجاء لكل يأس.. وما مفتاح هذه الخزينة الابدية الاّ الايمان والتسليم، والاستماع اليه، والانقياد له، والاستمتاع بتلاوته.

الرجاء الخامس

«الايمان بالآخرة»

في بداية شيخوختي ومستهلها، ورغبة منّي في الانزواء والاعتزال عن الناس، بحثت روحي عن راحة في الوحدة والعزلة على تل «يوشع» المطل على البسفور. فلما كنت - ذات يوم - اسرح بنظري الى الافق من على ذلك التل المرتفع، رأيت بنذير الشيخوخة لوحة من لوحات الزوال والفراق تتقطر حزناً ورقة، حيث جُلتُ بنظري من قمة شجرة عمري، من الغصن الخامس والاربعين منها، الى ان انتهيت الى اعماق الطبقات السفلى لحياتي، فرايت ان في كل غصن من تلك الاغصان الكائنة هناك ضمن كل سنة، جنائز لا تحصر من جنائز احبابي واصدقائي وكل مَن له علاقة معي. فتأثرت بالغ التأثر من فراق الاحباب وافتراقهم، وترنمت بأنين «فضولي البغدادي»(١) عند مفارقته الاحباب قائلاً:

كلما حنَّ الوصال   عَذبٌ دمعي مادام الشهيق

لقد بحثتُ من خلال تلك الحسرات الغائرة عن باب رجاء، وعن

---

(١) فضولي البغدادي شاعر عاش في القرن السادس عشر الميلادي وهو مؤسس الادب العثماني الآذري، له اشعار ودواوين في اللغات التركية والعربية والفارسية توفي سنة ١٥٥٥م، من اعماله المشهورة «ليلى ومجنون» اسمه الحقيقي: محمد. - المترجم.

نافذة نور، أسلّي بها نفسي. فاذا بنور الايمان بالآخرة يغيثني ويمدّني بنور باهر. انه منحني نوراً لاينطفئ ابداً، ورجاءً لا يخيب مطلقاً.

اجل يا اخواني الشيوخ ويا اخواتي العجائز! ما دامت الآخرة موجودة، وما دامت هي باقية خالدة، وما دامت هي اجمل من الدنيا، وما دام الذي خلقنا حكيماً ورحيماً؛ فما علينا اذاً إلاّ عدم الشكوى من الشيخوخة، وعدم التضجر منها؛ ذلك لان الشيخوخة المشرّبة بالايمان والعبادة، والموصلة الى سنّ الكمال، ماهي الاّ علامة انتهاء واجبات الحياة ووظائفها، واشارة ارتحال الى عالم الرحمة للخلود الى الراحة. فلابدّ اذن من الرضا بها اشدّ الرضا.

نعم ان اخبار مائة واربعة وعشرين ألفاً من المصطفين الاخيار وهم الانبياء والمرسلون (١) عليهم الصلاة والسلام - كما نص عليه الحديث - اخباراً بالاجماع والتواتر مستندين الى الشهود عند بعضهم والى حق اليقين عند آخرين، عن وجود الدار الآخرة، واعلانهم بالاجماع ان الناس سيساقون اليها، وان الخالق سبحانه وتعالى سيأتي بالدار الآخرة بلا ريب، مثلما وعد بذلك وعداً قاطعاً.

---

(١) عن ابي أمامة، قال ابو ذر: «قلت: يارسول الله كم وفاء عدة الانبياء؟ قال: مائة ألف واربعة وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً» رواه الامام احمد (مشكاة المصابيح ١٢٢/٣ ت ٥٧٣٧ قال المحقق: حديث صحيح) وانظر زاد المعاد المحقق ٤٣/١. - المترجم.

وان تصديق مائة واربعة وعشرين مليوناً من الاولياء كشفاً وشهوداً ما اخبر به هؤلاء الانبياء عليهم السلام، وشهادتهم على وجود الآخرة بعلم اليقين، دليل قاطع وايّ دليل على وجود الآخرة..

وكذا، فان تجليات جميع الاسماء الحسنى لخالق الكون المتجلّية في ارجاء العالم كله، تقتضي بالبداهة وجود عالم آخر خالد، وتدل دلالة واضحة على وجود الآخرة.

وكذا القدرة الإلهية وحكمتها المطلقة، التي لا اسراف فيها ولا عبث، والتي تحيي جنائز الاشجار الميتة وهياكلها المنتصبة، تحييها وهي لاتعد ولاتحصى على سطح الارض في كل ربيع، وفي كل سنة، بأمر «كن فيكون» وتجعلها علامة على «البعث بعد الموت» فتحشر ثلاثمائة ألف نوع من طوائف النباتات وأمم الحيوانات وتنشرها، مظهرةً بذلك مئات الالوف من نماذج الحشر والنشور ودلائل وجود الآخرة.

وكذا الرحمة الواسعة التي تديم حياة جميع ذوي الارواح المحتاجة الى الرزق، وتعيّشها بكمال الرأفة عيشة خارقة للغاية. والعناية الدائمة التي تظهر انواع الزينة والمحاسن بما لا يُعد ولايحصى، في فترة قصيرة جداً في كل ربيع. لاشك انهما تستلزمان وجود الآخرة بداهة.

وكذا عشق البقاء، والشوق الى الابدية وآمال السرمدية المغروزة غرزاً لا انفصام لها في فطرة هذا الانسان الذي هو اكمل ثمرة لهذا الكون، واحب مخلوق الى خالق الكون، وهو اوثق صلة مع موجودات الكون كله، لاشك انه يشير بالبداهة الى وجود عالم باقٍ بعد هذا العالم الفاني، والى وجود عالم الآخرة ودار السعادة الابدية.

فجميع هذه الدلائل تثبت بقطعية تامة – الى حدّ يستلزم القبول – وجود الآخرة بمثل بداهة وجود الدنيا (١).

---

(١) ان مدى السهولة في إخبار «الامر الثبوتي» ومدى الصعوبة والاشكال في نفي وانكار ذلك، يظهر في المثال الآتي:

اذا قال احدهم: ان هناك - على سطح الارض - حديقة خارقة جداً ثمارها كعلب الحليب، وأنكر عليه الآخر قوله هذا قائلاً: لا، لا توجد مثل هذه الحديقة. فالاول يستطيع بكل سهولة ان يثبت دعواه، بمجرد اراءة مكان تلك الحديقة او بعض ثمارها. اما الثاني (اي المنكر) فعليه ان يرى ويري جميع انحاء الكرة الارضية لاجل ان يثبت نفيه، وهو عدم وجود مثل هذه الحديقة.

وهكذا الامر في الذين يخبرون عن الجنة، فانهم يُظهرون مئات الآلاف من ترشحاتها، ويبيّنون ثمارها وآثارها، علماً ان شاهدين صادقين منهم كافيان لاثبات دعواهم، بينما المنكرون لوجودها، لا يسعهم اثبات دعواهم الاّ بعد مشاهدة الكون غير المحدود، والزمن غير المحدود، مع سبر غورهما بالبحث والتفتيش، وعند عدم رؤيتهم لها، يمكنهم اثبات دعواهم!

فيامن بلغ به الكبر عتياً ويا ايها الاخوة! اعلموا ما اعظم قوة الايمان بالآخرة وما اشد رصانته!.

فما دام أهم درس يلقننا القرآن ايّاه هو «الايمان بالآخرة» وهذا الدرس رصين ومتين الى هذه الدرجة، وفي ذلك الايمان نور باهر ورجاء شديد وسلوان عظيم مالو اجتمعت مائة الف شيخوخة في شخص واحد لكفاها ذلك النور، وذلك الرجاء، وذلك السلوان النابع من هذا الايمان؛ لذا علينا نحن الشيوخ ان نفرح بشيخوختنا ونبتهج قائلين: «الحمد لله على كمال الايمان».

الرجاء السادس

«نور الايمان بالله»

حينما كنت في منفاي ذلك الاسر الاليم بقيت وحدي منفرداً منعزلاً عن الناس على قمة جبل «چام» المطلة على مراعي «بارلا».. كنت ابحث عن نور في تلك العزلة. وذات ليلة، في تلك الغرفة الصغيرة غير المسقفة، المنصوبة على شجرة صنوبر عالية على قمة ذلك المرتفع، اذا بشيخوختي تشعرني بألوان وانواع من الغربة المتداخلة - كما جاء ذلك في المكتوب السادس بوضوح - ففي سكون تلك الليلة حيث لا اثر ولا صوت سوى ذلك الصدى الحزين لحفيف الاشجار وهمهمتها.. احسست بأن ذلك الصدى الاليم قد

اصاب صميم مشاعري، ومس اعماق شيخوختي وغربتي، فهمست الشيخوخةُ في اذني منذرةً:

ان النهار قد تبدل الى هذا القبر الحالك، ولبست الدنيا كفنها الاسود، فسوف يتبدل نهار عمرك الى ليل، وسوف ينقلب نهار الدنيا الى ليل البرزخ، وسوف يتحول نهار صيف الحياة الى ليل شتاء الموت.

فأجابتها نفسي على مضض:

نعم، كما انني غريبة هنا عن بلدتي ونائية عن موطني، فان مفارقتي لاحبائي الكثيرين خلال عمري الذي ناهز الخمسين ولا املك سوى تذراف الدموع وراءهم هي غربة تفوق غربتي عن موطني.. وانى لأشعر في هذه الليلة غربة اكثر حزناً واشد ألماً من غربتي على هذا الجبل الذي توشح بالغربة والحزن، فشيخوختي تنذرني بدنوي من موعد فراق نهائي عن الدنيا وما فيها، ففي هذه الغربة المكتنفة بالحزن، ومن خلال هذا الحزن الذي يمازجه الحزن، بدأتُ أبحث عن نور، وعن قبس امل، وعن باب رجاء، وسرعان ما جاء «الايمان بالله» لنجدتي ولشد ازري، ومنحني أنساً عظيماً بحيث لو تضاعفت آلامي ووحشتي اضعافاً مضاعفة لكان ذلك الانس كافياً لإزالتها.

نعم، ايها الشيوخ، ويا ايتها العجائز!.. فما دام لنا خالق رحيم، فلا غربة لنا اذاً ابداً.. وما دام سبحانه موجوداً فكل شئ لنا موجود اذاً، وما دام هو موجوداً وملائكته موجودة. فهذه الدنيا إذن ليست خالية لا أنيس فيها ولا حسيس، وهذه الجبال الخاوية، وتلك الصحارى المقفرة كلها عامرة ومأهولة بعباد الله المكرمين، بالملائكة الكرام. نعم، ان نور الايمان بالله سبحانه، والنظرة الى الكون لاجله، يجعل الاشجار بل حتى الاحجار كأنها اصدقاء مؤنسون فضلاً عن ذوي الشعور من عباده، حيث يمكن لتلك الموجودات ان تتكلم معنا - بلسان الحال - بما يسلينا ويروّح عنا.

نعم، ان الدلائل على وجوده سبحانه بعدد موجودات هذا الكون، وبعدد حروف كتاب العالم الكبير هذا، وهناك دلائل وشواهد على رحمته بعدد اجهزة ذوي الارواح وما خصهم من نِعمه ومطعوماته التي هي محور الشفقة والرحمة والعناية، فجميعها تدل على باب خالقنا الرحيم والكريم، وصانعنا الانيس، وحامينا الودود، ولاشك ان العجز والضعف هما ارجى شفيعين عند ذلك الباب السامي. وان عهد الشيب أوانهما، ووقت ظهورهما، فعلينا إذن ان نودّ الشيخوخة، وان نحبها، لا ان نعرض عنها؛ اذ هي شفيع مرتجى امام ذلك الباب الرفيع.

الرجاء السابع

«الايمان سلوان»

حينما تبدلت نشوة « سعيد القديم » وابتساماته الى نحيب « سعيد الجديد » وبكائه، وذلك في بداية المشيب، دعاني ارباب الدنيا في « انقرة » اليها، ظناً منهم انني « سعيد القديم » فاستجبت للدعوة.

ففي ذات يوم من الايام الاخيرة للخريف، صعدت الى قمّة قلعة انقرة، التي اصابها الكبر والبلى اكثر مني، فتمثّلت تلك القلعة امامي كأنها حوادث تأريخية متحجرة، واعتراني حزن شديد واسى عميق من شيب السنة في موسم الخريف، ومن شيبي انا، ومن هرم القلعة، ومن هرم البشرية ومن شيخوخة الدولة العثمانية العلية، ومن وفاة سلطنة الخلافة، ومن شيخوخة الدنيا. فاضطرتني تلك الحالة الى النظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة الى اودية الماضي وشواهق المستقبل، أنقب عن نور، وابحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحسّ به من اكثف الظلمات التي غشيت روحي هناك وهي غارقة في ليل هذا الهرم المتداخل المحيط (١).

---

(١) وردت هذه الحالة الروحية على صورة مناجاة الى القلب باللغة الفارسية، فكتبتها كما وردت، ثم طبعت ضمن رسالة (حَباب) في أنقرة. ـ المؤلف.

فحينما نظرت الى اليمين الذي هو الماضي باحثاً عن نور ورجاء، بدت لي تلك الجهة من بعيد على هيئة مقبرة كبرى لأبي واجدادي والنوع الانساني، فأوحشتني بدلاً من ان تسلّيني .

ثم نظرت الى اليسار الذي هو المستقبل مفتشاً عن الدواء، فتراءى لي على صورة مقبرة كبرى مظلمة لي ولأمثالي وللجيل القابل، فأدهشني عوضاً من ان يؤنسني.

ثم نظرت الى زمني الحاضر بعد ان امتلأ قلبي بالوحشة من اليمين واليسار، فبدا ذلك اليوم لنظري الحسير ونظرتي التأريخية على شكل نعش لجنازة جسمي المضطرب كالمذبوح بين الموت والحياة.

فلما يئست من هذه الجهة ايضاً، رفعت رأسي ونظرت الى قمة شجرة عمري، فرأيت ان على تلك الشجرة ثمرة واحدة فقط، وهي تنظر اليّ، تلك هي جنازتي، فطأطأت رأسي ناظراً الى جذور شجرة عمري، فرأيت ان التراب الذي هناك ما هو الاّ رميم عظامي، وتراب مبدأ خلقتي قد اختلطا معاً وامتزجا، وهما يُداسان تحت الاقدام، فأضافا الى دائي داء من دون ان يمنحاني دواءً.

ثم حوّلتُ نظري على مضض الى ما ورائي، فرأيت ان هذه الدنيا الفانية الزائلة تتدحرج في اودية العبث وتنحدر في ظلمات

العدم، فسكبتْ هذه النظرة السمَّ على جروحي بدلاً من ان تواسيها بالمرهم والعلاج الشافي.

ولما لم أجد في تلك الجهة خيراً ولا أملاً، ولّيت وجهي شطر الامام ورنوت بنظري بعيداً، فرأيت ان القبر واقف لي بالمرصاد على قارعة الطريق، فاغراً فاه، يحدق بي، وخلفه الصراط الممتد الى حيث الابد، وتتراءى القوافل البشرية السائرة على ذلك الصراط من بعيد. وليس لي من نقطة استناد امام هذه المصائب المدهشة التي تأتيني من الجهات الست، ولا املك سلاحاً يدفع عني غير جزء ضئيل من الارادة الجزئية. فليس لي اذن امام كل اولئك الاعداء الذين لا حصر لهم، والاشياء المضرة غير المحصورة، سوى السلاح الانساني الوحيد وهو الجزء الاختياري. ولكن لما كان هذا السلاح ناقصاً وقاصراً وعاجزاً، ولاقوة له على ايجاد شئ، وليس في طوقه الاّ الكسب فحسب، حيث لا يستطيع ان يمضي الى الزمان الماضي ويذبّ عني الاحزان ويسكتها، ولايمكنه ان ينطلق الى المستقبل حتى يمنع عنّي الاهوال والمخاوف الواردة منه، أيقنت الاّ جدوى منه فيما يحيط بي من آلام وآمال الماضي والمستقبل.

وفيما كنت مضطرباً وسط الجهات الست تتوالى عليّ منها صنوف الوحشة والدهشة واليأس والظلمة، اذا بأنوار الايمان المتألقة

في وجه القرآن المعجز البيان، تمدني وتضئ تلك الجهات الست وتنورها بانوار باهرة ساطعة ما لوتضاعف ما انتابني من صنوف الوحشة وانواع الظلمات مائة مرة، لكانت تلك الانوار كافية ووافية لإحاطتها.

فبدّلت - تلك الانوار - السلسلة الطويلة من الوحشة الى سلوان ورجاء، وحولّت كل المخاوف الى انس القلب، وامل الروح الواحدة تلو الاخرى.

نعم، ان الايمان قد مزق تلك الصورة الرهيبة للماضي وهي كالمقبرة الكبرى، وحولها الى مجلس منوّر أنوس والى ملتقى الاحباب، وأظهر ذلك بعين اليقين وحق اليقين...

ثم ان الايمان قد أظهر بعلم اليقين ان المستقبل الذي يتراءى لنا بنظر الغفلة، كقبر واسع كبير ما هو الاّ مجلس ضيافة رحمانية اعدّت في قصور السعادة الخالدة.

ثم ان الايمان قد حطّم صورة التابوت والنعش للزمن الحاضر التي تبدو هكذا بنظر الغفلة، واشهدني ان اليوم الحاضر انما هو متجر اخروي، ودار ضيافة رائعة للرحمن.

ثم ان الايمان قد بصّرني بعلم اليقين ان ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي هي فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة.

انها ليست كذلك، وانما هي انطلاق لروحي – التي هي اهل للحياة الابدية ومرشحة للسعادة الابدية – من وكرها القديم الى حيث آفاق النجوم للسياحة والارتياد.

ثم ان الايمان قد بيّن بأسراره؛ ان عظامي ورميمها وتراب بداية خلقتي، ليسا عظاماً حقيرة فانية تداس تحت الاقدام، وانما ذلك التراب باب للرحمة، وستار لسرادق الجنة.

ثم ان الايمان أراني بفضل اسرار القرآن الكريم ان احوال الدنيا واوضاعها المنهارة في ظلمات العدم بنظر الغفلة، لا تتدحرج هكذا في غياهب العدم – كما ظنّ في بادئ الامر – بل انها نوع من رسائل ربانية ومكاتيب صمدانية، وصحائف نقوش للاسماء السبحانية قد اتمّت مهامها، وأفادت معانيها، واخلفت عنها نتائجها في الوجود، فأعلمني الايمان بذلك ماهية الدنيا علم اليقين.

ثم ان الايمان قد اوضح لي بنور القرآن ان ذلك القبر الذي احدق بي ناظراً ومنتظراً ليس هو بفوهة بئر، وانما هو باب لعالم النور. وان ذلك الطريق المؤدي الى الابد ليس طريقاً ممتداً ومنتهياً بالظلمات والعدم، بل انه سبيل سوي الى عالم النور، وعالم الوجود وعالم السعادة الخالدة.. وهكذا اصبحت هذه الاحوال دواء

لدائي، ومرهماً له، حيث قد بدت واضحة جلية فأقنعتني قناعة تامة.

ثم، ان الايمان يمنح ذلك الجزء الضئيل من - الجزء الاختياري - الذي يملك كسباً جزئياً للغاية، وثيقة يستند بها الى قدرة مطلقة، وينتسب بها الى رحمة واسعة، ضد تلك الكثرة الكاثرة من الاعداء والظلمات المحيطة، بل ان الايمان نفسه يكون وثيقة بيد الجزء الاختياري. ثم ان هذا الجزء الاختياري الذي هو السلاح الانساني، وان كان في حد ذاته ناقصاً عاجزاً قاصراً، الآ أنه اذا استعمل باسم الحق سبحانه، وبذل في سبيله، ولاجله، يمكن ان ينال به - بمقتضى الايمان - جنة ابدية بسعة خمسمائة سنة. مَثَلُ المؤمن في ذلك مثل الجندي، اذا استعمل قوته الجزئية باسم الدولة فانه يسهل له ان يؤدي اعمالاً تفوق قوته الشخصية بألوف المرات.

وكما ان الايمان يمنح الجزء الاختياري وثيقة، فانه يسلب زمامه من قبضة الجسم الذي لايستطيع النفوذ في الماضي ولا في المستقبل، ويسلمه الى القلب والروح، ولعدم انحصار دائرة حياة الروح والقلب في الزمن الحاضر كما هو في الجسد، ولدخول سنوات عدة من الماضي وسنوات مثلها من المستقبل في دائرة تلك الحياة، فان ذلك الجزء الاختياري ينطلق من الجزئية مكتسباً الكلية. فكما انه يدخل

بقوة الايمان في اعمق اودية الماضي مبدداً ظلمات الاحزان، كذلك يصعد محلقاً بنور الايمان الى ابعد شواهق المستقبل مزيلاً اهواله ومخاوفه.

فيا ايها الاخوان الشيوخ، ويا ايتها الاخوات العجائز، ويا من تتألمون مثلي من تعب المشيب! ما دمنا والحمد لله من اهل الايمان، والايمان فيه خزائن حلوة نيرة لذيذة محبوبة الى هذا الحد، وان شيبنا يدفعنا الى هذه الخزائن دفعاً اكثر، فليس لنا التشكي من الشيخوخة اذاً، بل يجب علينا ان نقدم ألف شكر وشكر الى الله عزّ وجلّ، وان نحمده تعالى على شيبنا المنوّر بالايمان.

رسالة الحجاب

كانت هذه هي المسألة الثانية والثالثة من «المذكرة الخامسة عشرة» الا ان اهميتها جعلتها «اللمعة الرابعة والعشرين».

بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

﴿ يا أيُها النَبيُّ قُل لأزواجِكَ وبَنَاتكَ ونسَاء المؤمنينَ يُدنينَ عَليهِنَ من جَلابيبهن ﴾ (الاحزاب: ٥٩)

هذه الآية الكريمة تأمر بالحجاب، بينما تذهب المدنية الزائفة الى خلاف هذا الحكم الرباني، فلا ترى الحجاب أمراً فطرياً للنساء، بل تعده اسراً وقيداً لهن (١).

---

(١) هذه فقرة من اللائحة المرفوعة الى محكمة التمييز، القيت امام المحكمة، فأسكتتها، واصبحت حاشية لهذا المقام:

«وانا اقول لمحكمة العدل!

ان ادانة من يفسر اقدس دستور إلهي وهو الحق بعينه، ويحتكم اليه ثلاث مائة وخمسون مليوناً من المسلمين في كل عصر في حياتهم الاجتماعية، خلال الف وثلاث مائة وخمسين عاماً. هذا المفسر استند في تفسيره الى ما اتفق عليه وصدق به ثلاث مائة وخمسون ألف مفسر، واقتدى بالعقائد التي دان بها اجدادنا السابقون في الف وثلاث مائة وخمسين سنة.. اقول: ان ادانة هذا المفسر، قرار ظالم، لابد ان ترفضه العدالة، ان كانت هناك عدالة على وجه الارض، ولابد ان ترد ذلك الحكم الصادر بحقه وتنقضه». ـ المؤلف.

وسنبين جواباً اربعاً من الحكم فقط من بين حكم غزيرة دالة على كون هذا الحكم القرآني تقتضيه فطرة النساء وخلافه غير فطري.

الحكمة الاولى:

ان الحجاب امر فطري للنساء، تقتضيه فطرتهن، لان النساء جُبِلْن على الرقة والضعف، فيجدن في انفسهن حاجة الى رجل يقوم بحمايتهن وحماية اولادهن الذين يؤثرنهم على انفسهن، فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب انفسهن للاخرين وعدم جلب نفرتهم وتجنب جفائهم واستثقالهم.

ثم، ان ما يقرب من سبعة اعشار النساء: اما متقدمات في العمر، او دميمات لا يرغبن في اظهار شيبهن او دمامتهن، او أنهن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن يخشين ان تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال، او أنهن يتوجسن خيفة من التجاوز عليهن وتعرضهن للتهم.. فهؤلاء النساء يرغبن فطرة في الحجاب حذراً من التعرض والتجاوز عليهن وتجنباً من ان يكن موضع تهمة في نظر أزواجهن، بل نجد ان المسنات احرص على الحجاب من غيرهن.

وربما لايتجاوز الاثنتين او الثلاث من كل عشر من النساء هن: شابات وحسناوات لايتضايقن من ابداء مفاتنهن! اذ من المعلوم ان

الانسان يتضايق من نظرات من لايحبه. وحتى لو فرضنا ان حسناء جميلة ترغب في ان يراها اثنان او ثلاثة من غير المحارم فهي حتما تستثقل وتنزعج من نظرات سبعة او ثمانية منهم، بل تنفر منها.

فالمرأة لكونها رقيقة الطبع سريعة التأثر تنفر حتماً – ما لم تفسد اخلاقها وتتبذّل – من نظرات خبيثة تصوب اليها والتي لها تأثير مادي كالسم – كما هو مجرب – حتى اننا نسمع: أن كثيرا من نساء اوربا وهي موطن التكشف والتبرج،يشكين الى الشرطة من ملاحقة النظرات اليهن قائلات: ان هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم!

نخلص مما تقدم:

ان رفع المدنية السفيهة الحجاب وافساحها المجال للتبرج يناقض الفطرة الانسانية. وان امر القرآن الكريم بالحجاب – فضلاً عن كونه فطرياً – يصون النساء من المهانة والسقوط، ومن الذلة والاسر المعنوي ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة والرفيقات العزيزات لازواجهن في الأبد.

والنساء – فضلاً عما ذكرناه – يحملن في فطرتهن تخوفاً من الرجال الاجانب وهذا التخوف يقتضي فطرة التحجب وعدم

التكشف، حيث تتنغص لذة غير مشروعة لتسع دقائق بتحمل اذى حمل جنين لتسعة اشهر، ومن بعده القيام بتربية ولد لا حامي له زهاء تسع سنين! ولوقوع مثل هذه الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرة خوفاً حقيقياً من غير المحارم. وتتجنبهم جبلة، فتنبهها خلقتها الضعيفة تنبيها جادا، الى التحفظ وتدفعها الى التستر، ليحول دون اثارة شهوة غير المحارم، وليمنع التجاوز عليها، وتدلها فطرتها على ان حجابها هو قلعتها الحصينة وخندقها الأمين.

ولقد طرق سمعنا: ان صباغ أحذية قد تعرض لزوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير، كانت مكشوفة المفاتن، وراودها نهاراً جهاراً في قلب العاصمة «انقرة»! أليس هذا الفعل الشنيع صفعة قوية على وجوه اولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من اعداء العفة والحجاب؟

الحكمة الثانية:

إن العلاقة الوثيقة والحب العميق بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا من الحاجات فحسب، فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي رفيقته ايضاً في حياة ابدية خالدة.

فما دامت هي صاحبته في حياة باقية فينبغي لها ألاّ تلفت نظر غير رفيقها الابدي وصديقها الخالد الى مفاتنها، وألا تزعجه، ولا تحمله على الغضب والغيرة.

وحيث ان زوجها المؤمن، بحكم ايمانه لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا يوليها محبة حيوانية قاصرة على وقت جمالها وزمن حسنها، وانما يكنّ لها حباً واحتراماً خالصين دائمين لا يقتصران على وقت شبابها وجمالها بل يدومان الى وقت شيخوختها وزوال حسنها، لأنها رفيقته في حياة ابدية خالدة.. فبإزاء هذا لابد للمرأة ايضاً أن تخص زوجها وحده بجمالها ومفاتنها وتقصر محبتها به، كما هو مقتضى الانسانية، وإلاّ ستفقد الكثير ولا تكسب الا القليل.

ثم ان ما هو مطلوب شرعاً: ان يكون الزوج كفوءا للمرأة، وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتهما، واهم مافي الكفاءة هذه هي كفاءة الدين كما هو معلوم.

فما اسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجته ويقوم بتقليدها، ويصبح ذا دين، لئلا يفقد صاحبته الوفية في حياة ابدية خالدة!

وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها وتخشى ان تفرط برفيق حياتها الامين في حياة خالدة، فتتمسك بالايمان والتقوى.

والويل ثم الويل لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجته الطيبة الصالحة.

ويا لتعاسة تلك المرأة التي لاتقلد زوجها التقي الورع، فتخسر رفيقها الكريم الابدي السعيد.

والويل والثبور لذينك الزوجين الشقيين اللذين يقلدان بعضهما البعض الآخر في الفسوق والفحشاء، فيتسابقان في دفع احدهما الآخر في النار.

الحكمة الثالثة:

ان سعادة العائلة في الحياة واستمرارها انما هي بالثقة المتبادلة بين الزوجين، والاحترام اللائق والود الصادق بينهما، الا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة. حيث تلاقي تسعة من عشرة متبرجات امامهن رجالاً يفوقون ازواجهن جمالاً، بينما لاترى غير واحدة منهن مَن هو اقل جمالاً من زوجها ولا تحبب نفسها اليه. والامر كذلك في الرجال فلا يرى

الاّ واحدٌ من كل عشرين منهم مَن هي اقل جمالا من زوجته، بينما الباقون يرون امامهم من يفقن زوجاتهن حسنا وجمالا. فهذه الحالة قد تؤدي الى انبعاث احساس دنئ وشعور سافل قبيح في النفس فضلاً عما تسببه من زوال ذلك الحب الخالص وفقدان ذلك الاحترام، وذلك:

ان الانسان لايمكنه ان يحمل فطرة شعوراً دنيئاً حيوانياً تجاه المحارم – كالاخت – لان سيماء المحارم تشعر بالرأفة والمحبة المشروعة النابعين من صلة القربى. فهذا الشعور النبيل يحدّ من ميول النفس الشهوية، الا أن كشف ما لايجوز كشفه كالساق، قد يثير لدى النفوس الدنيئة حساً سافلاً خبيثاً لزوال الشعور بالحرمة، حيث ان ملامح المحارم تشعر بصلة القرابة، وكونها محرماً وتتميز عن غيرهم، لذا فكشف تلك المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره، لعدم وجود تلك العلامات الفارقة التي تستوجب الامتناع عن النظر المحرّم، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلين هوى النظرة الحيوانية! فمثل هذه النظرة سقوط مريع للانسانية تقشعر من بشاعتها الجلود.

الحكمة الرابعة:

من المعلوم أن كثرة النسل مرغوبة فيها لدى الجميع،، فليس هناك امة ولا دولة لاتدعو الى كثرة النسل، وقد قال الرسول الكريم ﷺ:

(تناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الامم يوم القيامة)[1]. بيد ان رفع الحجاب وافساح المجال امام التبرج والتكشف يحد من الزواج، بل يقلل من التكاثر كثيراً، لان الشاب مهما بلغ فسوقه وتحلله، فانه يرغب في ان تكون صاحبته في الحياة مصونة عفيفة، ولايريدها ان تكون مبتذلة متكشفة مثله، لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج. وربما ينساق الى الفساد. اما المرأة فهي ليست كالرجل حيث لاتتمكن من ان تحدد اختيار زوجها.

والمرأة من حيث كونها مدبرة لشؤون البيت الداخلية، ومأمورة بالحفاظ على اولاد زوجها وامواله وكل ما يخصه، فان اعظم خصالها هي: الوفاء والثقة. الا ان تبرجها وتكشفها يفسد هذا

---

(١) « تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الامم يوم القيامة » رواه عبدالرزاق والبيهقي عن سعيد بن ابي هلال مرسلا بلفظ: (تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم يوم القيامة) قال في المقاصد: جاء معناه عن جماعة من الصحابة، فأخرج ابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا: تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة، ولأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي وآخرين عن أنس قال كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديداً ويقول: تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة، وصححه ابن حبان والحاكم.. الخ (باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني ١٠٢١) والسيوطي في الجامع الصغير (٣٣٦٦).

الوفاء ويزعزع ثقة الزوج بها، فتجرع الزوج آلاماً معنوية وعذاباً وجدانياً.

حتى ان الشجاعة والسخاء وهما خصلتان محمودتان لدى الرجال اذا ماوجدتا في النساء عدتا من الاخلاق المذمومة، لاخلالهما بتلك الثقة والوفاء، اذ تفضيان الى الوقاحة والاسراف. وحيث ان وظيفة الزوج غير قاصرة على الائتمان على اموالها، وعلى الارتباط بها بل تشمل حمايتها والرحمة بها والاحترام لها فلا يلزمه ما يلزم الزوجة، اي لا يقيد اختياره بزوجة واحدة، ويمكنه ان ينكح غيرها من النساء.

ان بلادنا لاتقاس ببلدان اوربا، فهناك وسائل صارمة للحفاظ - الى حد ما - على الشرف والعفاف في وسط متبرج متكشف، منها المبارزة وامثالها، فالذي ينظر بخبث الى زوجة احد الشرفاء عليه ان يعلق كفنه في عنقه مقدماً. هذا فضلاً عن ان طبائع الاوربيين باردة جامدة كمناخهم. اما هنا في بلاد العالم الاسلامي خاصة فهي من البلدان الحارة قياسا الى اوروبا، ومعلوم مدى تأثير البيئة في اخلاق الانسان. ففي تلك الاصقاع الباردة، ولدى أناس باردين قد لايؤدي التبرج الذي يثير الهوى الحيواني ويهيج الرغبات الشهوانية الى تجاوز

الحدود مثلما يؤدي الى الافراط والاسراف في اناس حساسين يثارون بسرعة في المناطق الحارة.

التبرج وعدم الحجاب الذي يثير هوى النفس، ويطلق الشهوات من عقالها يؤدي حتما الى الافراط وتجاوز الحدود والى ضعف النسل وانهيار القوى. حيث ان الرجل الذي يمكنه ان يقضي وطره الفطري في شهر او في عشرين يوما يظن نفسه مضطرا الى دفعه كل بضعة ايام. وحيث ان هناك عوارض فطرية - كالحيض - تجنبه عن اهله وقد تطول خمسة عشر يوما، تراه ينساق الى الفحش ان كان مغلوبا لنفسه.

ثم ان اهل المدن لا ينبغي لهم انّ يقلدوا اهل القرى والارياف في حياتهم الاجتماعية ويرفعوا الحجاب فيما بينهم، لان اهل القرى يشغلهم شاغل العيش وهم مضطرون الى صرف جهود بدنية قوية لكسب معيشتهم، وكثيرا ما تشترك النساء في اشغال متعبة، لذا لا يهيج ما قد ينكشف من اجزاء اجسامهن الخشنة شهوات حيوانية لدى الآخرين، فضلاً عن انه لا يوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هو موجود في المدن. فلا تبلغ مفاسدها الى عشر ما في المدينة، لهذا لا تقاس المدن على القرى والارياف.

[مسألة مهمة اخطرت على القلب فجأة]

تنبيه:

ان دأب رسائل النور في الخطاب هو الرحمة والشفقة والرأفة، لذا يرتبط معها النساء اللاتي يتميزن بالشفقة والحنان اكثر من الرجال. اما هذا البحث فانه موجه الى اللاتي يقلدن الاجنبيات تقليداً اعمى، لذا تبدو فيه الشدة في الكلام، وليس ذلك الا لتنبيه الغافلات وايقاظهن. أما اخواتنا رائدات الشفقة والحنان فنرجو الا تزعجهن شدته في الكلام.

يُفهم من رويات الاحاديث النبوية ان النساء وفتنتهن ستؤدى أخطر دور وأرهبه في فتنة آخر الزمان.

نعم، كما تنقل لنا كتب التاريخ: انه كانت في القرون الاولى طائفة من النساء اشتهرن بالشجاعة وحمل السلاح يعرفن بـ (نساء الامازون) حتى تشكلت منهن فرقة عسكرية اقتحمت حروباً ضارية، كذلك في عصرنا هذا، لدى تصدى ضلالة الزندقة للاسلام وحربها معه فان أرهب فرقة من الفرق المغيرة على الاسلام والتى تسير وفق مخطط النفس الامارة بالسوء، وسلمت قيادها وامرتها الى الشيطان، هى طائفة من النساء الكاسيات العاريات

اللائي يكشفن عن سيقانهن ويجعلنها سلاحاً قاسياً جارحاً ينزل بطعناته على أهل الايمان! فيغلقن بذلك باب النكاح ويفتحن أبواب السفاح، اذ يأسرن بغتة نفوسَ الكثيرين ويجرحنهم جروحاً غائرة في قلوبهم وأرواحهم بارتكابهم الكبائر، بل ربما يصرعن قسماً من تلك القلوب ويقضين عليها.

وانه لعقاب عادل لهن، أن تصبح تلك السيقانُ المدججة بسلاح الفتنة الجارح حطب جهنم وتحرق في نارها أول ما يحرق، لما كن يكشفنها لبضع سنوات أمام من يحرم عليهن.

فضلاً عن ذلك فانهن يفقدن الزوج المناسب لهن، بل لا يستطعن الحصول عليه وهن في أمس الحاجة اليه بحكم الفطرة والخلقة، لما كن قد ضيّعن الثقة والوفاء في الدنيا، بل يصبحن في حالة من الابتذال وفقدان الرعاية والاهمية - نتيجة عدم الرغبة في النكاح وعدم الرعاية لحقوقه - أن يكون رجل واحد قيّماً على أربعين من النساء، كما ورد ذلك في الحديث الشريف(١).

---

(١) عن أنس قال: لاحدثنكم حديثاً لا يحدثكم احد بعدى، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من اشراط الساعة ان يقل العلم ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيّمُ الواحد) البخاري - كتاب العلم - باب رفع العلم وظهور الجهل.

فما دامت الحقيقة هكذا.. وما دام كلٌّ جميل يحب جماله، ويحاول جهده المحافظة عليه، ولا يريد أن يُمَسّ بسوء.. وما دام الجمال نعمة مهداة، والنعمة إن حُمدت عليها زادت وان قوبلت بالنكران تغيّرت.. فلا شك ان المرأة المالكة لرشدها ستهرب بشدة وبكل ما لديها من قوة من ان تجعل جمالها وسيلة لكسب الخطايا والذنوب وسوق الآخرين عليها.. وستفر حتماً من ان تجعل جمالها يتحول الى قبح دميم وجمال منحوس مسموم.. وستنهزم بلاشك من ان تجعل بالنكران تلك النعمة المهداة مدار عذاب وعقاب.

لذا ينبغي للمرأة الحسناء استعمال جمالها على الوجه المشروع ليظل ذلك الجمال الفاني خالداً دائماً بدلاً من جمال لا يدوم سوى بضع سنين، فتكون عندئذ قد أدت شكر تلك النعمة. والاّ ستتجرع الآلام والعذاب في وقت شيخوختها، وستبكي وتندب على نفسها يائسة نادمة لشدة ما ترى من استثقال الآخرين لها واعراضهم عنها.

أما اذا زُين ذلك الجمال بزينة آداب القرآن الكريم وروعي الرعاية اللائقة ضمن نطاق التربية الاسلامية، فسيظل ذلك الجمال الفاني باقياً - معنىً - وستمنح المرأة جمالاً هو أجمل وأبهى وأحلى من

جمال الحور العين في الجنة الخالدة كما هو ثابت في الحديث الشريف(١). فلئن كانت لتلك المرأة مسكة من عقل، فلن تدع هذه النتيجة الباهرة الخالدة قطعاً ان تضيع منها.

(١) في الباب احاديث كثيرة نذكر منها: عن ام سلمة زوج النبي ﷺ قالت: (في حديث طويل) قلت: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال: نساء الدنيا افضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة. قلت: يارسول الله. وبم ذلك؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله عز وجل ألبس الله عز وجل وجوههن النور واجسادهن الحرير، بيض الالوان، خضر الثياب، صفر الحلي... الخ الحديث.. رواه الطبراني في الكبير والاوسط وهذا لفظه (عن الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٥٣٧).

زوجناكها

باسمه سبحانه

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ابداً دائماً.

اخوتي الاعزاء!

لقد ابلغتم الحافظ توفيق الشامي(١)

ليقول لي مسألتين هما:

اولاً: ان اهل الضلالة الحاليين، يجدون في زواج الرسول ﷺ بزينب موضع نقد واعتراض، كما كان دأب المنافقين في سالف الزمان. اذ يعدونه زواجاً مبنياً على الشهوة ودوافع نفسانية!

الجواب: حاش لله وكلا! ألف ألف مرة كلا! ان يد الشبهات السافلة احط من أن تبلغ طرفاً من ذلك المقام الرفيع السامي.

---

(١) (١٨٨٧ ـ ١٩٦٥) من اوائل طلاب النور ومن كتاب رسائل النور، يلقب بالحافظ لحفظه القرآن الكريم وبالشامي لطول بقائه بالشام بصحبة والده الذي كان ضابطاً هناك، وهو المشهود له بالصلاح والعلم والتقوى، لازم الاستاذ في بارلا وفي سجون اسكي شهر ودنيزلي، تغمده الله برحمته. ـ المترجم.

نعم! ان من كـان مـالكاً لذرة من الانـصـاف يعلم انهﷺ من الخامسة عشرة الى الاربعين من عمره ـ تلك الفترة التي تغلي فيها الحرارة الغريزية وتلتهب الهوسات النفسانية ـ قد التزم بالعصمة التامة والعفة الكاملة، بشهادة الاعداء والاصدقاء، واكتفى بزوجة واحدة شبه عجوز، وهي خديجة الكبرى رضى الله عنها. فلابد ان كثرة زواج هذا الكريم العفيف ﷺ بعد الاربعين ـ اي في فترة توقف الحرارة الغريزية وسكون الهوسات ـ ليست نفسانية بالضرورة والبداهة، وانما هي مبنية على حِكم مهمة، احداها هي:

ان اقوال الرسولﷺ وافعاله واحواله واطواره وحركاته وسكناته، هي منبع الدين ومصدر الاحكام والشريعة.

ولقد روى الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هذه الاحكام وحملوا مهمة تبليغ ما ظهر لهم من حياتهﷺ. أما أسرار الدين واحكام الشريعة النابعة من احواله المخفية عنهم، في نطاق اموره الشخصية الخاصة به، فان رواتها وحامليها هي زوجاته الطاهرات، فقد أدَّيْنَ هذه المهمة على وجهها حق الأداء. بل ان ما يقرب من نصف احكام الدين واسراره يأتي عن طريقهن.

بمعنى ان هذه الوظيفة الجليلة يلزم لها زوجات كثيرات، وذوات مشارب مختلفة كذلك.

أما زواجه ﷺ بزينب، فقد ذكر في الشعاع الثالث من الشعلة الاولى من الكلمة الخامسة والعشرين، فيما يخص الآية الكريمة ﴿ ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ منْ رجالِكم ولكن رسولَ الله وخاتمَ النبيين ﴾ (الاحزاب: ٤٠)، ان الآية الواحدة تفيد معاني عديدة، بوجوه عديدة، حسب فهم طبقات الناس.

فحصة طبقة من الناس من فهم هذه الآية الكريمة:

أن زيداً رضي الله عنه الذي كان مولى رسول الله ﷺ، ويحظى بخطابه له: يا بني! لم يجد نفسه كفواً لزوجته العزيزة النفس فطلقها لذلك، كما وردت الروايات الصحيحة، وبناء على اعترافه بنفسه. اي أن زينب رضي الله عنها، قد خُلقت على مستوى آخر من الاخلاق العالية، فشعر بها زيد بفراسته بأنها على فطرة سامية تليق ان تكون زوجة نبي. حيث وجد نفسه غير كفوءة لها فطرة، مما سبب عدم الامتزاج النفسي والانسجام الروحي بينهما، فطلقها، وتزوجها الرسول الكريم ﷺ بأمر إلهي.

فالآية الكريمة ﴿ زوجناكها ﴾ (الاحزاب: ٣٧) تدل باشارتها على أن ذلك النكاح قد عقد بعقد سماوي، فهو عقد خارق للعادة، وفوق العرف والمعاملات الظاهرية، اذ هو عقدٌ عُقد بحكم القدر

الإلهي المحض، حتى انقاد الرسول الكريم ﷺ لذلك الحكم مضطراً وما كان ذلك برغبة من نفسه.

وهذا الحكم القدري يتضمن حكماً شرعياً مهماً وحكمة عامة ومصلحة شاملة.

فبأشارة الآية الكريمة ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حَرَجٌ في أزواجِ أدعيائهم﴾ (الاحزاب:٣٧). ان خطاب الكبار للصغار بـ: يا بني! ليس حراماً، اذ لا يغير الاحكام كقول المظاهر لزوجته (اي قوله أنت عليّ كظهر أمي).

وكذا فان الانبياء والكبار لدى خطابهم لأمتهم ولرعاياهم، ولدى نظرهم اليهم، نظر الابوة، انما هو باعتبار مهمة الرسالة وليست باعتبار الشخصية الانسانية حتى يحرم الزواج منهم.

وطبقة ثانية من الناس يفهمون هكذا:

ان سيداً عظيماً وآمراً حاكماً ينظر الى رعاياه نظر الابوة. اي يشفق عليهم شفقة الوالد. فان كان ذلك الآمر سلطاناً روحانياً، ظاهراً وباطناً، فرحمته تزداد حينئذ عن شفقة الاب أضعافاً مضاعفة. والافراد بدورهم ينظرون اليه نظر الوالد، كأنهم أولاد حقيقيون له، وحيث أن نظر الأبوة من الصعوبة انقلابه الى نظر الزوج، ونظر

البنت ايضاً لا يتحول بسهولة الى نظر الزوجة، لذلك وجد العامة حرجاً في تزوجٍ النبيﷺ ببنات المؤمنين، والقرآن الكريم يصحح مفاهيمهم قائلاً:

ان النبي يشفق عليكم ويعاملكم معاملة الاب، وينظر اليكم باسم الرحمة الإلهية، فانتم كالابناء بالنسبة للرسالة التي يحملها. ولكن ليس هو اباكم باعتبار الشخصية الانسانية، لكي يقع الحرج في الأمر، أمر الزواج. وحتى لو خاطبكم بيا أبنائي وأولادي فانتم لستم اولاده وفق الاحكام الشرعية، فلا تكونون اولاده فعلاً.

الباقي هو الباقي

سعيد النورسي

دفع شبهة

سؤال: (١) ان قسماً من الأجانب يوردون شبهات حول مسائل كتعدد الزوجات والرق، كأنها لاتساير المدنية، فيثيرون الأوهام حول الشريعة.

ج: سأقول لكم قاعدة بصورة مجملة لأنني على نية اصدار تفاصيلها في رسالة مستقلة.

ان أحكام الاسلام على قسمين:

الأول: وهو الذي يؤسَّس عليه الشريعة وهو الحُسن الحقيقي والخير المحض.

الثاني: الشريعة المعدِّلة، أي تأتي الشريعة وتخرج الشئ من صورته البشعة الظالمة الى صورة ملائمة للزمان والمحيط قابلة للتطبيق حسب الطبيعة البشرية، أخذاً بالصورة المعدِّلة اختياراً لأهون الشرّين وأخف الضررين، حتى يتيسّر الوصول الى الحُسن الحقيقي تماماً. لأن رفع أمرٍ مستأصل في الطبيعة البشرية رفعاً آنياً يقتضي قلبَ الطبيعة البشرية رأساً على عقب.

(١) هذا السؤال طرح من قبل أحد الأرناووط - المؤلف.

وعلى هذا فالشريعة ليست هي التي أوجدت الرقّ، بل هي التي أوجدت السبُل، ومهّدت الطريق لتحويل الرقّ من أقسى صوره الى مايبسّر الوصول الى الحرية التامة والانتقال اليها. اي عدّلت تلك الصورة البشعة وقلّلت منها. ثم ان تعدّد الزوجات الى حدّ الأربع زوجات، مع أنها موافقة لطبيعة الأنسان والعقل والحكمة، فان الشريعة لم تجعلها من الواحدة الى الأربعة، بل نزّلتها ونقّصتها من الزوجات الثمانية والتسعة الى الأربعة، ولاسيما قد وضعت شرائط - في التعدد - بحيث لاتؤدي مراعاتُها الى ضررٍ ما، وحتى لو حصل في بعض النقاط شر، فهو شرّ أهون، وأهون الشرّ عدالة اضافية (نسبية)، إذ الخير المحض لايمكن ان يحصل في جميع أحوال العالم، هيهات!!..

سر شقاء الضال وسعادة المؤمن

ان ممثل أهل الضلالة والداعية لها، اذ لم يجد ما يبني عليه ضلالته، وعندما تفوته البينة وتلزمه الحجة يقول:

اني أرى ان سعادة الدنيا، والتمتع بلذة الحياة، والرقي والحضارة، والتقدم الصناعي هي في عدم تذكر الآخرة وفي عدم الايمان بالله وفي حب الدنيا وفي التحرر من القيود وفي الاعتداد بالنفس والاعجاب بها.. لذا سقتُ أكثر الناس ولا زلت أسوقهم ـ بهمة الشيطان ـ الى هذا الطريق.

الجواب: ونحن بدورنا نقول باسم القرآن الكريم:

أيها الانسان البائس! عُد الى رُشدك! لا تصغ الى داعية أهل الضلالة. ولئن ألقيت السمعِ اليه ليكونن خسرانك من الفداحة ما يقشعر من هول تصوره الروحُ والعقلُ والقلبُ. فأمامك طريقان:

الاول: هو طريق ذو شقاء يريك إياه داعية الضلالة.

الثاني: هو الطريق ذو السعادة الذي يبينه لك القرآن الحكيم.

ولقد رأيتَ كثيراً من الموازنات بين ذينك الطريقين في كثير من

«الكلمات» ولا سيما في «الكلمات الصغيرة» والآن انسجاماً مع البحث تأمل في واحدةٍ من ألفٍ من المقارنات والموازنات وتدبَّرها، وهي:

ان طريق الشرك والضلالة والسفاهة والفسوق يهوي بالانسان الى منتهى السقوط والى أسفل سافلين، ويُلقي على كاهله الضعيف العاجز في غمرة آلام غير محدودة عبئاً ثقيلاً لا نهاية لثقله، ذلك لان الانسان ان لم يعرف الله سبحانه وتعالى وإن لم يتوكل عليه، يكون بمثابة حيوانٍ فانٍ؛ يتألم دوماً ويحزن باستمرار، ويتقلب في عجز وضعف لا نهاية لهما، ويتلوى في حاجة وفقر لا نهاية لهما، ويتعرض لمصائب لا حد لها، ويتجرع آلام الفراق من التي استهواها ونسج بينه وبينها خيوط العلاقات، فيقاسي وما زال يقاسي، حتى يغادر ما بقي من أحبائه نهاية المطاف ويفارقهم جزعاً وحيداً غريباً الى ظلمات القبر.

وسيجد نفسه طوال حياته أمام آلام وآمال لا نهاية لهما، مع أنه لا يملك سوى ارادة جزئية، وقدرة محدودة، وحياة قصيرة، وعمر زائل، وفكر آفل.. فتذهب جهودُه في تطمينها سدىً؛ ويسعى هباء وراء رغباته التي لا تحد. وهكذا تمضي حياتُه دون أن يجني ثمراً.

وبينما تجده عاجزاً عن حمل أعباء نفسه، تراه يحمّل عاتقه وهامته المسكينة أعباء الدنيا الضخمة، فيتعذب بعذاب محرق أليم قبل الوصول الى عذاب الجحيم.

ان اهل الضلالة لا يشعرون بهذا الألم المرير والعذاب الروحي الرهيب اذ يلقون أنفسهم في أحضان الغفلة ليُبطلوا شعورهم ويخدّروا إحساسهم ـ مؤقتاً ـ بسُكرها.. ولكن ما أن يدنو أحدُهم من شفير القبر حتى يرهف إحساسه ويضاعف شعوره بهذه الآلام دفعةً واحدة؛ ذلك لأنه إن لم يكن عبداً خالصاً لله تعالى فسيظن أنه مالكٌ نفسَه، مع أنه عاجز بارادته الجزئية وقدرته الضيئلة حتى عن ادارة كيانه وحده أمام أحوال هذه الدنيا العاصفة اذ يرى عالماً من الاعداء يحيط به ابتداءً من أدق الميكروبات وانتهاء بالزلازل المدمرة على أتم استعداد للانقضاض عليه والاجهاز على حياته، فترتعد فرائصه ويرتجف قلبُه رعباً وهلعاً كلما تخيل القبر ونظر اليه.

وبينما يقاسي هذا الانسان ما يقاسي من وضعه اذا بأحوال الدنيا التي يتعلق بها ترهقه دوماً، واذا بأوضاع بني الانسان الذي يرتبط بهم تنهكه باستمرار، ذلك لظنه أن هذه الاحداث والوقائع ناشئة من لعب الطبيعة وعبث المصادفة، وليست من تصرف واحدٍ أحد حكيمٍ عليمٍ، ولا من تقدير قادرٍ رحيمٍ كريمٍ، فيعاني مع آلامه هو

آلام الناس كذلك، فتصبح الزلازل والطاعون والطوفان والقحط والغلاء والفناء والزوال وما شابهها مصائب قاتمة وبلايا مزعجة معذّبة!

فهذا الانسان الذي اختار بنفسه هذا الوضع المفجع، لا يثير اشفاقاً عليه، ولا رثاء على حاله.. مثله في هذا كمثلِ الذي ذكر في الموازنة بين الشقيقين في «الكلمة الثامنة» من أن رجلاً لم يقنع بلذة بريئة ونشوة نزيهة وتسلية حلوة ونزهة شريفة مشروعة، بين أحبة لطفاء في روضة فيحاء وسط ضيافة كريمة، فراح يتعاطى الخمر النجسة ليكسب لذة غير مشروعة، فسكر حتى بدأ يخيّل اليه أنه في مكان قذر، وبين ضوارٍ مفترسة، تصيبه الرعشة كأنه في شتاء، وبدأ يستصرخ ويستنجد فلم يشفق عليه احد؛ لأنه تصور أصدقاءه الطيبين حيوانات شرسة، فحقرهم وأهانهم.. وتوهم الاطعمة اللذيذة والاواني النظيفة التي في صالة الضيافة أحجاراً ملوثة، فباشر بتحطيمها.. وظن الكتب القيمة والرسائل النفيسة في المجلس نقوشاً عادية وزخارف لا معنى لها، وشرع بتمزيقها ورميها تحت الاقدام.. وهكذا.

فكما لا يكون هذا الشخص ـ وأمثاله ـ أهلاً للرحمة ولا يستحق الرأفة، بل يستوجب التأديب والتأنيب، كذلك الحال مع مَن يتوهم

بسُكر الكفر وجنون الضلالة الناشئين من سوء اختياره أن الدنيا التي هي مضيف الصانع الحكيم لعبةَ المصادفة العمياء، وألعوبة الطبيعة الصماء.. ويتصور تجديد المصنوعات لتجليات الاسمآء الحسنى وعبورها الى عالم الغيب مع تيار الزمن، بعد أن أنهت مهامها واستنفدت أغراضها كأنها تصب في بحر العدم ووادي الانعدام وتغيب في شواطيء الفناء.. ويتخيل أصوات التسبيح والتحميد التي تملأ الاكوان والعوالم أنيناً ونواحاً يطلقه الزائلون الفانون في فراقهم الابدي.. ويحسب صحائف هذه الموجودات التي هي رسائل صمدانية رائعة خليطاً لا معنى له ولا مغزى.. ويخال باب القبر الذي يفتح الطريق الى عالم الرحمة الفسيح نفقاً يؤدي الى ظلمات العدم.. ويتصور الأجَل الذي هو دعوة الوصال واللقاء بالاحباب الحقيقيين أوان فراق الاحبة جميعهم!.

نعم! ان الذي يعيش في دوامة هذه التصورات والاوهام يلقي نفسه في أتون عذاب دنيوي أليم، ففضلاً عن أنه لا يكون أهلاً لرحمة ولا لرأفة، يستحق عذاباً شديداً، لتحقيره الموجودات - باتهامها بالعبثية - وتزييفه الاسماء الحسنى - بانكار تجلياتها - وانكاره الرسائل الربانية بردّه شهاداتها على الوحدانية.

فيا أيها الضالون السفهاء، ويا أيها التعساء الاشقياء!

تُرى هل يُجدي أعظم علومكم، وأعلى صروح حضارتكم وأرقى مراتب نبوغكم وأنفذ خطط دهائكم شيئاً أمام هذا السقوط المخيف المريع للانسان؟ وهل يستطيع الصمود حيال هذا اليأس المدمّر للروح البشرية التواقة الى السلوان؟ وهل يقدر ما تطلقون من «طبيعة» لكم، وما تسندون اليه الآثار الإلهية من «أسباب» عندكم، وما تنسبون اليه الاحسانات الربانية من «شريك» لديكم، وما تتباهون به من «كشوفاتكم» وما تعتزون به من «قومكم»، وما تعبدون من «معبودكم» الباطل.. هل يستطيع كل أولئك من انقاذكم من ظلمات الموت الذي هو أعدام أبدي لديكم؟ وهل يستطيع كل أولئك من امراركم من حدود القبر بسلامة، ومن تخوم البرزخ بأمان، ومن ميدان الحشر باطمئنان، ويتمكن أن يعينكم على عبور جسر الصراط بحكمة، ويجعلكم أهلاً للسعادة الابدية والحياة الخالدة؟.

انكم لا محالة ماضون في هذا الطريق، اذ ليس بمقدوركم أن توصدوا باب القبر دون أحد. فأنتم مسافرو هذا الطريق لا مناص. ولابد لمن يمضي في هذا الطريق من ان يستند ويتكل على مَن له علم محيط شامل بكل دروبه وشعابه وحدوده الشاسعة، بل تكون جميع تلك الدوائر العظيمة تحت تصرفه وضمن أمره وحكمه.

فيا أيها الضالون الغافلون!

أن ما أودع في فطرتكم من استعداد المحبة والمعرفة، ومن وسائط الشكر ووسائل العبادة التي يلزم أن تبذل الى ذات الله تبارك وتعالى، وينبغي أن تتوجه الى صفاته الجليلة وأسمائه الحسنى، قد بذلتموها ـ بذلاً غير مشروع ـ لأنفسكم وللدنيا، فتعانون مستحقين عقابها، وذلك بسر القاعدة «ان نتيجة محبة غير مشروعة مقاساة عذاب أليم بلا رحمة». لأنكم وهبتم انفسكم المحبة التي تخص الله سبحانه وتعالى، فتعانون بلايا محبوبتكم التي لا تعد اذ لم تمنحوها راحتها الحقيقة.. وكذا لا تسلمون أمرها بالتوكل الى المحبوب الحق وهو الله القدير المطلق، فتقاسون الألم دائماً.. وكذا فقد أوليتم الدنيا المحبة التي تعود الى اسماء الله الحسنى وصفاته الجليلة المقدسة، ووزعتم آثار صنعته البديعة وقسمتموها بين الاسباب المادية، فتذوقون وبال عملكم؛ لأن قسماً من أحبائكم الكثيرين يغادرونكم مُدبرين دون توديع، ومنهم مَن لا يعرفونكم أصلاً، وحتى اذا عرفوكم لا يحبونكم، وحتى اذا أحبوكم لا ينفعونكم، فتظلون في عذاب مقيم من أعذبة فراقٍ لا حد له ومن آلام زوال يائس من العودة.

فهذه هي حقيقة ما يدعيه أهل الضلالة، وماهية ما يدعون اليه

من «سعادة الحياة» و «كمال الانسان» و «محاسن الحضارة» و «لذة التحرر»!!

ألا ما أكثف حجاب السفاهة والسكرُ الذي يخدّر الشعور والاحساس!

ألا قل: تباً لعقل أولئك الضالين!.

أما الصراط المستقيم أو الجادة المنورة للقرآن الكريم، فانه يداوي جميع تلك الجروح التي يعاني منها أهل الضلالةويضمدها بالحقائق الايمانية، ويبدد كل تلك الظلمات السابقة في ذلك الطريق، ويسد جميع ابواب الضلالة والهلاك، بالآتي:

انه يداوي ضعفَ الانسان، وعجزه، وفقره، واحتياجَه بالتوكل على القدير الرحيم، مُسلّماً أثقال الحياة وأعباء الوجود الى قدرته سبحانه والى رحمته الواسعة دون أن يحملها على كاهل الانسان، بل يجعله مالكاً لزمام نفسه وحياته، واجداً له بذلك مقاماً مريحاً، ويعرّفه بأنه ليس بحيوانٍ ناطق، بل هو انسان بحق وضيف عزيز مكرم عند الملك الرحمن.

ويداوي أيضاً تلك الجروح الانسانية الناشئة من فناء الدنيا وزوال الاشياء، ومن حب الفانيات، يداويها بلطف وحنان باظهاره الدنيا

دار ضيافة الرحمن ومبيناً أن ما فيها من الموجودات هي مرايا الاسماء الحسنى، وموضحاً أن مصنوعاتها رسائل ربانية تتجدد كل حين باذن ربها، فينقذ الانسان من قبضة ظلمات الاوهام.

ويداوي أيضاً تلك الجروح التي يتركها الموت، الذي يتلقاه أهل الضلالة فراقاً أبدياً عن الاحبة جميعاً، ببيانه أن الموت مقدمة الوصال واللقاء مع الاحباء الذين رحلوا الى عالم البرزخ والذين هم الآن في عالم البقاء، ويثبت أن ذلك الفراق هو عين اللقاء.

ويزيل كذلك أعظم خوف للانسان باثباته أن القبر باب مفتوح الى عالم الرحمة الواسعة، والى دار السعادة الابدية، والى رياض الجنان، والى بلاد النور للرحمن الرحيم، مبيناً أن سياحة البرزخ التي هي أشد ألماً وأشقى سياحة عند أهل الضلالة، هي أمتع سياحة وآنسها وأسرها إذ ليس القبر فم ثعبان مرعب، بل هو باب الى روضة من رياض الجنة.

ويقول للمؤمن:

إن كانت ارادتك واختيارك جزئية، ففوّض أمرك لارادة مولاك الكلية.. وإن كان اقتدارك ضعيفاً فاعتمد على قدرة القادر المطلق.. وان كانت حياتك فانية وقصيرة ففكّر بالحياة الباقية الابدية.. وان

كان عمرك قصيراً فلا تحزن فإن لك عمراً مديداً.. وان كان فكرك خافتاً فادخل تحت نور شمس القرآن الكريم، وانظر بنور الايمان كي تمنحك كل آية من الآيات القرآنية نوراً كالنجوم المتلألئة الساطعة بدلاً من ضوء فكرك الباهت.. وان كانت لك آمال وآلام غير محدودة فان ثواباً لا نهاية له ورحمة لا حد لها ينتظرانك.. وان كانت لك غايات ومقاصد لا تحد، فلا تقلق متفكراً بها فهي لا تُحصر في هذه الدنيا، بل مواضعها ديار اخرى، ومانحها جواد كريم واسع العطاء.

ويخاطب الانسان أيضاً ويقول:

أيها الانسان! أنت لستَ مالكاً لنفسك.. بل أنت مملوكٌ للقادر المطلق القدرة، والرحيم المطلق الرحمة، فلا ترهق نفسَك بتحميلها مشقة حياتك، فان الذي وهب الحياة هو الذي يديرها.

ثم أن الدنيا ليست سائبة دون مالك، كي تقلق عليها وتكلف نفسك حمل أعبائها وترهق فكرك في أحوالها. ذلك لأن مالكها حكيم ومولاها عليم، وأنت لستَ الاّ ضيفاً لديه، فلا تتدخل بفضولٍ في الامور، ولا تخلطها من غير فهم.

ثم ان الانسان والحيوان ليسوا موجودات مهملة، بل موظفون

مأمورون تحت هيمنة حكيم رحيم وتحت اشرافه. فلا تجرّع روحَك ألماً بالتفكر في مشاق أولئك وآلامهم ولا تقدّم رأفتك عليهم بين يدي رحمة خالقهم الرحيم.

ثم أن زمام أولئك الذين اتخذوا طور العداء معك ابتداء من الميكروبات الى الطاعون والطوفان والقحط والزلازل، بل زمام كل شئ بيد ذلك الرحيم الكريم سبحانه، فهو حكيم لا يصدر منه عبث، وهو رحيم واسع الرحمة، فكل ما يعمله فيه اثر من لطف ورأفة.

ويقول أيضاً:

أن هذا العالم مع أنه فانٍ فانه يهيئ لوازم العالم الابدي.. ومع أنه زائل ومؤقت الا أنه يؤتي ثمرات باقية، ويظهر تجليات رائعة من تجليات الاسماء الحسنى الخالدة.. ومع ان لذائذه قليلة وآلامه كثيرة، الا أن لطائف الرحمن الرحيم وتكرمه وتفضله هي بذاتها لذات حقيقية لا تزول، أما الآلام فهي الاخرى تولد لذّات معنوية من جهة الثواب الأُخروي. فما دامت الدائرة المشروعة كافية ليأخذ كل من الروح والقلب والنفس لذّاتها ونشواتها جميعاً، فلا داعي اذن أن تلج في الدائرة غير المشروعة، لأن لذة واحدة من

هذه الدائرة قد يكون لها ألف ألم وألم، فضلاً عن أنها سبب الحرمان من لذة تكريم الرحمن الكريم، تلك اللذة الخالصة الزكية الدائمة الخالدة.

هكذا تبين مما سبق بأن طريق الضلالة يردي الانسان الى أسفل سافلين، الى حد تعجز أية مدنية كانت وأية فلسفة كانت عن ايجاد حل له، بل يعجز الرقي البشري وما بلغه من مراتب العلم عن اخراجه من تلك الظلمات السحيقة التي في الضلالة.

بينما القرآن الكريم يأخذ بيد الانسان ـ بالايمان والعمل الصالح ـ ويرفعه من أسفل سافلين الى أعلى عليين، ويبين له الدلائل القاطعة ويبسط أمامه البراهين الدامغة على ذلك، فيردم تلك الاغوار العميقة بمراتب رقي معنوي وبأجهزة تكامل روحي.. وكذا ييسر له ـ بسهولة مطلقة ـ رحلته الطويلة المضنية العاصفة نحو الابدية، ويهوّنها عليه؛ وذلك بابرازه الوسائط والوسائل التي يمكن أن يقطع بها مسافة ألف سنة، بل خمسين ألف سنة في يوم واحد.

وكذا يضفي على الانسان جلباب العبودية ويكسبه طور عبد مأمور، وضيف موظف لدى الذات الجليلة، وذلك بتعريفه أن الله سبحانه هو مالك الازل والابد، فيضمن له راحة تامة في سياحته في

الدنيا المضياف أو في منازل البرزخ في ديار الآخرة.. فكما أن الموظف المخلص للسلطان يتجول بيسر تام في دائرة مملكة سلطانه، ويتنقل من تخوم ولاياته بوسائط سريعة كالطائرة والباخرة والقطار، كذلك الانسان المنتسب بالايمان الى المالك الازلي فانه يمر بالعمل الصالح من منازل الدنيا المضياف ومن دوائر عالمي البرزخ والحشر ومن حدودهما الواسعة الشاسعة بسرعة البَرق والبُراق حتى يجد السعادة الابدية.. فيثبت القرآن الكريم هذه الحقائق إثباتاً قاطعاً ويبرزها عياناً للأصفياء والأولياء.

ثم تستأنف حقيقته قائلة:

أيها المؤمن لا تبذل ما تملكه من قابلية غير محدودة للمحبة الى نفسك التي هي أمارة بالسوء وهي قبيحة ناقصة، وشريرة مضرة لك، ولا تتخذها محبوبتك ومعشوقتك، ولا تجعل هواها معبودك، بل اجعل محبوبك مَن هو أهلٌ لمحبة غير متناهية.. ذلكم القادر على الاحسان اليك احساناً لا نهاية له، والقادر على اسعادك سعادة لا منتهى لها، بل يسعدك كذلك بما يجزل من احساناته على جميع مَن ترتبط معهم بعلاقات، فهو الذي له الكمال المطلق والجمال المقدس والمنزّه عن كل نقص وقصور وزوال وفناء.. فجماله لا حدود له وجميع أسمائه جميلة وحسنى.

نعم ان في كل اسم من أسمائه أنوار حُسنٍ وجمال لا نهاية لها؛ فالجنة بجميع لطائفها وجمالها ونعيمها انما هي تجلٍ لإظهار جمال رحمته ورحمة جماله، وجميع الحسن والجمال والمحاسن والكمالات المحبوبة والمحببة في الكون كله ما هي الا اشارة الى جماله ودلالة على كماله سبحانه.

ويقول أيضاً:

ايها الانسان! ان ينابيع المحبة المتفجرة في أعماقك والمتوجهة الى الله سبحانه والمتعلقة بأسمائه الحسنى والمولهة بصفاته الجليلة لا تجعلها مبتذلة بتشبثها بالموجودات الفانية، ولا تهدرها دون فائدة على المخلوقات الزائلة؛ ذلك لأن الآثار والمخلوقات فانيتان، بينما الاسماء الحسنى البادية تجلياتها وجمالها على تلك الآثار وعلى تلك المصنوعات باقية دائمة.. ففي كل اسم من الاسماء الحسنى وفي كل صفة من الصفات المقدسة آلاف من مراتب الإحسان والجمال وآلاف من طبقات الكمال.

فانظر الى اسم «الرحمن» فحسب لترى: أن الجنة احدى تجلياته، والسعادة الابدية احدى لمعاته، وجميع الارزاق والنعم المبثوثة في أرجاء الدنيا كافة احدى قطراته.

فأنعم النظر وتدبر في الآيات الكريمة التي تشير الى هذه الموازنة بين ماهية أهل الضلالة وأهل الايمان من حيث الحياة ومن حيث الوظيفة.

﴿لقد خَلَقنا الانسانَ في أحسنِ تقْويم۞ ثم رَدَدْناه أسفلَ سافلين۞ إلاّ الذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾. (التين: ٤-٦)

والآية الاخرى

﴿فما بَكَتْ عليهم السماءُ والارضُ﴾(الدخان: ٤٤)هذه الآيات تشير الى عقبى كل منهما. تأمل فيهما لتجد مدى سموهما واعجازهما في بيان ما عقدناه من الموازنة والمقارنة.

أما الآيات الأولى. فنحيل بيان حقيقة ما تتضمنه من اعجاز في ايجاز الى الكلمة «الحادية عشرة» التي تبينها بياناً مفصلاً. وأما الآية الثانية، فسنشير- اشارة فحسب - الى مدى افادتها عن حقيقة سامية وهي كالآتي:

انها تخاطب قائلة: ان السموات والارض لا تبكيان على موت أهل الضلالة. وتدل بالمفهوم المخالف أن السَّموات والارض تبكيان على رحيل أهل الايمان عن الدنيا. أي لما كانَ أهل الضلالة ينكرون

وظائف السموات والارض ويتهمونهما بالعبثية ولا يدركون معاني ما يؤديانه من مهام، فيبخسون حقهما، بل لا يعرفون خالقَهما ولا دلالاتهما على صانعهما، فيستهينون بهما، ويتخذون منهما موقف العداء والاهانة والاستخفاف، فلابد ألاّ تكتفي السموات والارض بعدم البكاء عليهم، بل تدعوان عليهم بل ترتاحان لهلاكهم.

وتقول كذلك بالمفهوم المخالف، أن السَّموات والارض تبكيان على موت أهل الايمان لأنهم يعرفون وظائفهما، ويقدرونهما حق قدرهما، ويصدقون حقائقهما الحقة، ويفهمون ـ بالايمان ـ ما تفيدان من معانٍ، حيث أنهم كلما تأملوا فيهما قالوا باعجاب: «ما أجمل خلقهما! وما أحسن ما تؤديان من وظائف!». فيمنحونهما ما يستحقان من القيمة والاحترام، حيث يبثون حبهم لهما بحبهم لله، أي لأجل الله، باعتبارهما مرايا عاكسة لتجليات أسمائه الحسنى. ولهذا تهتز السَّموات، وتحزن الارض، لموت أهل الايمان وكأنهما تبكيان على زوالهم.

سؤال مهم

تقولون:

ان المحبة ليست اختيارية، لا تقع تحت ارادتنا، فانا بمقتضى حاجتي الفطرية احب الاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة، وأحب والديّ وأولادي وزوجتي التي هي رفيقة حياتي، وأحب الأنبياء المكرمين والأولياء الصالحين، وأحب شبابي وحياتي وأحب الربيع وكل شئ جميل، وبعبارة أوجز أنا احب الدنيا، ولِم لا احب كل هذه؟.. ولكن كيف استطيع ان اقدّم جميع هذه الانواع من المحبة لله، واجعل محبتي لأسمائه الحسنى ولصفاته الجليلة ولذاته المقدسة سبحانه؟ ماذا يعني هذا؟.

الجواب: عليك ان تستمع الى النكات الاربع الآتية:

■ **النكتة الاولى**:

ان المحبة وان لم تكن اختيارية، الاّ انها يمكن ان يُحوَّل وجهُها بالارادة من محبوب الى آخر؛ كأن يظهرَ قبحُ المحبوب وحقيقته مثلاً، أو يُعرَف انه حجابٌ وستار لمحبوب حقيقي يستحق المحبة، أو مرآة عاكسة لجمال ذلك المحبوب الحقيقي، فعندها يمكن ان يُصرَف وجهُ المحبة من المحبوب المجازي الى المحبوب الحقيقي.

■ النكتة الثانية:

نحن لا نقول لك: لا تحمل وداً ولا حباً لكل ما ذكرتَه آنفاً. وانما نقول اجعل محبتك لما ذكرته في سبيل الله ولوجهه الكريم:

فالتلذذ بالاطعمة الشهية وتذوق الفواكه الطيبة مع التذكر بأنها احسانٌ من الله سبحانه وإنعام من الرحمن الرحيم، يعني المحبة لإسم «الرحمن» واسم «المنعم» من الاسماء الحسنى، علاوة على انه شكر معنوي. والذي يدلنا على ان هذه المحبة لم تكن للنفس والهوى بل لإسم «الرحمن» هو كسب الرزق الحلال مع القناعة التامة ضمن الدائرة المشروعة، وتناوله بالتفكر في انه نعمة من الله مع الشكر له.

ثم ان محبتك للوالدين واحترامهما، انما يعودان الى محبتك لله سبحانه؛ اذ هو الذي غرس فيهما الرحمة والشفقة حتى قاما برعايتك وتربيتك بكل رحمة وحكمة. وعلامة كونهما محبة لوجه الله تعالى، هي المبالغة في محبتهما واحترامهما عندما يبلغان الكبر، ولا يبقى لك فيهما من مطمع. فتُكثر من الشفقة عليهما والرحمة لهما رغم ما يشغلانك بالمشاكل ويثقلان كاهلك بالمشقة. فالآية الكريمة: ﴿إمَّا يَبْلُغَنَّ عندَكَ الكِبَرَ أحدُهمـا أو كلاهُما فلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرهُما وقُلْ لَهُما قَولاً كَريماً۝ وَاخْفِضْ لَهُمـا جَناحَ الذُّلِّ مِن

الرَحمة وَقُلْ رَبِّ ارحَمْهُما كَما رَبياني صَغيراً ﴾(الاسراء:٢٣-٢٤).
تدعو الأولاد الى رعاية حقوق الوالدين في خمس مراتب، وتبين مدى اهمية برّهما وشناعة عقوقهما..

وحيث ان الوالد لا يقبل ان يتقدمه احد سوى إبنه اذ لا يحمل في فطرته حسداً إليه مما يسد على الولد طريق مطالبة حقه من الوالد؛ لأن الخصام إما ينشأ من الحسد والمنافسة بين اثنين او ينشأ من غمط الحق، فالوالد سليم معافى منهما فطرة، لذا لا يحق للولد إقامة الدعوى على والده، بل حتى لو رأى منه بغياً فليس له ان يعصيه ويعقّه. بمعنى ان من يعقّ والديه ويؤذيهما ما هو الآ انسان ممسوخ حيواناً مفترساً.

أما محبة الاولاد فهي كذلك محبةٌ لله تعالى وتعود اليه، وذلك بالقيام برعايتهم بكمال الشفقة والرحمة بكونهم هبة من الرحيم الكريم. أما العلامة الدالة على كون تلك المحبة لله وفي سبيله فهي الصبر مع الشكر عند البلاء، ولا سيّما عند الموت والترفع عن اليأس والقنوط وهدر الدعاء بل يجب التسليم بالحمد عند القضاء. كأن يقول: ان هذا المخلوق محبوب لدى الخالق الكريم، ومملوك له، وقد أمنّني عليه لفترة من الزمن، فالآن اقتضت حكمته سبحانه أن يأخذه مني الى مكان آمن وأفضل. فان تك لي حصة واحدة ظاهرية فيه،

فله سبحانه الف حصة حقيقية فيه. فلا مناص اذن من التسليم بحكم الله.

أما محبة الاصدقاء وودّهم، فان كانوا من اصحاب الايمان والتقوى فان محبتهم هي في سبيل الله وتعود اليه سبحانه بمقتضى «الحب في الله».

ثم ان محبة الزوجة وهي رفيقة حياتك، فعليك بمحبتها على أنها هدية أنيسة لطيفة من هدايا الرحمة الإلهية. واياك ان تربط محبتك لها برباط الجمال الظاهري السريع الزوال، بل اوثقها بالجمال الذي لا يزول ويزداد تألقاً يوماً بعد يوم، وهو جمال الاخلاق والسيرة الطيبة المنغرزة في انوثتها ورقّتها. وان احلى ما فيها من جمال واسماه هو في شفقتها الخالصة النورانية. فجمال الشفقة هذا، وحُسن السيرة يدومان ويزدادان الى نهاية العمر. وبمحبتهما تُصان حقوق هذه المخلوقة اللطيفة الضعيفة، والاّ تفقد حقوقها في وقت هي احوج ما تكون اليها، بزوال الجمال الظاهري.

أما محبة الانبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين فهي ايضاً لوجه الله وفي سبيله من حيث انهم عباد الله المخلصون المقبولون لديه جل وعلا. فمن هذه الزاوية تصبح تلك المحبة للّه.

والحياة ايضاً التي وهبها الله سبحانه وتعالى لك وللأنسان، هي رأس مال عظيم تستطيع أن تكسب به الحياة الأُخروية الباقية. وهي كنز عظيم يحوي اجهزة وكمالات خالدة.. من هنا فالمحافظة عليها ومحبتها من هذه الزواية، وتسخيرها في سبيل المولى عزوجل تعود الى الله سبحانه ايضاً.

ثم ان محبة الشباب وجماله ولطافته، وتقديره من حيث انه نعمة ربانية جميلة، ثم العمل على حسن استخدامه، هي محبة مشروعة، بل مشكورة.

ثم محبة الربيع والشوق اليه تكون في سبيل الله ومتوجهة الى اسمائه الحسنى، من حيث كونه اجمل صحيفة لظهور نقوش الاسماء الحسنى النورانية واعظم معرض لعرض دقائق الصنعة الربانية البديعة.. فالتفكر في الربيع من هذه الزاوية محبة متوجهة الى الاسماء الحسنى.

وحتى حب الدنيا والشغف بها ينقلب الى محبة لوجه الله تعالى فيما اذا كان النظر اليها من زواية كونها مزرعة الآخرة، ومرآة الاسماء الحسنى، ورسائل ربانية الى الوجود، ودار ضيافة موقتة (وعلى شرط عدم تدخل النفس الامارة في تلك المحبة). ومجمل القول:

اجعل حبك للدنيا وما فيها من مخلوقات بالمعنى (الحرفي) وليس بالمعنى (الاسمي) اي لمعنى ما فيها وليس لذاتها. ولا تقل لشئ: «ما اجمل هذا» بل قل: «ما اجمله خلقاً» أو «ما اجمل خلقه»! واياك ان تترك ثغرة يدخل منها حبٌ لغير الله في باطن قلبك، فان باطنه مرآة الصمد، وخاص به سبحانه وتعالى. وقل:

اللّهم ارزقنا حبك وحب ما يقرّبنا اليك.

وهكذا فان جميع ما ذكرناه من انواع المحبة، إن وجهت الوجهة الصائبة على الصورة المذكورة آنفاً، اي عندما تكون لله وفي سبيله، فانها تورث لذة حقيقية بلا ألم. وتكون وصالاً حقاً بلا زوال، بل تزيد محبة الله سبحانه وتعالى، فضلاً عن انها محبة مشروعة وشكر لله في اللذة نفسها، وفكر في آلائه في المحبة عينها.

مثال للتوضيح:

اذا اهدى اليك سلطان عظيم(١) تفاحة ـ مثلاً ـ فانك ستكّن لها نوعين من المحبة، وستلتذ بها بشكلين من اللذة:

الاولى:

المحبة التي تعود الى التفاحة، من حيث انها فاكهة طيبة فيها لذة

(١) لقد وقعت هذه الحادثة فعلاً فيما مضى، عندما دخل رئيسا عشيرتين الى سلطان عظيم وقاما بمثل ما ذكر اعلاه. ـ المؤلف.

بقدر ما فيها من خصائص، هذه المحبة لا تعود الى السلطان. بل مَن يأكلها بشراهة امامه يبدي محبته للتفاحة وليس للسلطان، وقد لا يعجب السلطان ذلك التصرف منه، وينفر من تلك المحبة الشديدة للنفس. علاوة على أن لذة التفاحة جزئية وهي في زوال. اذ بمجرد الانتهاء من اكلها تزول اللذة وتورث الأسف.

أما المحبة الثانية:

فهي للتكرمة السلطانية والتفاتته اللطيفة التي ظهرت بالتفاحة.. فكأن تلك التفاحة نموذج للتوجه السلطاني، او هي ثناء مجسّم منه. فالذي يتسلم هدية السلطان حباً وكرامةً يبدي محبته للسلطان وليس للتفاحة. علماً ان في تلك التفاحة التي صارت مظهراً للتكرمة لذة تفوق وتسمو على الف تفاحة اخرى. فهذه اللذة هي الشكران بعينه، وهذه المحبة هي محبة ذات احترام وتوقير يليق بالسلطان.

وهكذا فاذا ما وجّه الانسان محبته الى النعم والفواكه بالذات وتلذذ عن غفلة بلذاتها المادية وحدها، فتلك محبة نفسانية تعود الى هوى النفس، وتلك اللذات زائلة مؤلمة. أما اذا كانت المحبة متوجهة الى جهة التكرمة الربانية ونحو ألطاف رحمته سبحانه وثمرات احسانه، مقدّراً درجات الاحسان واللطف ومتلذذاً بها بشهية كاملة، فهي شكر معنوي، وهي لذة لا تورث ألماً.

■ **النكتة الثالثة:**

ان المحبة المتوجهة الى الاسماء الحسنى لها طبقات: فقد تتوجه بالمحبة الى الاسماء الحسنى بمحبة الآثار الإلهية المبثوثة في الكون ـ كما بيناه سابقاً ـ وقد تتوجه بالمحبة الى الاسماء الحسنى لكونها عناوين كمالات إلهية سامية، وقد يكون الانسان مشتاقاً الى الاسماء الحسنى لحاجته الماسة اليها، وذلك لجامعية ماهيته وعمومها وحاجاته غير المحدودة، اي يحب تلك الاسماء بدافع الحاجة اليها.

ولنوضح ذلك بمثال:

تصور وانت تستشعر عجزك وحاجتك الشديدة الى مَن يساعدك ويعينك لإنقاذ مَن تحن عليهم وتشفق على اوضاعهم من الاقارب والفقراء، وحتى المخلوقات الضعيفة المحتاجة، اذا بأحدهم يبرز في الميدان، ويحسن لأولئك ويتفضل عليهم ويسبغ عليهم نعمه بما تريده وترغبه.. فكم تطيب نفسك وكم ترتاح الى إسمه «المنعم» و «الكريم».. وكم تنبسط أساريرك وتنشرح من هذين الاسمين، بل كم يأخذ ذلك الشخص من اعجابك وتقديرك، وكم تتوجه اليه بالحب بذينك الاسمين والعنوانين!.

ففي ضوء هذا المثال تدبّر في اسمين فقط من الاسماء الحسنى وهما: «الرحمن» و «الرحيم» تجد أن جميع المؤمنين من الآباء

والاجداد السالفين وجميع الاحبة والاقارب والاصدقاء، هؤلاء الذين تحبهم وتحن اليهم وتشفق عليهم، ينعمون في الدنيا بانواع من النعم اللذيذة، ثم يسعدون في الآخرة بما لذّ وطاب من النعم، بل يزيدهم سبحانه وهو الرحمن الرحيم سعادة ونعيماً بلقاء بعضهم بعضاً وبرؤية الجمال السرمدي هناك.. فكم يكون اسم «الرحمن» و «الرحيم» جديرين اذن بالمحبة؟ وكم تكون روح الانسان تواقة اليهما؟ قس بنفسك ذلك لتدرك مدى صواب قولنا؛ الحمد لله على رحمانيته ورحيميته.

ثم انك تتعلق بالموجودات المبثوثة على الارض وتتألم بشقائها، حتى لكأن الارض برمتها مسكنك الجميل وبيتك المأنوس؛ فاذا ما انعمت النظر تجد في روحك شوقاً عارماً وحاجة شديدة الى اسم «الحكيم» وعنوان «المربي» للذي ينظم هذه المخلوقات كافة بحكمة تامة وتنظيم دقيق وتدبير فائق وتربية رحيمة.

ثم اذا انعمت النظر في البشرية جمعاء تجدك تتعلق بهم وتتألم لحالهم البائسة وتتألم أشد الألم بزوالهم وموتهم، واذا بروحك تشتاق الى اسم «الوارث الباعث» وتحتاج الى عنوان «الباقي، الكريم، المحيي، المحسن» للخالق الكريم الذي ينقذهم من ظلمات العدم ويسكنهم في مسكن اجمل من الدنيا وافضل منها.

وهكذا فلأن ماهية الانسان عالية وفطرته جامعة فهو محتاج بألف حاجة وحاجة الى ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى والى كثير جداً من مراتب كل اسم. فالحاجة المضاعفة هي الشوق، والشوق المضاعف هو المحبة والمحبة المضاعفة كذلك هي العشق، فحسب تكمّل روح الانسان تنكشف مراتبُ المحبة وفق مراتب الاسماء. ومحبة جميع الاسماء ايضاً تتحول الى محبة ذاته الجليلة سبحانه، اذ إن تلك الاسماء عناوين وتجليات ذاته جلّ وعلا.

والآن سنبين من بين ألف اسم واسم من الاسماء الحسنى مرتبة واحدة فقط وعلى سبيل المثال من بين الف مرتبة ومرتبة لإسم «العدل والحكم والحق والرحيم على النحو الآتي:

ان شئت أن تشاهد ما في نطاق الحكمة والعدل من اسم «الرحمن الرحيم، الحق» ضمن دائرة واسعة عظمى فتأمل في هذا المثال:

جيش يضم اربعمائة طائفة متنوعة من الجنود، كل منها تختلف عن الاخرى فيما يعجبها من ملابس، وتتباين فيما تشتهيه من اطعمة وتتغاير فيما تستعمله بيسر من اسلحة، وتتنوع فيما تتناوله من علاجات تناسبها.. فعلى الرغم من هذا التباين والاختلاف في كل

شئ، فـان تلك الطوائف الاربعـمائـة لا تتمـيـز الى فرق وافـواج، بل يتشابك بعضها في بعض من دون تمييز.. فاذا ما وجد سلطان واحد يعطي لكل طائفـة ما يليق بهـا من ملابس، ومـا يلائمهـا من ارزاق، وما يناسبهـا من علاج، وما يوافقها من سـلاح، بلا نسيان لأحد ولا التبـاس ولا اختـلاط، ومن دون أن يكون له مـسـاعـد ومعين، بل يوزعـها كلهـا عليـهم بذاته، بما يتصـف به من رحمـة ورأفة وقـدرة وعلم مـعجـز واحاطة تـامة بالامـور كلها، مع عـدالة فـائقة وحكمـة تامة.. نعم، اذا مـا وجد سلطان كـهذا الذي لا نظيـر له، وشاهدت بنفسك اعمـاله المعجـزة البـاهرة، تدرك عندئذ مدى قـدرته ورأفتـه وعدلـه. ذلك لأن تجهيز كتيبـة واحدة تضم عـشرة اقـوام مختلفين باعتدة مـتباينة وألبسة مـتنوعة أمر عسير جداً، حتى يلجأ الى تجـهيز الجيش بطراز مـعين ثابت من الالـبسـة والاعـتـدة مـهـمـا اختـلفت الاجناس والاقوام.

فاذا شئت ـ في ضـوء هذا المثال ـ أن ترى تجلي اسم الله «الحق» و «الرحمن الرحيم» ضمن نطاق العدل والحكمة، فسرّح نَظَرَك في الربيع الى تلك الخيام المنصوبة على بساط الأرض لأربعمائة الف من الامم المتنوعـة، الذين يمثلون جيش النبـاتات والحيـوانات، أنعم النظر فيها تجد ان جميع تلك الامم والطوائف، مع انها متداخلة، وألبستهم

مختلفة وارزاقهم متفاوتة واسلحتهم متنوعة وطرق معيشتهم متباينة وتدريبهم وتعليماتهم متغايرة، وتسريحاتهم واجازاتهم متميزة.. وهم لا يملكون ألسنة يطالَبون بها تأمين حاجاتهم وتلبية رغباتهم.. مع كل هذا فان كلاً منها تدار وتربى وتراعى باسم «الحق والرحمن والرزاق والرحيم والكريم» دون التباس ولا نسيان ضمن نطاق الحكمة والعدل بميزان دقيق وانتظام فائق.. فشاهِد هذا التجلي وتأمّل فيه؛ فهل يمكن أن يتدخل أحد غير الله سبحانه وتعالى في هذا العمل الذي يُدار بمثل هذا النظام البديع والميزان الدقيق؟ وهل يمكن لأي سبب مهما كان أن يمدّ يده ليتدخل في هذه الصنعة الباهرة والتدبير الحكيم والربوبية الرحيمة والادارة الشاملة غير الواحد الأحد الحكيم القدير على كل شئ؟..

■ **النكتة الرابعة:**

تقول انني احمل انواعاً متباينة من المحبة في نفسي، تتعلق بالاطعمة اللذيذة، وبنفسي وزوجتي وبأولادي ووالديّ وبأحبابي وأصدقائي، وبالأولياء الصالحين والأنبياء المكرمين، بل يتعلق حبي بكل ما هو جميل، وبالربيع الزاهي خاصة وبالدنيا عامة.. فلو سارت هذه الأنواع المختلفة من المحبة وفق ما يأمر به القرآن الكريم، فما تكون نتائجها وما فوائدها؟.

الجواب: ان بيان تلك النتائج وتوضيح تلك الفوائد كلها يحتاج الى تأليف كتاب ضخم في هذا الشأن، لذا سنشير هنا الى نتيجة واحدة او نتيجتين منها اشارة مجملة. وسنبين اولاً النتائج التي تحصل في الدنيا، ثم بعد ذلك نبين النتائج التي ستظهر في الآخرة. وهي كالآتي:

لقد ذكرنا سابقاً: ان انواع المحبة التي لدى ارباب الغفلة والدنيا والتي لا تنبعث الاّ لإشباع رغبات النفس، لها نتائج أليمة وعواقب وخيمة من بلايا ومشقات، مع ما فيها من نشوة ضئيلة وراحة قليلة.

فمثلاً: الشفقة تصبح بلاءً مؤلماً بسبب العجز، والحب يغدو حُرقة مفجعة بسبب الفراق، واللذة تكون شراباً مسموماً بسبب الزوال.. أما في الآخرة فستبقى دون جدوى ولا نفع، لأنها لم تكن في سبيل الله تعالى، او تكون عذاباً أليماً ان ساقت الى الوقوع في الحرام.

سؤال: كيف يظل حب الانبياء الكرام والأولياء الصالحين دون نفع أو فائدة؟

الجواب: مثلما لا ينتفع النصارى المعتقدون بالتثليث من حبهم لسيدنا عيسى عليه السلام، وكذا الروافض من حبهم لسيدنا علي رضى الله عنه!

أما ما ذكرته من انواع المحبة فان كانت وفق ارشاد القرآن الكريم وفي سبيل الله سبحانه وتعالى ومحبة الرحمن الرحيم، فان نتائج جميلة تثمر في الدنيا، فضلاً عن نتائجها الطيبة الخالدة في الآخرة.

اما نتائجها في الدنيا:

فان محبتك للاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة فهي نعمة إلهية لا يشوبها ألم، ولذة لطيفة في الشكر بعينه.

أما محبتك لنفسك أي إشفاقك عليها، والجهد في تربيتها وتزكيتها، ومنعها عن الاهواء الرذيلة، تجعلها منقادة اليك، فلا تسيّرك ولاتقيدك باهوائها بل تسوقها انت الى حيث الهدى دون الهوى.

أما محبتك لزوجتك وهي رفيقة حياتك، فلأنها قد أسست على حُسن سيرتها وطيب شفقتها، وكونها هبة من الرحمة الإلهية، فستولها حباً خالصاً ورأفة جادة، وهي بدورها تبادلك هذه المحبة مع الاحترام والتوقير، وهذه الحالة تزداد بينكما كلما تقدمتما في العمر، فتقضيان حياة سعيدة هنيئة باذن الله.. ولكن لو كان ذلك الحب مبنياً على جمال الصورة الذي تهواه النفس، فانه سرعان ما يخبو ويذبل، وتفسد الحياة الزوجية ايضاً.

أما محبتك للوالد والوالدة، فهي عبادة تُثاب عليها ما دامت في سبيل الله، ولا شك انك ستزيد الحب والاحترام لهما عندما يبلغان الكبر، وتكسب لذة روحية خالصة وراحة قلبية تامة لدى القيام بخدمتهما وتقبيل ايديهما وتبجيلهما باخلاص، فتتوجه الى المولى القدير، وانت تشعر هذا الشعور السامي والهمة الجادة، بأن يطيل عمرهما لتحصل على مزيد من الثواب.. ولكن لو كان ذلك الحب والاحترام لأجل كسب حطام الدنيا ونابعاً من هوى النفس، فانه يولد ألماً روحياً قاتماً ينبعث من شعور سافل منحط واحساس دنئ وضيع هو النفور من ذينك الموقَرين اللذين كانا السبب لحياتكَ انت، واستثقالهما وقد بلغا الكبر وباتا عبئاً عليك، ثم الأدهى من ذلك تمني موتهما وترقّب زوالهما!

أما محبتك لأولادك، اي حبك لمن استودعك الله اياهم أمانةً، لتقوم بتربيتهم ورعايتهم.. فحب اولئك المؤنسين المحبوبين من خلق الله، انما هو حب مكلل بالسعادة والبهجة، وهو نعمة إلهية في الوقت نفسه، فاذا شعرت بهذا فلا ينتابك الحزن على مصابهم ولا تصرخ متحسراً على وفاتهم. اذ - كما ذكرنا سابقاً - ان خالقهم رحيم بهم حكيم في تدبير امورهم وعند ذلك تقول ان الموت بحق

هؤلاء لهو سعادة لهم. فتنجو بهذا من ألم الفراق وتتفكر ان تستدر رحمته تعالى عليك.

أما محبتك للأصدقاء والأقرباء، فلانها لوجه الله تعالى، فلا يُحول فراقهم ولا موتهم عن دوام الصحبة معهم، ودوام اخوتكم ومحبتكم ومؤانستكم؛ اذ تدوم تلك الرابطة الروحية والحب المعنوي الخالص، فتدوم بدورهما لذة اللقاء ومتعة الوصال.. ولكن ان لم يكن ذلك الحب لأجله تعالى ولا في سبيله، فان لذة لقاء يوم واحد يورث آلام الفراق لمائة يوم.(١)

أما محبتك للأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين، فان عالم البرزخ الذي هو عالم مظلم موحش في نظر ارباب الضلالة والغفلة تراه منازل من نور تنورت باولئك المنورين، وعندها لا تستوحش من اللحاق بهم، ولا تجفل من عالم البرزخ، بل تشتاق اليه، وتحن اليه من دون أن يعكر ذلك تمتعك بالحياة الدنيا.. ولكن لو كان حبهم شبيهاً بحب ارباب المدنية لمشاهير الانسانية، فان مجرد التفكر في فناء اولئك الأولياء الكاملين، وترمم عظامهم في مقبرة الماضي الكبرى، يزيد ألماً على آلام الحياة، ويدفع المرء الى تصور موته وزواله

---

(١) ان ثانية واحدة من لقاء في سبيل الله تعالى تعد سنة من العمر، بينما سنة من لقاء لاجل الدنيا الفانية لا تساوي ثانية. – المؤلف.

حيث يقول سـأدخل يوماً هذه المقبرة التي ترم عظام العظماء! يقوله بكل مرارة وحسرة وقلق.. بينما في المنظور الأول يراهم يقيمون براحة وهناء في عالم البرزخ الذي هو قاعة المستقبل ورواقه، بعد ان تركوا ملابسهم الجسدية في الماضي.. فينظر الى المقبرة نظرة شوق وأنس.

ثم أن محبتك للأشياء الجميلة والامور الطيبة، لما كانت محبة في سبيل الله، وفي سبيل معرفة صانعها الجليل بحيث يجعلك تقول: ما اجمل خلقه!. فان هذه المحبة في حد ذاتها تفكر ذو لذة ومتعة، فضلاً عن انها تفتح السبيل امام اذواق حب الجمال والشوق الى الحسن لتتطلع الى مراتب اذواق اسمى وارفع ، وتريه هناك كنوز تلك الخزائن النفيسة فيتملاها المرء في نشوة سامية عالية؛ ذلك لان هذه المحبة تفتح آفاقاً امام القلب ليحوّل نظره من آثار الصانع الجليل الى جمال افعاله البديعة، ومن جمال الافعال الى جمال اسمائه الحسنى، ومن جمال الاسماء الحسنى الى جمال صفاته الجليلة، ومن جمال الصفات الجليلة الى جمال ذاته المقدسة.. فهذه المحبة وبهذا السبيل انما هي عبادة لذيذة وتفكر رفيع ممتع في الوقت نفسه.

أما محبتك للشباب، فلأنك قد احببت عهد شبابك لكونه نعمة

بلة لله سبحانه، فلا شك انك ستصرفه في عبادته تعالى ولا تقتله في السـفه وتمادياً في الغي؛ اذ العبادات التي تكسبهـا في عهد باب انما هي ثمرات يانعة باقيـة خالدة أثمرها ذلك العهد الفاني، ما جـاوزت ذلك العهـد وطعـنـت في السـن حـصلت على د من ثمراتـه الباقـية، ونجـوت تدريجـياً من آفات النفس الأمـارة وء وسيئات طيش الشبـاب. فترجو من المولى القـدير ان يوفقك كسب المزيد من العبـادة في الشـيخـوخة، لتكون أهلاً لرحـمتـه سعـة. وتربأ بنفسك ان تكون مـثل اولئك الغافلين الذين يقـضون سين سنة من عمر شيخوختهم وشيبهم أسفاً وندماً على ما فقدوه متاع الشباب في خمس او عشـر سنوات. حتى عبّر أحد الشعراء ذلك التدم والأسف بقوله:

ألا لَيتَ الشَبَابَ يعودُ يوماً   فأُخبره بِمَا فَعَلَ المَشِيبُ

أما محـبتك للمناظر البهيـجة ولا سيّما مناظر الربيع، فـحيث انها اهدة لبدائع صنع الله واطلاع عليها، فذهاب ذلك الربيع لا يزيل المشـاهدة ومتعـة التفـرج، اذ يترك وراءه مـعانيـه الجميلـة، حيث ع اشبه ما يكـون برسالة ربانية زاهية تفتح للمخلوقـات. فخيالك من شبـيهان بالشـريط السينمائي يديمـان لك لذة المشاهدة هذه، عـددان دوماً تـلك المعاني الـتي تحملهـا رسـالة الربيع. فلا يكون

حبك اذن مؤقتاً ولا مغموراً بالأسف والأسى، بل صافياً خالصاً لذيذاً ممتعاً.

أما حبك للدنيا، فلانه حب لله ولأجله سبحانه، فان موجوداتها المثيرة للرعب والدهشة تصبح لك اصدقاء مؤنسين، ولأنك تتوجه اليها بالحب من حيث كونها مزرعة الآخرة، تستطيع ان تجني من كل شئ فيهاما يمكن ان يكون ثمرة من ثمار الآخرة، أو تغنم منها ما يمكن أن يكون رأس مال للآخرة. فمصائبها اذن لا تخيفك وزوالها وفناؤها لا يضايقك. وهكذا تقضي مدة أقامتك فيها، وانت ضيف مكرم.. ولكن لو كان حبك لها كحب ارباب الغفلة، فقد قلنا لك مراراً: ستغرق نفسك وتفنى بحبٍ ساحقٍ، خانق، زائل، لا طائل وراءه ولا نفع!.

وهكذا فقد حاولنا ان نُري لطيفة واحدة من مئات اللطائف التي تعود لكلٍ مما ذكرتَه، عندما يكون حبك له وفق ارشاد القرآن الكريم، واشرنا في الوقت نفسه الى واحد من مئات اضرار ذلك الحب إن لم يكن وفق ما يأمر به القرآن الكريم.

فان كنت تريد أن تدرك نتائج هذه الانواع المختلفة من المحبة في دار البقاء وعالم الاخرة، مثلما اشارت اليها الآيات البينات

للقرآن الكريم، فسنبين لك بياناً مجملاً فائدة واحدة أُخروية من فوائد تلك الأنواع المشروعة من المحبة، وذلك في تسع اشارات، بعد ان نقدم بين يديها مقدمة:

المقدمة

ان الله سبحانه وتعالى، بالوهيته الجليلة، ورحمته الجميلة، وربوبيته الكبيرة، ورأفته الكريمة، وقدرته العظيمة، وحكمته اللطيفة، قد زيّن هذا الانسان الصغير بحواسٍ ومشاعر كثيرة جداً، وجمّله بجوارح واجهزة واعضاء مختلفة عديدة؛ لِيُشعر طبقات رحمته الواسعة ويذيقه انواع آلائه التي لا تعد، ويعرّفه اقسام احساناته التي لا تحصى، ويُطلعه عبر تلك الاجهزة والاعضاء الكثيرة على انواع تجلياته التي لا تُحد لألف اسم واسم من اسمائه الحسنى، ويحببها اليه، ويجعله يحسن تقديرها حق قدرها.

فلكل عضو ـ من تلك الاعضاء الكثيرة ـ ولكل جهاز وآلة منها وظائفها المتنوعة وعباداتها المتباينة كما ان لذائذها مختلفة وآلامها متغايرة وثوابها متميز.

فمثلاً: العين، تشاهد الجمال في الصور، وترى معجزات القدرة

الإلهية الجميلة في عالم الشهود، فتؤدي وظيفتها بتقديم الشكر لله من خلال نظرتها ذات العبرة. ولا يخفى على أحد مدى ما فيها ـ اي الرؤية ـ من لذة وما يحصل من زوالها من ألم، لذا لا داعي لتعريف لذة الرؤية وألم فقدانها.

ومثلاً: الأذن، تشعر بلطائف الرحمة الإلهية السارية في عالم المسموعات، بسماعها انواع الاصوات ونغماتها اللطيفة المختلفة. فلها عبادة خاصة بها، ولذة تخصها، وثواب يعود اليها.

ومثلاً: حاسة الشم التي تشعر بلطائف الرحمة الإلهية الفواحة من شذى انواع العطور والروائح، فان لها لذتها الخاصة به ضمن ادائها شكرها الخاص، ولا شك ان لها ثواباً خاصاً بها.

ومثلاً: حاسة الذوق التي في الفم. فهي تؤدي وظيفتها وتقدم بشكرها المعنوي بانماط شتى من خلال ادراكها مذاقات انواع الاطعمة ولذائذها.

وهكذا فلكل جهاز من اجهزة الانسان ولكل حاسة وجارحة، ولكل لطيفة من لطائفه المهمة ـ كالقلب والروح والعقل وغيرها ـ وظائفها المختلفة، لذائذها المتنوعة الخاصة بها، فمما لا ريب فيه ان الخالق الحكيم الذي سخّر هذه الاجهزة لتلك الوظائف سيجزى كلاً منها بما يلائمها ويستحقها من جزاء.

ان النتائج العاجلة للأنواعِ المتعددة من المحبة ـ المذكورة سابقاً ـ يشعر بها كل انسان شعوراً وجدانياً، ويستدل على شعوره هذا ويتيقن منه بحدس صادق.

اما نتائجها الأُخروية فقد اثبتتها اثنتا عشرة حقيقة من الحقائق الساطعة للكلمة العاشرة والاسس الستة الباهرة للكلمة التاسعة والعشرين.

أما تفصيلها فهو ثابت قطعاً بالقرآن الكريم الذي هو أصدق كلام وابلغ نظام وهو كلام الله الملك العزيز العلام، في تصريحِ آياته البينات وتلويحها وفي رموزها واشاراتها.. لذا لا نرى داعياً لإيراد براهين مطولة في هذا الشأن، علماً اننا سردنا براهين كثيرة جداً في «كلمات» اخرى وفي المقام الثاني العربي من الكلمة الثامنة والعشرين الخاصة بالجنة وفي الكلمة التاسعة والعشرين.

الاشارة الاولى:

ان النتيجة الأُخروية للمحبة المشروعة المكللة بالشكر لله، نحو الاطعمة اللذيذة والفواكه الطيبة في الدنيا، هي تلك الاطعمة والفواكه الطيبة اللائقة بالجنة الخالدة.. كما ينص عليه القرآن الكريم. هذه المحبة، محبة ذات اشتياق واشتهاء لتلك الجنة وفواكهها. حتى

ان الفاكهة التي تـأكلها في الدنيا وتذكر عليها «الحـمد لله» تتجسم في الجنة فاكهة خاصة بها وتقـدّم اليك طيبة من طيبات الجنة. فأنت تأكل هنا فاكهـة، وهناك «الحمد لله» مجـسمة في فاكهـة من فواكه الجنة.. وحيث انك تقدم شكراً معنوياً لذيذاً برؤيتك الانعام الإلهي والالتفـات الرباني في الاطعمة والفواكـه التي تتناولها هنا، فستسلم اليك هناك في الجنة اطعـمة لذيذة وفـواكه طيـبة، كمـا هو ثابت في الحديث الشريف وباشارات القرآن الكريم، وبمقتضى الحكمة الإلهية ورحمتها الواسعة.

الاشارة الثانية:

ان نتيجة المحبة المشروعة نحـو النفس، اي محبتـها المبنيـة ـ في الدنيـا ـ على رؤية نقـائصـهـا دون مـحـاسنها، ومـحـاولة إكـمالهـا، وتزكيتـهـا ورعايتـهـا بالشفـقة والرأفـة، ودفعهـا الى سبيل الخير، هي اعطاء البـارئ عز وجلّ مـحبـوبين يليـقون بهـا وبـالجنة، فـالنفس التي عـافـت ـ في الـدنيـا ـ هـواهـا وشـهـواتهـا وتركـت رغبـاتهـا في سبيل الله، وأستعمل ما فيها من اجهزة متنوعة على أفضل وجه وأتمه، سـيـمنحـهـا البـارئ الكـريم سبـحانه ـ مكـأفـاة علـى هــذه المحبـة المشـروعة المكـللـة بالعبـودية لله ـ الحـور العين المتـرفلات بسبعين

حلة من حلل الجنة المتنوعة بانواع لطائفها وزينتها، والمتجملات بسبعين نوعاً من انواع الحسن والجمال حتى كأنهن جنة مجسمة مصغرة تنبض بالروح والحياة، لتقرّ بها عينُ النفس التي اطاعت الله وتهدأ بها المشاعر التي اطمأنت الى اوامر الله.. فهذه النتيجة لا ريب فيها، اذ الآيات الكريمة تصرح بها يقيناً.

ثم ان نتيجة المحبة المتوجهة نحو الشباب في الدنيا، اي صرف قوة الشباب ونضارته في العبادة والتقوى، هي شباب دائم خالد في دار البقاء والنعيم المقيم.

الاشارة الثالثة:

أما النتيجة الأخروية لمحبة الزوجة المؤسسة على حُسن سيرتها وجميل خصلتها ولطيف شفقتها، والتي تصونها عن النشوز وتجنبها الخطايا والذنوب، فهي:

جعل تلك الزوجة الصالحة محبوبة ومحبة وصديقة صدوقة وأنيسة مؤنسة، في الجنة، جمالُها ابهى من الحور العين، زينتها ازهى من زينتهن، حسنها يفوق حسنهن.. تتجاذب مع زوجها اطراف الحديث، يستذكران احداث ايام خلت.. هكذا وعد الرحيم الكريم. فما دام قد وعد فسيفى بوعده حتماً.

الاشارة الرابعة:

أما نتيجة محبة الوالدين والاولاد فهي ان الرحمن الرحيم جل وعلا يُحسن الى تلك العائلة السعيدة المحظوظة - رغم تفاوت مراتبهم في الجنة - لقاء بعضهم البعض والمعاشرة والمجالسة والمحادثة فيما بينهم بما يليق بالجنة ودار البقاء، كما هو ثابت بنص القرآن الكريم. وينعم على اولئك الآباء بملاطفة اولادهم الذين توفوا في دار الدنيا قبل سن البلوغ، ويجعلهم لهم ولداناً مخلّدين، في ألطف وضع وأحبّه الى نفوسهم، وبهذا تطمئن رغبة مداعبة الاطفال المغروزة في فطرة الانسان، فيستمتعون بمتعة خالدة وذوق دائم في الجنة، حيث خُلّد لهم اطفالُهم الصغار - الذين لم يبلغوا سن التكليف - ولقد كان يُظن أن ليس في الجنة مداعبة الاطفال، لأنها ليست محلاً للتوالد. ولكن الجنة لأنها تحوى افضل لذائذ الدنيا واجودها، فملاطفة الاولاد ومداعبة الاطفال لابد انها موجودة فيها بأفضل صورها واجمل اشكالها.. فيا بشرى أولئك الآباء الذين فقدوا اطفالهم في دار الدنيا!.

الاشارة الخامسة:

ان نتيجة محبتك لصالح الأصدقاء والأقرباء التي يتطلبها «الحب

في الله»، انما هي في جلوسكم على سُرُرٍ متقابلين ومؤانستكم بلطائف الذكريات، ذكريات ايام الدنيا وخواطرها الجميلة، وقضاء وقت ممتع وجميل بهذه المحاورة والمجالسة. كما هو ثابت بنص القرآن الكريم.

الاشارة السادسة:

أما نتيجة محبة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الصالحين حسب ما بينه القرآن الكريم - فهي كسب شفاعة اولئك الأنبياء الكرام والأولياء الصالحين في عالم البرزخ، وفي الحشر الأعظم فضلاً عن الاستفاضة - بتلك المحبة - من فيوضات مقاماتهم الرفيعة ومراتبهم العالية اللائقة بهم.

نعم، ان الحديث الشريف ينص على أن «المرء مع من احب»[1] فالانسان اذن يستطيع ان يرتفع الى أعلى مقام وارفعه بما نسج مع صاحبه من اواصر المحبة وبانتمائه اليه واتباعه له.

الاشارة السابعة:

ان محبتك للاشياء الجميلة وللربيع، اي نظرك اليها من زاوية

---

(١) رواه البخاري - كتاب الأدب

قولك: «ما اجمل خلقه!» وتوجيه محبتك الى ما وراء ذلك الشئ الجميل من جمال الافعال وانتظامها، والى ما وراء تلك الافعال المنسقة من جمال تجليات الاسماء الحسنى، والى ما وراء تلك الاسماء الحسنى من تجليات الصفات الجليلة.. وهكذا.. ان نتيجة هذه المحبة المشروعة هي:

مشاهدة جمالٍ اسمى من ذلك الجمال الذي شاهدته في المصنوعات بالوف المرات. اي مشاهدة تجليات الاسماء الحسنى وجمال الصفات الجليلة بما يليق بالجنة ودار البقاء. حتى قال الامام الرباني السرهندي رضى الله عنه: «ان لطائف الجنة انما هي تمثلات الاسماء الحسنى» فتأمل!.

الاشارة الثامنة:

أما محبتك للدنيا محبةً مشروعة، اي محبتك لها مع التأمل والتفكر في وجهيها الجميلين اللذين هما: مزرعة الآخرة ومرآة التجليات للأسماء الحسنى فان نتيجتها الأُخروية هي أنه:

سيُهَب لك جنة تسع الدنيا كلها، ولكنها لا تزول مثلها، بل هي خالدة دائمة. وستُظهر لك في مرايا تلك الجنة تجليات الاسماء

الحسنى بأزهى شعشعتها وبهائها، تلك التي رأيت بعض ظلالها الضعيفة في الدنيا.

ثم ان محبة الدنيا في وجهها الذي هو مزرعة للآخرة، اي باعتبار الدنيا مشتلاً صغيراً جداً لاستنبات البذور لتتسنبل في الآخرة وتثمر هناك، فان نتيجتها هي:

أثمار جنة واسعة تسع الدنيا كلها، تنكشف فيها جميع الحواس والمشاعر الانسانية التي يحملها الانسان في الدنيا كبُذيرات صغيرة، انكشافاً تاماً ونمواً كاملاً، وتتسنبل فيها بُذيرات الاستعدادات الفطرية حاملة جميع انواع اللذائذ والكمالات.. هذه النتيجة ثابتة بمقتضى رحمة الله الواسعة وحكمته المطلقة. وهي ثابتة كذلك بنص الحديث الشريف واشارات القرآن الكريم.

ولما كانت محبتك للدنيا ليست لذلك الوجه المذموم الذي هو راس كل خطيئة، وانما هي محبة متوجهة الى وجهيها الآخرين اي الى الأسماء الحسنى والآخرة، وقد عقدت ـ لأجلهما ـ اواصر المحبة معها وعمّرت ذينك الوجهين على نية العبادة، حتى كأنك قمت بالعبادة بدنياك كلها.. فلابد ان الثواب الحاصل من هذه المحبة يكون ثواباً اوسع من الدنيا كلها، وهذا هو مقتضى الرحمة الإلهية وحكمتها.

ثم لان المحبة قد حصلت معها بمحبة الآخرة وكونها مزرعة لها، وبمحبة الله سبحانه، وكونها مرآة لإظهار اسمائه الحسنى.. فلاشك ان تقابل هذه المحبة بمحبوب اوسع من الدنيا كلها، وما هو الاّ الجنة التي عرضها السّموات والأرض.

سؤال: ما فائدة الجنة الواسعة سعة الدنيا؟

الجواب: لو كان من الممكن ان تتجول بسرعة الخيال في اقطار الارض كلها، وتزور اغلب النجوم التي في السماء، لكنت تقول عندئذٍ: ان العالم كله لي. فلا يزاحم حكمك هذا ولا ينافيه وجود الملائكة والناس الآخرين والحيوانات معك في هذا العالم الواسع.

وكذلك يمكنك ان تقول: ان تلك الجنة لي، حتى لو كانت مليئة بالقادمين اليها.

وقد بينا في رسالة (الجنة) - وهي الكلمة الثامنة والعشرون - معنى الحديث الوارد من انه يُعطى لبعض اهل الجنة جنة سعتها خمسمائة سنة، وكذا بيناه في رسالة (الاخلاص).

الاشارة التاسعة:

ان نتيجة الايمان بالله ومحبته سبحانه هي:

رؤية جمال مقدس وكمال منزّه للذات الجليلة سبحانه وتعالى - كما هي ثابتة بالحديث الصحيح(١) والقرآن الكريم - هذه الرؤية التي تساوي ساعة منها الف الف سنة من نعيم الجنة(٢)، ذلك النعيم الذي ساعة منه تفوق الف الف سنة من حياة الدنيا الهنيئة، كما هو ثابت لدى اهل العلم والكشف بالاتفاق.

ويمكنك قياس مدى الشوق واللهفة التي تنطوي عليهما فطرة

---

(١) عن ابي هريرة رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا، قال: فانكم ترونه كذا. والحديث بطوله رواه البخاري ومسلم.

(٢) فقد ورد في الحديث الشريف «... قال: فيكشف الله تبارك وتعالى تلك الحجب، ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شئ لولا أنه قضى عليهم ان لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نورِه. قال: ثم يقال لهم: ارجعوا الى منازلكم. قال: فيرجعون الى منازلهم وقد خفوا على ازواجهم وخفينَ عليهم مما غشيهم من نوره تبارك وتعالى، فاذا صاروا الى منازلهم ترادّ النور وأمكنَ حتى يرجعوا الى صورهم التي كانوا عليها. قال: فتقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة، ورجعتم على غيرها؟ قال: فيقولون: ذلك بأن الله تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه ما خفينا به عليكم....» (رواه البزار - انظر الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ٥٥٦/٤) - المؤلف.

الانسان لرؤية ذلك الجمال المقدس والكمال المنزّه، ومدى ما فيها من رغبة جياشة وتوق شديد وإلتياع لشهودهما، بالمثال الآتي:

كل انسان يشعر في وجدانه بلهفة شديدة لرؤية سيدنا سليمان عليه السلام الذي اوتي الكمال ويشعر ايضاً بشوقٍ عظيم نحو رؤية سيدنا يوسف عليه السلام الذي أُوتي شطر الجمال. فيا ترى كم يكون مدى الشوق واللهفة لدى الانسان لرؤية جمال مقدس وكمال منزّه، الذي من تجليات ذلك الجمال والكمال، الجنة الخالدة بجميع محاسنها ونعيمها وكمالاتها التي تفوق بما لا يحد من المرات جميع محاسن الدنيا وكمالاتها..

اللّهم ارزقنا في الدنيا حبَّك وحبَّ ما يقرّبنا اليك، والاستقامة كما امرتَ، وفي الآخرة رحمتَك ورؤيتك.

﴿ سبحانك لا علمَ لَنا الاّ ما علّمْتَنا إنكَ أنتَ العَليم الحكيم ﴾

اللّهمّ صلِّ وَسَلم على مَن أرسَلته رَحمة للعالمين

وعلى آله وصحبه أجمعين. آمين

عزاء بطفل

باسمه سُبحانه

﴿ وَإنْ مِنْ شَيءٍ إلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

السيد الحافظ « خالد » يا اخا الآخرة العزيز!

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ

﴿ وَبَشِّرِ الصابرين۞ الذين اذا أَصابَتْهُم مُصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾(البقرة: ١٥٥-١٥٦)

أخي! لقد آلمني كثيراً نبأ وفاة طفلكم، ولكن الحكم لله، فالرضاء بقضائه والتسليم بقدره شعار الاسلام. أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقكم الصبر الجميل، وأن يجعل لكم المرحوم ذخراً للآخرة، وشفيعاً يوم القيامة.

وسنبيّن لكم ولأمثالكم من المؤمنين المتقين « خمس نقاط » تشع بشرى سارة وتقطر سلواناً حقيقياً لكم.

النقطة الاولى:

ان معنى الآية الكريمة ﴿ وِلْدانٌ مُخلَّدون ﴾ وسرها هو هكذا:

إن أولاد المؤمنين المتوفين قبل البلوغ سيخلَّدون في الجنة أطفالاً محبوبين بما يليق بالجنة.. وسيكونون مبعث سرور أبدي في احضان آبائهم وأمهاتهم الذين مضوا الى الجنة.. وسيكونون مداراً لتحقيق ألطف الاذواق الابدية للوالدين وهو حب الاطفال وملاطفة الاولاد.

وحيث أن كل شئ لذيذ موجود في الجنة، فلا صحة لقول مَن يقول: «لا وجود لمحبة الاطفال ومداعبتهم في الجنة لخلوها من التكاثر والتناسل». بل هناك الفوز العظيم بمحبة الاطفال وملاعبتهم بصفاء تامٍ ولذة كاملة طوال ملايين السنين، من دون أن يشوبها ألمٌ ولا كدرٌ، بدلاً من محبتهم وملاعبتهم في عشر سنوات دنيوية قصيرة فانية مشوبة بالآلام. كل هذا تحققه الآية الكريمة بجملة ﴿ وِلدانٌ مخلَّدون ﴾ فتصبح اكبر مدار لسعادة المؤمنين وتزفّ أعظم بشرى لهم.

النقطة الثانية:

كان هناك ـ ذات يوم ـ رجلٌ كريم في السجن.. أُلحق به ولده الحبيب أيضاً. فكان يتألم كثيراً بمشقات عجزه عن تأمين راحة إبنه فضلاً عن مقاساته آلامه الشخصية.

بعث اليه الحاكم الرحيم احداً ليبلّغه: «أن هذا الطفل وإن كان إبنك إلاّ أنه واحد من رعيتي وأحد أفراد امتي، سآخذه منك لأربيه في قصر جميل فخم».. بدأ الرجل بالبكاء والحسرة والتأوه، وقال: «لا. لا اعطي ولدي ولا اسلّمه، إنه مدار سلواني!».

انبرى له اصدقاؤه في السجن: يا هذا لا داعي لأحزانك ولا معنى لتألمك. إن كنت تتألم لأجل الطفل فهو سيمضي الى قصر باذخ رحيب بدلاً من أن يبقى في هذا السجن الملوّث المتعفن الضيق. وان كنت متألماً لذات نفسك وتبحث عن نفعك الخاص، فان الطفل سيعاني مشقات كثيرة مع ضيق وألم شديدين فيما إذا بقي هنا لأجل أن تحصل على نفع مؤقت ومشكوك فيه! اما اذا ذهب الى هناك فسيكون وسيلة لألف نفع وفائدة لك، ذلك لأنه سيكون سبباً لدرّ رحمة الحاكم لك، وسيصبح لك في حكم الشفيع. ولابد أن الحاكم سيرغب يوماً في أن يسعده باللقاء معك، ولا جرم أنه لن يرسله اليك في السجن، بل سيأخذك اليه ويخرجك من السجن ويبعثك الى ذلك القصر لتحظى باللقاء مع الطفل، فيما اذا كنت ذا طاعة له وثقة به.

وفي ضوء هذا المثال - يا أخي العزيز - ينبغي أن يتفكر فيه أمثالُك من المؤمنين عندما يتوفى أطفالهم، ويقولوا: إن هذا الطفل بريء، وان

خالقه رحيم وكريم، فبدلاً من رقتي القاصرة عليه، وبدلاً من تربيتي الناقصة له، فقد احتضنَتْه الرحمة الآلهية وضمته العناية الآلهية الى كنفها العظيم، وأخرجته من سجن المشقات والمصائب والآلام الدنيوية وارسلته الى ظلال جنة فردوسه العظيم. فهنيئاً لذلك الطفل!

ومَن يدري ماذا كان يعمل وكيف كان يتصرف لو ظل في هذه الدنيا؟ لذا فأنا لست متألما عليه، بل أراه سعيداً محظوظاً.. اما تألمي لنفسي بالذات فلا أتألم لها ألماً شديداً، فيما يخص متعتي الخاصة. اذ لو كان باقياً في الدنيا لكان يضمن لي محبّة الاولاد وملاعبتهم المؤقتة زهاء عشرة أعوام وهي مشوبة بالآلام، ولربما لو كان صالحاً باراًّ، وكان ذا قدرة في أمور الدنيا كان يمكنه أن يعينني ويتعاون معي، الا انه بوفاته فقد ضمن لي محبة الاولاد ولعشرة ملايين من السنين وفي الجنة الخالدة، وأصبح مشفّعاً لي للدخول الى السعادة الابدية، فلا أكون اذن شديدَ التألم عليه حتى على حساب نفسي كذلك. لان مَن غابت عنه منفعة عاجلة مشكوك فيها، وربح ألف منفعة آجلة محققة الحصول، لن يظهر الاحزان الأليمة، ولن ينوح يائساً أبداً!

النقطة الثالثة:

إن الطفل المتوفي.. ما كان إلا مخلوقاً لخالق رحيم، وعبداً له، وبكل كيانه مصنوعاً من مصنوعاته سبحانه، وصديقاً مودعاً من لدنه عند الوالدين ليبقى مؤقتاً تحت رعايتهما، وقد جعل سبحانه أمه وأباه خادمَين أمينين له، ومنح كلاً منهما شفقة ملذّة، أجرةً عاجلة أزاء ما يقومان به من خدمة.

والآن. إن ذلك الخالق الرحيم الذي هو المالك الحقيقي للطفل وله فيه تسع وتسعون وتسعمائه حصة، ولوالده حصة واحدة اذا ما أخذ بمقتضى رحمته وحكمته ذلك الطفل منك مُنهياً خدماتك له، فلا يليق بأهل الايمان أن يحزنوا يائسين ويبكوا صارخين بما يومئ الى الشكوى أمام مولاهم الحق صاحب الحصص الالف، مقابل حصة صورية. وانما هذا شأن أهل الغفلة والضلالة.

النقطة الرابعة:

لو كانت الدنيا أبدية أبد الآباد، ولو كان الانسان فيها خالداً مخلداً، أو لو كان الفراق أبدياً، إذن لكان للحزن الأليم والأسف اليائس معنىً ما. ولكن ما دامت الدنيا دار ضيافة فاينما ذهب الطفل المتوفى فكلنا ـ نحن وأنتم كذلك ـ الى هناك راحلون لا مناص.

ثم ان هذه الوفـاة لـيـست خـاصـة به هو وحــده، بل هي طريق يسلكه الجميع.

ولما لم يكن الفراق أبدياً كذلك، بل سيتم اللقاء في الأيام المقبلة في البـرزخ وفي الجنة. لذلك ينبـغي القـول: الحكم لله.. إن لله مـا اخـذ وما أعطى، مع الاحـتـساب والصـبـر الجـميل والشكر قـائلين: الحمد لله على كل حال.

النقطة الخامسة:

إن الشـفقـة التي هي ألطـف تجليات الرحـمـة الآلهـية وأجـملهـا وأطيبها واحلاها.. لهي أكسير نوراني، وهي أنفذ من العشق بكثير، وهي أسرع وسيلة للوصول الى الحق تبارك وتعالى.

نعم، مـثلمـا أن العـشق المجـازي والعـشق الـدنيـوي ـ بمشكلات كثيـرة جداً ـ ينقلبان الى «العـشق الحقيقي» فـيجد صـاحـبه الله جل جـلاله، كذلك الشـفـقة ــ ولكن بلا مشكلات ــ تربط القلب بالله سـبحـانه ليـوصل صـاحـبَه الى الله جل وعـلا بأقصـر طريق وأصـفى شكل.

والوالد أو الوالدة على السـواء يحبـان ولدهما بملء الدنيا كلها، فـعندما يؤخـذ الولد من اي منهـمـا فـانه ـ إن كان سـعيـداً ومن أهل

الايمان ـ يعرض وجهه عن الدنيا ويدير لها ظهره فيجد المنعم الحقيقي حاضراً فيقول: ما دامت الدنيا فانية زائلة فلا تستحق اذن ربط القلب بها، فيجد إزاء ما مضى اليه ولده علاقة وثيقة ويغنم حالة معنوية سامية.

إن أهل الغفلة والضلالة لمحرومون من سعادة هذه الحقائق الخمس وبُشَرياتها. فقيسوا على ما يأتي مدى ما هم فيه من أحوال أليمة؛ عندما تُشاهد والدة عجوز طفلها الوحيد الذي تحبه حباً خالصاً، يتقلّب في السكرات، يذهب فكرها حالاً الى رقوده في تراب القبر بدل فراشه الناعم الوثير، لما تتصور الموت عدماً وفراقاً أبدياً، لتوهمها الخلود في الدنيا ونتيجة الغفلة والضلالة، لذا لا يخطر على بالها رحمة الرحمن الرحيم ولا جنته ولا نعمة فردوسه المقيم.. فأنت تستطيع أن تقيس من هذا مدى ما يعانيه أهل الضلالة والغفلة من ألم وحزن يائس بلا بصيص من أمل.

بينما الايمان والاسلام وهما وسيلتا سعادة الدارين يقولان للمؤمن:

إن هذا الطفل الذي يعاني ما يعاني من سكرات الموت سيرسله خالقه الرحيم الى قدس جنته بعدما يخرجه من هذه الدنيا القذرة،

زد على ذلك أنه سيجعله لك مشفّعاً، كما سيجعله لك أيضاً ولداً أبدياً... فلا تقلق إذن ولا تغتم. فالفراق مؤقت، واصبر قائلاً:

الحكم لله

﴿انا لله وانا اليه راجعون﴾

الباقي هو الباقي

سعيد النورسي

حول «ولدان مخلدون»

باسمه سبحانه

لقد ورد في سؤال اخينا: ورد في بعض التفاسير لدى الآية الكريمة: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلّدون﴾ (الانسان:١٩) «ان جميع اهل الجنة، من الاطفال الصغار حتى الشيوخ الهرمين سيكونون في الثالث والثلاثين من العمر».

وحقيقة هذا والله اعلم هي:

ان صراحة الآية الكريمة بـ ﴿ولدان﴾ تفيد ان الاطفال الذين لم يؤدوا الفرائض الشرعية ندباً على وجه السنة والنافلة – حيث لم تفرض عليهم – وتوفوا قبل البلوغ سيخلّدون في الجنة اطفالاً صغاراً محبوبين بما يليق بالجنة.

والوارد في الشريعة ايضاً: امر الوالدين اولادهما بالصلاة والصيام والحث على الصلاة متى ما بلغوا السابعة من العمر والاكراه عليها في العاشرة منه لاجل التعليم والتدريب.

بمعنى ان الاطفال الذين يؤدون الفرائض – كالصلاة والصيام –

اعتباراً من السن السابعة الى حدّ البلوغ ندباً – وهي لم تفرض عليهم بعد – سيكونون في الثالث والثلاثين من العمر ليجازوا كالكبار الملتزمين بالدين.

فقسم من التفاسير لم يميز هذه النقطة بل عمّمها على جميع الاطفال فظنوا حكم الآية عاماً مع انه خاص..

* * *

تضرع

يا احبائي المستمعين لهذه المذكّرات، اعلموا!

اني قد اكتب تضرّع قلبي الى ربّي مع ان من شأنه ان يُستَر ولايُسطَر، رجاءً من رحمته تعالى ان يقبل نُطق كتابي، بدلاً عني إذا أسكت الموت لساني.. نعم، لا تسع توبة لساني في عمري القصير كفارة لذنوبي الكثيرة. فنطقُ الكتاب الثابت الدائم أوفى لها. فقبل ثلاث عشرة سنة واثناء اضطراب روحي عارم وفي غمرة تحول ضحكات « سعيد القديم » الى بكاء « سعيد الجديد » أفقت من ليل الشباب على صبح المشيب فسطرت هذه المناجاة باللغة العربية، اوردها كما هي:

ياربي الرحيم ويا إلهي الكريم!

قد ضاع بسوء اختياري عمري وشبابي، وما بقي من ثمراته في يدي الآ آثام مؤلمة مُذلّة، وآلام مضرّة مُضلّة، ووساوس مزعجة معجزة، وانا بهذا الحمل الثقيل، والقلب العليل، والوجه الخجيل متقربٌ - بالمشاهدة - بكمال السرعة، بلا انحراف وبلا اختيار

كآبائي واحبابي واقاربي واقراني الى باب القبر، بيت الوحدة والانفراد في طريق ابد الآباد، للفراق الابدي من هذه الدار الفانية الهالكة باليقين، والآفلة الراحلة بالمشاهدة، ولا سيما الغدارة المكارة لمثلي ذي النفس الامارة.

فيا ربي الرحيم ويا ربي الكريم!

أراني عن قريب لبستُ كفني وركبت تابوتي، وودعت أحبابي، وتوجهت الى باب قبري، فأنادي في باب رحمتك: الأمان الأمان ياحنان يامنّان، نجني من خجالة العصيان.

آهٍ.. كفني على عنقي، وانا قائم عند رأس قبري، أرفع رأسي الى باب رحمتك أُنادي: الأمان الأمان يارحمن يا حنّان، خلصني من ثقل حمل العصيان.

آهٍ.. انا ملتف بكفني وساكن في قبري وتركني المشيعون، وانا منتظر لعفوك ورحمتك.. ومشاهد بأن لا ملجأ ولا منجأ الآ اليك، وأُنادي: الأمان الأمانَ من ضيق المكان، ومن وحشة العصيان، ومن قبح وجه الآثام. يارحمن يا حنان.. يا منّان.. ويا ديّان نجني من رفاقة الذنوب والعصيان..

الهي! رحمتك ملجئي ووسيلتي، واليك ارفع بثي وحزني وشكايتي.

يا خالقي الكريم، ويا ربي الرحيم، وياسيدي، ويامولاي.. مخلوقك، ومصنوعك وعبدك العاصي العاجز، الغافل، الجاهل العليل الذليل المسيئ المسن الشقي الآبق، قد عاد بعد اربعين سنة الى بابك ملتجأً الى رحمتك، معترفاً بالذنوب والخطيئات مبتلى بالاوهام والاسقام، متضرعاً اليك.. فان تقبل وتغفر وترحم فانت لذاك اهل وانت ارحم الراحمين، والاّ فايّ باب يقصد غير بابك.. وانت الرّب المقصود والحق المعبود. ولا اله الاّ انت وحدك لا شريك لك.. آخر الكلام في الدنيا واول الكلام في الآخرة وفي القبر: اشهد ان لا إله الاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ.

حاجة الفطرة

اخوتي الاعزاء الصديقين!

ان الأطفال الابرياء هم في مقدمة الذين سيكونون طلاباً حقيقيين لرسائل النور، وذلك وفق ما تقتضيه فطرتهم وتتطلبه الأوضاع الراهنة. لأن الطفل الذي لم يتلق في صغره درساً ايمانيا قويا يصعب عليه بعد ذلك أن يقر في روحه أركان الايمان والاسلام، بل يكون ذلك عسيراً عليه، شأنه شأن تقبل غير المسلم الاسلام، بل يستغرب من الاسلام اكثر منه، ولا سيما إن لم ير والديه على دين وتقوى، وربى ذهنه بالعلوم الدنيوية وحدها.

ففي هذه الحالة، يستثقل ذلك الطفل والديه بدل أن يبرّ بهما، ويكون بلاء عليهما، ويترقب موتهما! أما في الآخرة فلا يكون شفيعاً لهما، بل مدعياً عليهما قائلاً: «لِمَ لَمْ تنقذوا ايماني بتربيتي على الاسلام؟».

فبناء على هذه الحقيقة:

فان أسعد الأطفال هم أولاء الذين دخلوا ضمن دائرة رسائل النور، فيكونون أبناء بررة للوالدين وخداماً أمناء لهم، يقومون بين يديهم بالاحترام والتوقير اللائقين بهما، ويسجلون باعمالهم الصالحة

حسنات في سجل حسنات والديهم بعد وفاتهم.. وفي الآخرة يكونون لهما شفعاء، كل حسب درجته.

ان القسم الثاني من طلاب النور: هم النساء اللائي يشعرن بحاجتهن الى رسائل النور في فطرتهن. ولاسيما من كان لهن شئ من التجافي عن الدنيا، وربما العزوف كلياً عنها، حيث قد بلغن من العمر مبلغاً.

فرسائل النور تكون لهن غذاء معنوياً؛ لأن احدى أسس رسائل النور، «الشفقة» التي هي من مظاهر اسم الله «الرحيم» وهي الخميرة والجوهر الخاص المغروز في فطرة النساء وميزتهن الأصيلة.

والقسم الثالث: هم المرضى والشيوخ المحتاجون الى رسائل النور - ولو بصورة غير فطرية - كحاجتهم الى الخبز والدواء. وذلك لأن رسائل النور توضح لهم الحياة الباقية وضوح الشمس في رابعة النهار، فضلاً عن بيانها ماهية الحياة الدنيا من حيث فنائها. فالذين تأذت حياتهم الدنيوية بالمرض او بالشيخوخة والذين يظنون الموت اعداماً ابدياً، بما احاطت بهم من غفلة وضلالة.. فهؤلاء جميعاً بحاجة الى رسائل النور لما يجدون فيها السلوان والعزاء ونور الرجاء، حتى يفضّل لديهم المرض والشيخوخة على الصحة والشباب.

سعيد النورسي

فهرس الكتاب

حوار مع اخـواتي في الآخرة ٥
بشرى.. وتنبيه! ١٨
اشارة قصيرة إلى حقـيقة مهمة ٢٣
موافقـة السنة النبوية في الزواج ٢٥
ندى الرجـاء وبرد الايمان ٣١
ـ الرجاء الأول: الايمان منـبع الرجايا ٣١
ـ الرجاء الثـاني: رحمـة الخالق الكريم........................ ٣٢
ـ الرجـاء الثـالث: نوره ﷺ ٣٣
الرجـاء الرابع: القـرآن الحكيم ٣٦
ـ الرجـاء الخامس: الايمان بالآخـرة ٣٩
ـ الرجـاء السـادس: نور الايمان بالله ٤٣
ـ الرجـاء السـابع: الايمان سلوان ٤٦
رسالة الحجاب: ٥٣
ـ الحجـاب والاحتشام أمـر فطري للنساء ٥٤
ـ المرأة صاحـبة زوجـها في الدنيـا والآخرة ٥٦

– الحجـاب يزيد الثقة والمحـبة ٥٨
– رفع الحـجاب يحـد من الزواج ٥٩
مسألة مهمة اخطرت على القلب فجأة........................ ٦٣
«زوجناكها» ٦٧
دفع شبهة ٧٢
سر شقاء الضـال وسعادة المؤمن ٧٤
سؤال مهم حـول المحبة ٩٠
– يمكن ان يحـول وجه المحبة ٩٠
– اجعل محبتك في سبيل الله ٩١
نوعا المحبة ٩٥
– طبقات محبـة الاسماء الحسنى ٩٧
نتائج المحبة في سبيل الله ١٠١
نتائجهـا في الدنيا ١٠٣
نتائجها في الآخرة ١٠٨
– لكل عضو وظيفته وتلذذه وألمه ١٠٩
النتائج الاخروية لمحبة: ١١١
– الاطعمة اللذيذة ١١١
– النفس والشباب ١١٢

- الزوجة ١١٣
- الوالدين والاولاد ١١٤
- صالح الأصدقاء والأقرباء ١١٤
- الأنبياء والأولياء ١١٥
- الدنيا ١١٦
رؤية الجمال المقدس ١١٩
عزاء بطفل ١٢١
حول «ولدان مخلدون» ١٢٩
تضرع ١٣١
حاجة الفطرة ١٣٤

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١

إن فداء الأم بروحها إنقاذاً لولدها من الهلاك من دون انتظار لأجر وتضحيتها بنفسها بإخلاص حقيقى لأولادها باعتبار وظيفتها الفطرية، تدلان على وجود بطولة سامية رفيعة فى النساء ، بحيث يستطعن أن ينقذن حياتهن الدنيوية والأخروية بإنكشاف هذه البطولة وإنجلائها فى أنفسهن...

... فى الوقت الحاضر ، إن ألزم شيء وأهم أساس فى التربية الإسلامية وأعمال الآخرة، إنما هو «الإخلاص» فمثل هذه البطولة الفائقة في الشفقة تضم بين جوانحها الإخلاص الحقيقى .

سعيد النورسي

همسات أم

إعداد

مضاوي بنت عبدالله الهطلاني

254.

هـ م هـ

مركز المرأة للدراسات و...
ت: ٢٤٤٦٠٣٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٢
ترخيص رقم: (٧١)

همسات أم

٢٥٤١
همه

تأليف

مضاوي عبدالله الهطلان

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الهطلاني ، مضاوي عبدالله

همسات أم./ مضاوي عبدالله الهطلاني.- الرياض، ١٤٢٤هـ.

٨٠ ص ، ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٦ - ٨٤٣ - ٣٣ - ٩٩٦٠

١- الزواج أ - العنوان

ديوي ٢٥٤,١ ١٤٢٤/٥٠٣٣

رقم الإيداع : ١٤٢٤/٥٠٣٣

ردمك : ٦ - ٨٤٣ - ٣٣ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ

العنوان : الرياض ، طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات : الرمز البريدي ١١٤٤٢ - ص . ب ٦٣٧٣

الرياض هاتف ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس ٤٠٣٣١٥٠

فرع جدة هاتف ٦٠٢٠٠٠٠ فاكس ٦٣٣٣١٩١

❖ البريد الإلكتروني sales@dar-alqassem.com

❖ موقعنا على الإنترنيت www.dar-alqassem.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى قرة عيني . . . وثمرة فؤادي . .

إلى ابنتي الحبيبة . . . الغالية . . .

إلى كل فتاة تحلم ببناء عش : . . . وتربية صغار : . . .

إلى كل فتاة معلمة تحمل على عاتقها بناء اللبنة الأساس في صرح أمتها . . .

إلى كل فتاة تروم منها تربية جيل يحمل هموم أمته . . .

ويعيد إليها عزها ومجدها . . .

أهدي كلماتي وسطوري

شكر

إن القلم ليعجز عن البيان.. ليقدم أسمى آيات الشكر والعرفان لأخت لي في الله...

بذلت أغلى وقتها... وأقصى جهدها...

لتتصفح هذه الكلمات والسطور فأضفت عليها...

همسات... و... لمسات... زادتها...

إشراقا... و... نفعاً... بإذن الله...

جعل الله ذلك في موازين حسناتها.. ورفع درجاتها في عليين وجميع المسلمين... آمين.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

أما بعد: . . .

ابنتي الغالية . .

لقد خلعت عنك معطف الطفولة، ولبست ثوب الأنوثة والشباب وتفتحت في قلبك ورود الأحلام بعش تبنيه ورفيق يكون لك سكناً ورحمة، وقبل أن تدلفي إلى هذا العش . . .

هذه همسات صادقة من أم رؤوم غلفتها بالمودة والحب وجملتها بالنصح - أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن تقرئيها وأنت ترفلين بثوب الصحة والعافية . . .

هذه الهمسات بإذن الله ستكون لك نبراسا ينير لك طريق السعادة الزوجية . . . وشموعاً تتوقد لك كلما لفك ظلام الحيرة في دربك الطويل . .

ثمرة فؤادي . .

أقرئيها بتمعن من قبل أن تخط قدماك الصغيرتان عتبة الحياة الزوجية وأسأل الله أن يعينك على تدبرها والعمل بها فهي مستقاة من كتاب الله الكريم وسنة نبيه ـ عليه الصلاة والسلام ـ ممزوجة بتجربة أم محبة .

بارك الله لك فيها ونفعك بها وجعلها خالصة . . صواباً .

أمك المحبة المشفقة

* * *

الزهرة تتفتح

زهرتي الغالية:

ها أنت قد اشتد عودتك وفاح شذي عطرك.. ها أنت تودعين الطفولة البريئة وتدخلين أعتاب الأنوثة الناضجة.. ها أنت يداعب خيالك أحلام عش الزوجية وأحلام الأمومة.. ولكن أسئلة كثيرة تتردد على فكرك الصغير.. من أقبل زوجاً؟.. ومتى؟.. هل أكمل مشوار الدراسة، أم أقبل الخاطب؟.. ماذا عساه ينتظرني في تلك المحطة من عمري؟..

غاليتي..

ها أنا أجيبك على تلك الأسئلة والاستفهامات من خلال هذه الوريقات التي سكبت فيها تجربتي معطرة بآيات من كتاب الله وأحاديث من سنة النبي ﷺ وتجربة السلف الصالح في هذا الموضوع.. أو قدها لك شموعاً في طريقك لتسيري بخطى وئيدة وواثقة بإذن الله، خطى موفقة إلى السعادة في الدنيا والآخرة..

أولا: الخطبة

حبة القلب:

إذا تقدم لك خاطبٌ حسنُ الخلق والدين فلا ترديه معتذرة

بأعذار واهية. . أريد أن أكمل دراستي. . مرتبه قليل. . ليس من طبقتي. . شكله غير جذاب. . اسمه لا يعجبني. . أو غير ذلك إنها جميعاً لا تعيب الرجل الصالح لأنه عليه الصلاة والسلام قال: **«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»** (١).

لكن عليك بعض الأمور:...

١ـ استخيري الله في أمر هذا الزواج من هذا الشاب، فقد قال جابر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ ويسمي حاجته ـ خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجله وآجله فأقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال عاجله وآجله فاصرفه عني و اصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به»** (٢) وموضع الدعاء يكون بعد السلام من الركعتين كما

---

(١) رواه الترمذي وإسناده حسن، انظر تخريج الإرواء ١٨٦٨.

(٢) البخاري ٧/ ١٦٢.

أفتى بذلك الشيخ **محمد بن عثيمين** ـ رحمه الله ـ وكان **شيخ الإسلام ابن تيمية** ـ رحمه الله ـ يقول : ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وثبت في أمره .

٢ـ ينبغي سؤال أهل التقوىٰ والصلاح والعقل واستشارتهم في أمر ذلك الشاب ، كما فعلت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها حيث قالت : أتيت النبي ﷺ فقلت إن أبا الجهم ومعاوية خطباني فقال رسول الله ﷺ : **«أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو الجهم فلا يضع العصا عن عاتقه»**(١) .

٣ـ الدعاء الذي هو سلاح المؤمن وهو عبادة عظيمة فأكثري من الدعاء فقد ذكر الله تعالىٰ في كتابه العزيز صفات لعباده المؤمنين متعددة منها أنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

٤ ـ فإذا قبلت بالخطبة فإنه يُسن أن يراك وتريه ولكن بدون خلوة إنما بوجود أحد محارمك ولا يجوز له مصافحتك لأنك ما زلت أجنبية عنه وهذه الرؤية بإذن الله معينة علىٰ الألفة بينكما لأن بريد القلب النظر . . لذلك قال رسول الله ﷺ للمغيرة وقد خطب امرأة : **«انظر إليها فإنه أحرىٰ أن يؤدم بينكما»** قال المغيرة رضي الله عنه فنظرت إليها ثم تزوجتها فما

---

(١) رواه مسلم في كتاب الطلاق (باب الطلقة ثلاثاً لا نفقة لها) برقم ١٤٨٠ .

وقعت عندي امرأة بمنزلتها[١] «فإن عزمتما وسكن قلبيكما لبعضكما فتوكلا على الله».

ثانياً: الزواج

حبة القلب..

اخلصي نيتك لله في زواجك وأنك مبتغية في ذلك أمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ..﴾ [النور: ٣٢]. وامتثال أمر النبي ﷺ قال: **«تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»**[٢] فسعادة المؤمن وقرة عينه في طاعة الله ورسوله ﷺ كما أنك تؤجرين على زواجك فتكون حياتك الزوجية عبادة تتقربين بها إلى الله تعالى.

وفي هذا بنيتي وقفات..

١- إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة فليكن يا حبيبتي نكاحك مباركاً، وذلك بأن يكون مهرك ميسوراً وبعيداً عن المغالاة فقد قال ﷺ: **«خير الصداق أيسره»**[٣] وقال: **«إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمها»**[٤].

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٩٦ وما بعدها ٩٧و٩٨، ٩٩.

(٢) أخرجه ابن حبان وأحمد والطبراني والبيهقي وصححه الألباني انظر الإرواء ١٧٨٤.

(٣) رواه الحاكم وصححه الألباني في الإرواء ١٩٢٤.

٢ـ اقتصدي في شرائك متطلبات الزواج من لباس وزينة فلا تسرفي في ذلك فإن الله لا يحب المسرفين، فكثير من الفتيات يشترين لزواجهن عشرات الثياب ولكل ثوب حذائه وعطره وزينته. وهكذا تبعاً لما يسمى بالموضة التي يصدرها أعداؤنا من اليهود والنصاري، وهذا والله ضعف في الشخصية وفقدان للهوية المسلمة كما أن في ذلك تبذيراً وإسرافاً والله تعالى يقول: ﴿ .. ولا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ... ﴾ [الإسراء: ٢٦ـ ٢٧].

٣ـ احذري ما يسمى (دبلة الخطبة) فقد سئل عن حكمها فضيلة الشيخ **عبدالعزيز بن باز** ـ رحمه الله ـ في شرح المنتقى فأجاب: لا يجوز التختم بالدبلة لأنه تشبه بالكفار فقد جاءت هذه العادة من الكفار انتهى[1] وكما جاء في الحديث **«ومن تشبه بقوم فهو منهم»**.

٤ـ اقتصري في حفل زفافك على الأهل والأقارب والأصدقاء واجعليه عائلياً لأن إقامة الزفاف في الصالات والفنادق فيه إسراف وأي إسراف والله يقول: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. واعلمي أنك لن ترضي أحداً مهما فعلت ومهما صرفت من مال، ولكن اجعلي رضا الله هو هدفك فإن من أرضى الله بسخط الناس

---

(١) إذاعة القرآن الكريم (برنامج شرح كتاب المنتقى في أخبار المصطفى للشيخ ابن باز رحمه الله.

رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ومن أرضى الناس بسخط الله سخط عليه الله وأسخط عليه الناس.

٥- احذري يا صغيرتي ما يسمى (بالزفة) وهذه أيضاً من عادات النصارى- نسأل الله العافية والسلامة- وليزين فرحك بدفوف تنشد عليها الفتيات والصغيرات أناشيد ترحيبية فقد قال ﷺ: **«فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف»**(١)، ولكن ذلك لا يكون عن طريق (الدفافات- الطقاقات) اللاتي يغنين بالأغاني المليئة بالكلمات الفاحشة التي تخدش الحياء ويرفعن أصواتهن بالمبكرات كما أحذرك من التصوير الفوتوغرافي أو كاميرات الفيديو وأنت تعلمين أن التصوير أمر منكر بل من كبائر الذنوب، قال ﷺ: **«أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم أحيوا ما خلقتم»**(٢) كما أن في ذلك خطورة عندما تقع هذه الصور في أيدي رجال لا يخافون الله.

غاليتي...

ها أنت الآن قد جهزت ما تحتاجينه كعروس في بداية حياتك من ملابس وغيرها، لكن يجب أن تعرفي أن هناك تهيئة نفسية تحتاجينها العمر كله.. فلا بد أن تنظري نظرة

---

(١) رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا أبا داود وحسنه الألباني انظر الإرواء ١٩٩٤

(٢) رواه الإمام أحمد وصححه الألباني انظر صحيح الجامع (١٠١٠).

واقعية لحياتك القادمة فليس زواجك يعني أنك انتقلت من جحيم إلىٰ جنة وأنك سوف تلاقين مخلوقاً ملائكياً يلبي جميع طلباتك ولا يرد لك أمراً ولا يكدر لك خاطر . . فالحياة بنيتي تصفو وتتكدر ، وكما أنك قد تجدين في شريك حياتك سجايا لا تحبيذيها ، فمن الذي له الكمال سوىٰ الله سبحانه وتعالىٰ ، فعليك وأنت المرأة أن يتسع صدرك لكل ما يصدر منه وتحاولي بهدوء تغيير ما لا يناسبك من طباعه وسجاياه فأنت أقدر الناس علىٰ هذا ولكن بدون عنف أو مصادمة .

ثالثاً: العشرة الزوجية

قرة العين . . .

ها أنت قد خطوت خطوات في حياتك الجديدة والفرح يملأ قلبك والسعادة ترفرف علىٰ أجواء بيتك بل عشك الصغير ، ولتستمر هذ السعادة أوصيك بوصية أسماء بنت خارجة الغزارية لابنتها وهي تزفها :

يا بنية إنك خرجت من العش الذي فيه درجت فصرت إلىٰ فراش لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له أرضاً يكن لك سماء وكوني له مهداً يكن لك عماداً وكوني له أمة يكن لك عبداً لا تلحفي به فيقلاك (أي لا تلحي عليه فيكرهك) ولا

تباعدي عنه فينساك احفظي أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيباً ولا يسمع إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلاً واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

وسُئل النبي المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام أي النساء خير؟ قال: **«التي تسره إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها فيما يكره»**(١) فعليك طاعة زوجك بالمعروف فالله سبحانه وتعالى أعطى حق القوامة للرجل لما له من القوة وما يجب عليه من النفقة على أهله ورعايتهم وتوجيههم، فمن كانت هذه المسؤوليات عليه فيجب طاعته، وقد بين النبي ﷺ أهمية طاعة الزوج فقال لإحدى نساء الصحابة رضي الله عنهم: **«أذات بعل؟»** قالت نعم. قال: **«فكيف أنت له؟»** قالت: لا آلوه - أي لا أقصر في طاعته - إلا ما عجزت عنه. قال: **«فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك»**(٢). أي هو سبب دخولك الجنة إن أطعته ودخولك النار إن عصيته. وقال ﷺ: **«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه - قاتلك الله - وهو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا»**(٣) وقال: **«لا ينظر الله تبارك**

---

(١) رواه النسائي والحاكم وأحمد وإسناده حسن انظر السلسلة الصحيحة ١٨٣٨.

(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وهو حسن انظر آداب الزفاف للألباني.

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه وهو صحيح انظر السلسلة الصحيحة ١٧٣.

وتعالىٰ إلىٰ امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه»[1].

فطاعته يا ابنتي وأداء حقه هي مفتاح الجنة لك . . يقول المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة والسلام : **«المرأة إذ صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت زوجها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت»**[2].

بنيتي... خذي عني هذه الوصايا علها تقود خطاك نحو رضا زوجك ومن بعده جنة ربك:

١ـ طاعة الزوج :

أطيعي زوجك بالمعروف ولا تري ذلك من ضعف الشخصية وأنه لابد أن تخالفيه وترفعي صوتك عليه لتثبتي نفسك وتحفظي كرامتك فالله سبحانه وتعالىٰ وصف عباداً له يحبهم ويحبونه فقال : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ . .﴾ [المائدة: ٥٤] . فقد وصف الله هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه بأنهم أذلة علىٰ المؤمنين أعزة علىٰ الكافرين فالمؤمن من مذلل للمؤمن خاضع متواضع أما عزته فهي أمام الكافرين . فمن باب أولىٰ أن تكون هذه الذلة بين الزوج وزوجته فالزوجة

---

(١) رواه النسائي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٨٩) .

(٢) رواه الإمام أحمد وابن حبان وصححه الألباني انظر صحيح الجامع ٦٧٣ .

خاضعة لزوجها مطيعة له بالمعروف لا ترفع صوتها عليه ولا تهينه ولا تذله وإنما له هيبة في نفسها ومحبة في قلبها. قالت ابنة سعيد بن المسيب رحمها الله: (ما كنا نكلم أزواجنا إلا كما تكلمون أمراءكم).

والحبيب ﷺ يصور لنا حال الزوجة التي هي من نساء الجنة فقال: **«ونساؤكم من أهل الجنة الودود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول لا أذوق غمضاً حتى ترضى»**(١) فالمرأة المسلمة التقية التي هي من أهل الجنة لا تستطيع أن تنام وزوجها عليها غضبان حتى ولو كان الحق لها.

٢ـ كتم أسراره:

احرصي بنيتي على كتم أسرار زوجك وستر عيوبه، فإن إفشاء السر من الصفات الذميمة من أي شخص كان ومن الزوجة أعظم وأقبح بكثير. فاحذري من ذلك فإن بعض النساء ـ هداهن الله ـ لا يحلو لها المجلس إلا بتنقص زوجها وفضح عيوبه أو بعض أسراره.. وهذا والله إثم عظيم. وتأملي قصة إحدى زوجات النبي ﷺ عندما كشفت وأفشت سره كيف كان العقاب، لقد آلى الرسول ﷺ على نفسه ألاَّ

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٢٧٨.

يقربها شهراً كاملاً وأنزل الله بهذا قرآناً يتلى إلى يوم القيامة ليكون موعظة لكل مؤمنة و زوجة صالحة تتخذ أمهات المؤمنين قدوة لها. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

والرسول المصطفى عليه الصلاة والسلام وأزكى السلام يقول: **«إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر أحدهما سرَّ صاحبه»**[١].

٣ـ المشاركة الوجدانية:

شاركي زوجك ورفيق دربك أحاسيسه ومشاعره وقاسميه همومه وأحزانه وأفراحه فإن المشاركة الوجدانية والعاطفية من أعظم الأسباب الموصلة للسعادة الزوجية وبالمشاركة الوجدانية تعيشين في قلب زوجك وإليك مثالاً على ذلك.. تلك المرأة التي ظلت في قلب زوجها حتى بعد موتها. لم تنسه السنون حبها بل ظل ذكرها يعبق شذاه في قلبه فينطق به لسانه لما رآه منها من حب وتضحية ومشاركة وجدانية في كل لحظة من لحظات حياته الصعبة منها قبل الممتعة.. إنها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها.. كان عليه الصلاة والسلام يذكرها ويرق قلبه وفاءاً لذكراها وذلك بعد سنين من وفاتها، حتى غارت منها عائشة رضي الله عنها فقالت ذات

---

(١) رواه مسلم.

يوم: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها[١] وفي رواية (ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها)[٢] وذات مرة قالت عائشة للنبي ﷺ بعد أن ذكر خديجة: (كان لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة؟ فيقول لها: «**إنها كانت وكانت..**»[٣] وجاءت رواية أحمد في مسنده لكي تفسر كانت وكانت فقال: : «**آمنت بي حين كفر الناس وصدقتني إذ كذبني الناس وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد**»[٤].

فكوني بنيتي لزوجك كخديجة للحبيب ﷺ فهي قدوة لكل مؤمنة فكأنها لم تنطق بكلمة (لا) إلا في الشهادتين.

٤ـ معاشرة أهل الزوج:

أحسني معاشرة أهل زوجك وأقاربه وتواضعي لهم وخاصة أمه التي هي أقرب الناس إليه فتلطفي معها وأظهري لها الاحترام والتقدير وتجاوزي عن أخطائها، وتذكري قول الحبيب المصطفى عليه أزكى الصلاة والتسليم: «**تهادوا تحابوا**»[٥]. فالهدية مقربة للقلوب فتذكريها بهدية مناسبة في

(١، ٢، ٣) رواها البخاري في صحيحه.

(٤) رواه أحمد.

(٥) أخرجه البخاري في الأدب المفرد والبيهقي وحسنه الألباني انظر الإرواء ١٥٠١

المناسبات كالأعياد أو مناسبة زواج لأحد الأقارب أو إذا علمت حاجتها لبعض الأغراض فاشتريها لها وقدميها كهدية تقربك من قلبها، كذلك أكثري من الدعاء لها وأشعريها بأنها كوالدتك راجية في ذلك رضا الله سبحانه وتعالى، واعلمي أن ما تزرعينه اليوم تحصديه غداً من زوجة ابنك ـ إن شاء الله ـ

ما أكثر البيوت التي دخلها الخلاف والفرقة بسبب سوء التعامل مع أهل الزوج أو سوء تعاملهم مع زوجة ابنهم فليكن صدرك رحباً ومتسعاً وإن أخطأوا في حقك فاجعلي لهم سبعين عذراً والتجئي إلى ربك بالدعاء ليصلح ما بينكم ولا تقابلي الخطأ بخطأ مثله وإنما تذكري دائماً قوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] فطبقي هذه الآية واعملي بها ولكن لا تستعجلي النتائج لأن الله تعالى قال بعدها: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥] فاستعيني بالله واصبري ولا تلتفتي إلى وسوسة الشيطان إن جاءك يقول لا فائدة منهم. خذي حقك منهم ولا تذلي نفسك لهم. فاستعيذي بالله منه كما أمرك ربك بقوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٦].

ولا تحشري زوجك في هذه التفاهات لأنك بهذا تحملينه الهم والحزن فأنت زوجه وهم أهله ولا يستطيع الانحياز إلى أي منكم. . وأنت إن صبرت فلا بد أن يأتي يوم تجنين فيه ثمرة صبرك حب زوجك ورضاه عنك، كذلك تقدير أهله لك لأنهم يعلمون أي معدن أنت وأي قلب تحملين، واعلمي أن لا غنى لك عنهم فــهم أهل أبنائك. . وهذه الأم التي تعاملين هي من سهرت وربت هذا الرجل الذي بين يديك- زوجك- فأحسني إليها وقدري جهدها وتغاضي عن خطئها.

٥- حسن التبعل في نفسك وبيتك:

اجتهدي غاليتي بحسن تدبير مملكتك الصغيرة فبعد خروج زوجك إلى عمله نظمي بيتك ورتبيه مع تغيير بعض ملامح بيتك وذلك بتغيير بسيط لمواقع بعض الأثاث من مكان لآخر محاولة تغيير الشكل الدائم للأثاث، مع وضع باقات من الزهور منسقة بين الفينة والفينة على المنضدة لتملائي المكان بهجة ولتكن رائحة العود والبخور تعبق في أجواء المنزل. . مع الإعداد الجيد للطعام الذي يفضله زوجك وتنسيق المائدة وترتيبها قبل عودته يجدد حبك في قلبه وتوجي ذلك كله بابتسامة رقيقة جميلة ترسمينها على محياك وأنت قد أعددت نفسك بأحسن لباس وأجمل حلي وأرقى عطر، فهو حين

يراك بهذه الصورة يهوّن عليه بعض ما يلقاه في عمله وبكلمة حانية تعيدين حبك في قلبه غضًا طريًا . . .

واسمعي لقصة امرأة الحطاب قالت: (إن زوجي إذا خرج يحتطب (يجمع الحطب من الجبل) أحس بالعناء الذي لقيه في سبيل رزقنا وأحس بحرارة عطشه في الجبل تكاد تحرق حلقي فأعد له الماء البارد حتى إذا قدم وجده وقد نسقت أو رتبت متاعي وأعددت له طعامه ثم وقفت انتظره في أحسن ثيابي فإذا ولج الباب استقبلته كما تستقبل العروس عروسها الذي عشقته مسلمة نفسي إليه . . فإذا أراد الراحة أعنته عليها وإن أرادني كنت بين ذراعية كالطفلة الصغيرة يتلهى بها) . . .

وإليك بنيتي الآن هذه الكلمات التي سطرها المربي الفاضل الشيخ (أحمد القطان) - حفظه الله - في كتابه (سري وللنساء فقط) وهو يصف معاشرة المرأة لزوجها فقال:

الملاطفة بين الزوجين تديم العشرة وتوثق الحياة الزوجية وتزيد وتنشر السعادة في البيت فعند طعام الإفطار تعد الزوجة لزوجها مائدتين: واحدة على السفرة والأخرى في نفسها، فعندما ترتب أعواد الخضار في الطبق تكون قد صففت شعرها ويفوح منه الفل والبنفسج وقبل أن تضع القشدة في الأطباق تكون قد غسلت وجهها وعيونها

وأشرقت لمسات الصباح الباكر على جبينها وحين تسكب الحليب في الأكواب تلقي على عيونه نظرة الأحباب والمنديل الذي يمسح فيه شفتيه يشده إلى قميصها الأنيق الأزرق كزرقة السماء، وحبة الفراولة الحمراء كقلبها الخفاق بالوفاء، وهكذا لحظة الوداع للذهاب للعمل كأجمل ما يكون. فهو دائماً ينتظر لقاءها وهي ترقب عودته، ويعود مشتاقاً وهو يردد:

إذا جئتكم رأيت الدرب يطوى لي

وإن فارقتكم تعثرت بأثوابي

وهكذا يكون الغذاء أجمل وأكمل والعشاء سهرة على ما يحب الله ويرضى. فهل يعي الأزواج والزوجات هذه الحقائق ويحرص كل واحد منهما على احترام مشاعر صاحبه وتحسس آلامه والتجاوب مع آماله؟

إن الزوجة تستطيع الاحتفاظ بزوجها عندما تدرك نفسيته وتتعامل معه من هذا المنطلق والزوج الذكي الوفي يحرص عل احترام نفسية زوجته ويبادلها ما تقدمه له من الحب والتقدير.

إن سعادة الأمة بأسرها تنبع من سعادة الأسرة الصغيرة فالأسرة عش هناء ومحضن طفولة ومصنع رجال فكم تقدم للأمة من خير عندما تغرس هي هذا الخير وكم يشعر كل من الزوجين بالسعادة وهو يرى أنه موضع اهتمام شريك

حياته . . ما أجمل البسمة وهي تنطلق من القلب لتقع في قلب من نحب . وكم يكون للكلمة الحلوة من سحر عندما تسمعها الأذن من فم حبيب ، إن الدنيا بكل ما فيها لو حيزت لإنسان بذلها لمن يحب . انتهى

وقال الشيخ عبدالله وكيل الشيخ في كتابه (عمل المرأة في الميزان) : المرأة مطالبة بتوفير جو الزوجية الندي بالمودة والرحمة العبق بحسن العشرة ودوام الألفة وهذا السكن من أعظم آيات الله في الوجود يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ [الروم : ٢١] فهي ليست متعة جسدية بل هي قبل ذلك وبعده روح لطيفة ونفس شريفة وشمائل حسنة . . يصل زوجها ينوء كاهله بالأعمال فما يلبث عندها إلا يسيرا وإذا بكاهله يخف ونفسه ترف فتعود إلى سابق عهدها من الأنس واللطف وبمثل هذا تدوم الحياة الزوجية . انتهى

حبة القلب . . .

إن كثيراً من الزوجات مع مرور الأيام والسنون تنسى نفسها ومع زحمة واجباتها المنزلية تنسى تجملها لزوجها فتصبح امرأة أخرى غير التي عهدها في بداية حياتهما فالثياب رثة والشعر مهمل والوجه خالٍ من مساحيق التجميل ، هذا

في بيتها، وعند زوجها متعذرة بكثرة الأعمال المنزلية وضيق الوقت عليها، أما عند الخروج لمناسبة فتجد الوقت الكافي لتصفيف شعرها والتجمل بأحسن ما لديها من زينة فتلبس أحسن الثياب وتقلد عنقها بأثمن الجواهر وقد ملأت الألوان وجهها.. أليس زوجك أحق بكل هذا؟ ألم تحتسبي الأجر في تجملك لزوجك؟ فتؤجرين عليه وتكسبي قلب زوجك..

هذه قصة امرأة مرت عليها السنون وهي تعيش في سعادة مع زوجها وبعد أن تخطت الأربعين من عمرها وقاربت الخمسين فوجئت بزوجها يريد الزواج عليها بأخرىٰ.. ركبها الهم أبعد هذه السنين؟

استشارت إحدىٰ أخواتها فقالت لها: اهتمي بنفسك ولباسك وغيري من حالك وسوف تجدين أنه قد غير رأية.

وفعلاً تكفلت هذه الأخت بنفسها شراء أنواع من الألبسة الخاصة بأشكال جديدة وألوان زاهية وقدمتها لأختها وقالت: البسيها وتزيني بها له في غرفتك الخاصة، قالت: كيف ألبس مثل هذه الملابس وأنا في هذه السن إني لأخجل من هذا، قالت أختها: إنك تلبسينها إرضاءً لزوجك وسداً لحاجته فهو يفتقد منك ذلك لذا فكر بأخرىٰ..

وفعلاً عملت بمشورة أختها وكسرت حاجز الخجل مع زوجها وأصبحت تتجمل له كل ليلة وتهتم بمظهرها، عند ذلك صرف زوجها النظر عن الزواج بأخرىٰ . .

فكم في الأثواب من ثواب كما قال **الشيخ القطان** ـ حفظه الله ـ فاقرئي ما يقول :

للأثواب أحاديث . . فلونها ونوعها وشكلها عالم له لغة خاصة في دنيا الأزواج ! ! وقد ينتكس مفهوم الأناقة والزينة عند بعض النساء اليوم فأصبحن يتزين للخروج وليس للزوج بينما الزينة للزوج، وعليهن التزين والتجمل والتأنق للزوج فقط ! ! حتىٰ تملك قلبه وتجدد حياته ويجد الأنس والسرور عند النظر إلىٰ زوجته ويراها في حسن اختيار ثيابها كأنها في ليلة زفافها فكل لون فرحة جديدة وكل نوع منها حياة سعيدة وهي تحرص علىٰ التدرج في الزينة، ولا تقدم كل ما عندها من إمكانيات حتىٰ لا تبرد الحياة وتفقد كل كنوزها الثمينة بل يراها زوجها أول الأسبوع وقد دخلت عليه بزي جديد كأنه لم يره من قبل ولكنها بحركة استبدال لبعض الفساتين وقطع الثياب بحل بعضها مكان بعض يوهمه أنها تشتري له دائماً ثياباً جديدة ، لأنها تحبه ! ! ! وهكذا تظل مع ملابسها القديمة تخرج له الذي لم تلبسه منذ شهر، وقد نسيه الرجل فيظن أنه

جديد حتى تأتي ليلة الجمعة وقد فرغت نفسها له تماماً فلا مواعيد مع الأرحام أو الصديقات والأطفال قد ناموا ومن أول يوم الخميس وهي مشغولة في إعداد تلك الليلة الحالمة نفسياً ومادياً، نعم. . يوم الخميس، لأن الرجال يهربون في هذا اليوم إلى الاستراحات أو الحدائق أو السهر مع الأصدقاء لأنهم يحبون الجوانب التي تدعوهم إلى الإقبال على الزوجة فهي لا تعرف كيف تجدد حياتها معه ويكون لهذه الليلة الثوب الجديد وغرفة النوم نظيفة ومرتبة ولمساتها كزوجة بارزة في زوايا الغرفة فالستائر مرخاة والبخور يعبق والضوء الخافت وفيها مكان للجلوس وعربة صغيرة تحمل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات الخفيفة الحلال!! ذات الرائحة المقبولة وبجامة الزوج مكوية ومعطرة والحمام نظيف ومعد إعداداً جيداً، الفوط نظيفة ومعطرة والإضاءة سليمة والهواء متغير والماء الدافئ والمعجون والفرشاة وجميع اللوازم لتلك الليلة!! وعلى الرجل قبل الاسترخاء أن يقوم بتنظيف نفسه جيداً من عرق وتعب النهار وأن يتفقد نفسه جيداً كما تفقدها ليلة عرسه القديم!! فالإنسان ما دام في الدنيا فالروائح الكريهة تطارده لأنها من المنغصات ليشتاق إلى نعيم الجنة، وليتذكر أن غرفة نومه ليست مكتب عمله

فضجيج التلفونات وقراءة المشاريع ومراجعة الحسابات والقيام بالاتصالات الداخلية والخارجية يتركها هناك بعيداً عن هذه الليلة. وخلال غيابه في الحمام تقوم الزوجة بتغيير ثيابها من العام إلى الخاص!!! وتضيف بعض لمسات المكياج حتى يشاهدها بعد خروجه بصورة غير التي تركها عليها ينشرح لها الصدر وتسر لها العين وتطرب لها الأذن ويألف بها القلب ويطيب بها الأنف وتنعم بها اليد، ولتكن نيتك من كل هذا هي إسعاد زوجك ونيل رضاه وهذا من تقوى الله، فتجملي له يتجمل لك وكم في الأثواب من ثواب. انتهى بتصرف.

تلك كانت همسات رجل غيور على المرأة المسلمة دلها على طرق لفن التعامل والمعاشرة الزوجية فاقطفي من زهراتها لتكسبي مودة زوجك وتفوزي برضا ربك. واعلمي بنيتي - وفقك الله - إن مكان المرأة الأساسي هو بيتها ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣] لاحظ العلماء أن البيوت مضافة لضمير النسوة مع أن البيوت في الغالب وفي عرف الناس والمجتمع تكون للأزواج وليست للزوجات فخرج العلماء من ذلك بأنها ليست إضافة تمليك وإنما إضافة إسكان أي استمرار لزوم لبيتها وعدم خروجها منه إلا لضرورة تقتضيها الحاجة حتى أنها أضيفت إليها. فقري في بيتك وليكن خروجك

لعمل نافع أو حاجة تقضينها وإلا فالزمي بيتك ولا تكوني (خرّاجة ولاَّجة) دون هدف أو غاية، فإن كثرة خروجك تضييع لواجباتك وإهدار لحق زوجك وبه ينعدم السكن والراحة والطمأنينة وتتكدس الواجبات المنزلية وتعم الفوضىٰ في البيت. **فالزمي بيتك تسعدي.**

رابعاً: العبادة

غاليتي...

أوصيك بتقوىٰ الله وخشيته ومراقبة المحسنين الذين يعبدونه كأنهم يرونه سبحانه وتعالىٰ، واستعيني بالله وحده عند اشتداد الكروب والهموم واجعلي كتابه أنيساً لك ومرجعاً وحجة فلا تغفلي عنه بحيث تجعلين لك ورداً يومياً حفظاً وتلاوة واجعليه ملاذاً تأوين إليه كلما شعرت بقسوة وجفاء من نكد الحياة. لتكن حياتك مع القرآن حياة المتأمل المتدبر الخاشع الباكي ما أمكن ذلك واجعلي من النبي عليه وعلىٰ آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام وسيرته أسوة وقدوة وليكن هو المثل الأعلىٰ في قلبك وعقلك وخيالك ومشاعرك وعواطفك وسائر حياتك(١).

---

(١) مجلة المجتمع العدد ١٤٩٠ ذو الحجة ١٤٢٢هـ بتصرف يسير.

تعاوني وزوجك على طاعة الله وليذكر أحدكما الآخر بتقوى الله ومن أروع صور هذا التعاون ما ذكره الرسول ﷺ عن تعاون الزوجين على قيام الليل حيث يقول: «**رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء**»(١). فالحياة الزوجية في أول أيامها يغلب عليها الحياء والمجاملة من الطرفين فلتبادر في أول أيام حياتك معه بإعانته على طاعة الله وحثه على الصلاة مع الجماعة إن كان مقصراً في ذلك وبيني له فضل التبكير لأداء الصلاة وإن ذلك تأسياً بالحبيب المصطفى ﷺ فقد ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه كان يحادثهم فإذا سمع الآذان فكأنه لا يعرفهم.

بنيتي... أعيني زوجك على قيام الليل فأعدي له سجادته وسواكه واضبطي المنبه على الوقت المناسب للقيام وأيقظيه بنفسك بكلمات رقيقة تفيض حباً وحناناً وشاركيه صلاته عسى الله أن يكتبكما من الذاكرين. شاركيه صيام النوافل مثل صيام الست من شوال عشر ذو الحجة ويوم عرفة ويوم عاشوراء والإثنين والخميس وأيام البيض ما استطعتما فقد

---

(١) رواه الإمام أحمد وأهل السنن إلا الترمذي وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٣٤٨٨.

قال ﷺ: **«من ختم له بصيام يوم دخل الجنة»**[١].

. . اجعلا لكما نصيباً من أمر الدعوة لله إما بالشريط أو الكتيب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتفقد المحتاجين من الأقارب والأرامل والجيران وفقراء المسلمين وقضاء حوائجهم فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه. فأنت بذلك تدعينه للهدىٰ والصلاح وتعينينه علىٰ ذلك فلربما كان زوجك غافلاً عن هذه النوافل غير متحمس لأدائها فإذا بادرت بذلك في أول أيامك معه فغالباً ما يستجيب حياءً منك ومجاملة لك في بداية الأمر وسرعان ما يتحول ـ بإذن الله ـ إلىٰ عبادة فيكون لك مثل أجره دون أن ينقص من أجره شيء. ولقد جربت بعض الفتيات ذلك فنجحن بهداية أزواجهن إلىٰ الطريق الصحيح، فهذا زوج إحداهن يقول عن زوجته التي لم يمض علىٰ زواجه منها إلا عدة أشهر (لقد نفعني الله كثيراً بهذه الزوجة الصالحة فقد كنت أستمع إلىٰ الأغاني فأشارت عليَّ أن أستبدلها بأشرطة محاضرات وفعلاً نفعني الله بهذا كما طلبت مني إعفاء لحيتي فكانت عوناً لي علىٰ طاعة الله وفقها الله وسدد خطاها)، وإن وجدت في بيتك بعض المنكرات كالتلفاز والدش فحاولي إقناعه بالتخلص منها منذ بداية حياتك معه ومنذ أيامك الأولىٰ لأن

---

(١) رواه البزار وصححه الألباني انظر صحيح الجامع رقم ٦١٠٠.

المنكرات داخل البيت من أسباب تعكر صفو الحياة الزوجية لأنها من المعاصي وأنت تعلمين أن المعاصي تجلب المصائب ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

ابنتي الحبيبة...

مما يعينكما على التفقه في الدين والالتزام بالشريعة عمل مكتبة إسلامية في البيت وليس المهم أن تكون كبيرة ولكن العبرة بانتقاء الكتب المهمة ووضعها في مكان يسهل تناولها، فاختاري ركناً مناسباً في مجلس البيت (الصالة) وآخر في غرفة النوم وفي مجلس الضيوف لكي يتيح ذلك للفرد القراءة في كل وقت ويستفيد منها أهل البيت وضيوفه، ولا تغفلي المكتبة الصوتية فليكن لها نصيب وذلك بانتقاء عدد من الأشرطة الجيدة والنافعة للعلماء والمحاضرين والخطباء والوعاظ مثل الشيخ ابن باز وابن عثيمين - رحمهما الله - والمنجد، إبراهيم الدويش، محمد العريفي والشيخ الفوزان حفظهم الله جمعياً وغيرهم من مشائخنا الأفاضل، وضعي جهاز تسجيل في المطبخ فإنه ينفعك كثيراً - بإذن الله - فيساعدك على الاستماع إلى إذاعة القرآن الكريم والاستماع للمحاضرات الجيدة والنافعة وأنت تعملين في مطبخك.

وإليك بعض الكتب النافعة:

* في التفسير: تفسير ابن سعدي - مختصر ابن كثير للشيخ

نسيب الرفاعي.

* كتب الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ.

* كتب الشيخ محمد الصالح العثيمين مثل: الشرح الممتع على زاد المستقنع/ شرح كتاب التوحيد/ شرح رياض الصالحين.

* جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي.

* مختصر سيرة الرسول ﷺ: محمد بن عبدالوهاب.

* هذا الحبيب يا محب: أبوبكر الجزائري.

* بعض كتب ابن القيم: الفوائد/ الجواب الكافي لمن سأل عن الجواب الشافي.

* مجموعة العقيدة في الله: عمر الأشقر.

* ماذا وراء الأبواب: أم سفيان.

* مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد: عدنان باحارث.

* توضيح الأحكام: الشيخ عبدالله البسام.

* كيف تطيل عمرك: النعيم.

* سري وللنساء فقط: الشيخ أحمد القطان.

أما الأشرطة فهي متنوعة ومتجددة ولكن ليكن أهم ما تحتويه مكتبتك السمعية: أشرطة الشيخ محمد الصالح العثيمين ـ رحمه الله ـ اللقاء الشهري/ تفسير جزء عم/ خطب الجمعة.

وفقك الله لكل خير وأنار لك السبيل.

عند هبوب العواصف

قرة العين. . .

إن النسيم لا يهب عليلاً داخل البيت على الدوام فقد يتعكر الجو وتثور الزوابع وإن ارتقاب الراحة الكاملة وهم وسراب لا وجود له. . ومن العقل توطين النفس على قبول المضايقات(١) والمنغصات لأن المشكلات من طبيعة الحياة فالله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ خلقنا الإنسانَ في كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ويقول في سورة الانشقاق: ﴿يا أيها الإنسانُ إنَّكَ كادحٌ إلى ربكَ كدْحاً﴾ فأكدها بالمصدر. فحياة الإنسان الدنيوية مليئة بالمشكلات فلتنظري لهذه المشكلات نظرة واقعية وخذيها على أنها كالملح للطعام فإنها تكسر روتين الحياة لأن في المصالحة بعد المشكلة تجديد للعلاقة ومنبع لمشاعر متدفقة من كلا الزوجين لإرضاء الطرف الآخر.

وهذه بنيتي بعض الوصايا علها تكون شمعة تضيء دربك إذا ادلهمت عليك الخطوب..وضاعت خطاك بين الدروب..

* **أولاً**: لتعلمي أن رسول الله ﷺ لم تخل حياته من

---

(١) وميض الحرم: الشيخ سعود الشريم ج٢ ص١١٨.

المشكلات الزوجية مع زوجاته أمهات المؤمنين فكان عليه أفضل الصلاة والسلام يعاتبهن ويعاتبنه ويغضب عليهن ويغضبن عليه وكان عليه الصلاة والسلام يقول لعائشة: «**إني لأعلم إذا كنت عليَّ راضية وإذا كنت غضبى**» قالت: قلت ومن أين تعرف ذلك؟ قال: «**أما إذا كنت علي راضية فإنك تقولين لا ورب محمد وإذا كنت غضبى**» قلت: لا ورب إبرهيم قلت: أجل والله يا رسول الله لا أهجر إلا اسمك[١] كذلك صحبه الكرام رضوان الله عليهم فقد ورد في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال: أين ابن عمك؟ قالت في المسجد وذلك بعد مغاضبة كانت بينهما فكان عليه الصلاة والسلام يبعد عنه التراب وهو نائم في المسجد ويقول «**اجلس أبا تراب**»[٢] فهذه المشاكل نتيجة الاحتكاك وطبيعة الحياة.. لكنها ما تلبث أن تمر في سماء حياتهم كسحاب يمر في فصل صيف[٣].

* **ثانياً**: عليك بتقوى الله والبعد عن المعاصي إن المعاصي تهلك الدول وتزلزل الممالك.. فلا تزلزلي بيتك بمعصية الله ولا تكوني كفلانة عصت الله.. فقالت نادمة باكية بعد أن

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري مع اختلاف في اللفظ المذكور.

(٣) مذكرة للشيخ عبد العزيز المقبل

طلقها زوجها: جمعتنا الطاعة وفرقتنا المعصية.

احفظي الله يحفظك ويحفظ زوجك وبيتك.. إن الطاعة تجمع القلوب وتؤلف بينها والمعصية تمزق القلوب وتشتت شملها، ولذلك كانت إحدى الصالحات إذا وجدت من زوجها غلظة ونفرة، قالت: استغفر الله.. ذلك بما كسبت يداي ويعفو عن كثير.. فالحذر.. الحذر من المعاصي[(١)].

ثالثاً: إذا كان الخطأ من الزوج فالتمسي له المعاذير فإن المؤمن يطلب المعاذير.. والمنافق يطلب الزلات ويقول أحدهم: (إن أحدنا لتمر عليه فترات لا يرضى فيها عن نفسه ولكنه يتحملها ويتعلل بما يحضره من المعاذير) فليكن هذا الشأن بين الزوجين يلتمس كل منهما لقرينه المعاذير. وما أجمل مبدأ أبو الدرداء مع زوجته عندما قال: (إذا غضبت رضيني وإذا غضبت رضيتك وإلا لم نصطلح) فلا بد من غض الطرف عن الهفوات والزلات لتستقيم العشرة. ولتكوني من نساء أهل الجنة فاسعمي إلى ما يقول المصطفى ﷺ: **«ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا غضب زوجها جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها وتقول: لا أذوق غمضاً حتى ترضى»**[(٢)].

---

(١) أسرة بلا مشاكل للشيخ مازن الفريح ٣١، ٣٢.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني برقم ٢٨٧.

يقول أحدهم وهو يدعو لزوجته بعد أن واراها التراب: رحم الله أم محمد لقد عشت معها أجمل أيام عمري إنها لم تغضبني قط مع أنني كنت فظا غليظاً، وأذكر أنني غضبت منها وأنا المخطئ ومع ذلك جلست عند رأسي تبكي حتى رضيت عنها.. فسألته: هل أنت راض عنها؟ قال: نعم إني والله راض عنها. نسأل الله العظيم أن يجعل مثواها الجنة فقد قال ﷺ: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»**[1].

* **رابعاً**: إن معظم أسباب المشكلات الزوجية (الغضب) فما أن يثور الزوج حتى يشتعل وقود الشيطان فإذا واجهته الزوجة بغضب مثله كانت الكارثة وقربت النهاية، لذلك عليك الابتعاد عن كل ما يثير غضبه كأن لا يحضر إلا والطعام معد والبيت نظيف وتوفير الهدوء عند نومه، الاهتمام بملابسه بحيث تكون جاهزة عند طلبه إياها، الحرص على مقتنياته الخاصة من كتب وأوراق فلا يعبث بها ولا يطلع عليها أحد.. وإذا قدر الله وغضب لأي أمر من الأمور فلاتقابلي غضبه بغضب مثله وإنما عليك إما السكوت أو تهدئته بألفاظ عذبة مثل: أبشر ما يصير خاطرك إلا طيب، الذي تأمر به، المهم لا تزعل أنت، أهم شيء عندنا صحتك.. وهكذا حتى يهدأ، ثم بعد أن يهدأ يمكنك

(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن انظر مشكاة المصابيح ٣٢٥٦.

مناقشته وتوضيح الأمر له بهدوء وبعيداً عن أعين الأطفال . . أما إذا كنت لا تستطيعين المناقشة لأن دموعك تسبقك ولا تستطيعين توضيح حجتك، فاستخدمي طريقة الرسالة وذلك بأن تكتبي له رسالة رقيقة تحوي أولاً مشاعرك نحوه مع كلمات عتاب رقيقة مستدلة على حجتك بالأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ (فهذه الطريقة جيدة وقد جربت ونفعت بإذن الله)، (وهذه قصة تدل على حكمة المرأة وحسن تصرفها: أراد رجل أن يتزوج امرأة فقال لها: إني سيئ الخلق، قالت له: أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئ الخلق فقال: إذاً أنت امرأتي)، وكتب الشيخ **أحمد القطان** في كتابه (سري للنساء فقط) يقول: كتب زوج إلى زوجته في إحدى الصحف الكويتية: هناك وراء كل الأبواب المغلقة توجد هموم بين الرجل والمرأة تصل هذه الهموم في بعض الأحيان إلى النقاش الحاد الذي يؤدي إلى مشاجرة أو مشاحنة ويضطر أحد الطرفين في بعض الأحيان إلى فقدان أعصابه ويتفوه بكلمات لا يقصدها لأنه في ساعة غضب وفي ساعة الغضب تعمى البصيرة ويفقد العقل اتزانه وفي هذه اللحظة على الطرف الآخر أن يكون متزناً مستقيماً لأن تلك اللحظة هي خيط رفيع إذا شد انقطع . . إلى أن قال: فلماذا لا

تلتمسين لي الأعذار وأنت زوجتي رفيقة عمري؟ إن لم تتحمليني في أسوأ لحظات حياتي وتفهمي نفسيتي وتراعيها وتداعبيها . . ؟ إلىٰ أين أذهب؟ ما السبيل؟ . .)[١].

فعليك الصبر والتحمل عند غضب زوجك فإن ثمار الصبر يانعة فقد ذكرت لي إحدىٰ الأخوات أن والدها سريع الغضب كثير الشجار وكانت أمها صغيرة السن ولكنها حكيمة فالمرء بأصغريه قلبه ولسانه، فتذكر أنه عندما يعود من عمله مساءً في كثير من الأحيان يرتفع صوته عليها ويثور ويطلب منها أن تخرج من البيت لتلحق بأهلها فتخرج المرأة الصابرة مع أطفالها الصغار في ظلمة الليل إلىٰ بيت الجيران وتطلب منهم المبيت عندهم بحجة أن زوجها سوف يبيت في عمله وما أن ينفلق الصبح ويعود الزوج من صلاة الفجر إلا ويجدها في المطبخ تعد له طعام الإفطار، تقول: يقول أبي والله لقد ملكت قلبي وهو الآن أسأل الله أن يديم عليهما السعادة لا يستطيع مفارقتها، فهذه ثمرة الصبر والحكمة والأناة.

* **خامساً: بنيتي. . .** إذا كنت سريعة الغضب وشديدة الحساسية لأتفه الأمور فتضرعي إلىٰ ربك ومولاك أن يرزقك الحلم والأناة والصبر وتصبري فإن من يتصبر يصبره الله

---

(١) سري وللنساء فقط: أحمد القطان ص ٣٧.

واتبعي الأسلوب النبوي الذي أرشدنا إليه الحبيب المصطفى ﷺ عند الغضب فاسكتي أولاً «**إذا غضب أحدكم فليسكت**»[١]. ثم استعيذي من الشيطان الرجيم وإن كنت قائمة فاجلسي والأكمل أن تذهبي وتتوضئي فإنه بإذن الله يزول عنك الغضب، وجاهدي نفسك فقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

* **سادساً**: احرصي على عدم إخراج مشاكلك خارج إطار بيتك فإنه إن خرجت المشكلة عن إطار البيت إما لأهل الزوج أو لأهلك اتسع مداها وامتلأت قلوب الأهل غيظاً على الطرف الآخر وحتى لو اصطلحتما وعادت المياه إلى مجاريها بينكما إلا أن نظرة الأهل تظل لكما مهزوزة ومكانة أحدكما منحطة عند أهل الطرف الآخر، بل ربما خروج المشكلة إلى الأهل يزيدها اشتعالاً وقد يؤدي إلى الطلاق - لا قدر الله -.

بينما إخفاؤك لمشاكلك ومحاولة حلها بنفسك مستعينة بالله وحده يحفظ كرامة زوجك ومكانته عند أهلك وعند الناس أجمعين، وهذا يجعلك تكبرين في عينه ويزيد حبك في قلبه وتطول بينكما العشرة، وإليك **بنيتي** قصة امرأة ظنت كما قالت أن الزواج تحقيق لكل الآمال وأن الزوج مستعد لتنفيذ كل طلباتي تقول: تزوجت وسكنت مع أهل زوجي وقد

---

(١) صححه الألباني انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٣٧٥.

حدث خلاف بيننا فطالبت زوجي أن يستأجر لي بيتاً خاصاً بي ورفض، ألححت عليه وذلك بعد أن رزقني الله بولد ولما لم يستجب لمطلبي ذهبت إلىٰ بيت أهلي غاضبة ورفضت العودة إليه في محاولة للضغط عليه لأسكن في بيت مستقل، ولكن زوجي لم يخضع لطلبي بل تركني عند أهلي وتزوج بأخرىٰ وأسكنها في بيت مستقل وطلب مني العودة إليه وقد عدت وسكنت مع ضرة، تقول جنيت علىٰ نفسي كان ينبغي بأن أرضىٰ بالعيش مع أهله ولا أن يشاركني أحد في زوجي فندمت ندماً شديداً. . . ولكن بعد ماذا؟.

* **سابعاً:** إذا اضطررت للمشاورة في مشكلتك فعليك حسن اختيار من تستشيرين، ليكن من أهل التقوىٰ والصلاح ولا تغفلي عن التضرع لله سبحانه وتعالىٰ والالتجاء إليه دائماً في الرخاء والشدة واحرصي علىٰ أوقات الإجابة مثل يوم الجمعة وما بين الآذان والإقامة وقبل السلام من صلاة الفريضة كذلك احرصي علىٰ الثلث الأخير من الليل عندما ينزل الله تبارك وتعالىٰ إلىٰ السماء الدنيا فيقول: **«هل من داع فاستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فاغفر له»**.

والآن بنيتي أرعني سمعك وأصغي إليَّ جيداً فإني محدثة بحديث لا تحبينه، ولكنه قد يقع، فلعل كلماتي - إن وقع - تكون نبراساً ينير لك الطريق وبلسماً يبرد حر ما تجدين..

إن الأصل في الزواج شرعية التعدد لمن استطاع ذلك ولم يخف من الجور...

بنيتي. . . إن أراد زوجك التعدد فعليك الرضى والتسليم لهذا الأمر لأن هذا شرع الله قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فاحذري يا ثمرة فؤادي من رفض هذا الأمر أو محاربته فقد تقعين في كره ما أنزل الله وهذا من محبطات الأعمال قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩] وتذكري قوله تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فربما في هذا الأمر خيراً كثيراً لك وأنت لا تعلمين فإن الله يدير الأمور لحكم يعلمها سبحانه وتعالى[(١)].

في مقال بعنوان (اربحي ولا تخسري) بمجلة الدعوة. كتبت إحدى الأخوات تقول: إليك أيتها **الزوجة الصالحة**. . يا من رضيت بشرع الله وسلمت لأمره. . يا من دارت بينك

---

(١) قال الشيخ أحمد القاضي - حفظه الله - الكره المذموم هو كره التشريع أما كره أن يتزوج عليها زوجها خاصة فهو طبيعي لا تلام عليه.

وبين رفيق دربك ذكريات العمر . . مضيتما معاً . . وتقاسمتما حلو العيش ومره . . حتى إذا انقلبت صفحات العمر وإذا بك تفاجئين بخبر زواج زوجك عليك . . سبحان الله ابتلاء مرّ تعجز كثير من النساء عن تجرعه وهي لا تعلم أن هذا التصرف من الله لحكمة وأمر قضاه الله قد يجر لها خيراً كثيراً وهي لا تدري .

غاليتي . . . ما الجريمة التي وقع فيها هذا الزوج عندما تزوج عليك . . نعم ستقولين هذا زوجي وأبو عيالي و . . . و . . . و . . لكن ماذا بعد، أليس قد أقبل على أمر أباحه الله له وشرعه في دينه . . احمدي الله أنه لم يقدم على أمر محرم ومنكر . . ثم كيف حالك وقد دخل هذا الحدث الجديد عليك؟ فأنت أيتها الحنونة إحدى ثلاث نساء : . . . إلى أن قالت : والثالثة علمت أن هذا الأمر قد وقع ولا مفر منه . . فصبرت واحتسبت . . تألمت لكنها لم تجعله على حساب علاقتها بزوجها بل أمسكت بيد زوجها وقالت : أنت زوجي وأبو عيالي . . بل أنت تمثل لي كل شيء في هذه الحياة، لم تفعل إلا ما أحله الله لك والحمد لله على ما قضاه وقدره . . لكن العذر والسموحة إن كنت قصرت في حقك وأخللت في القيام به حتى تزوجت بأخرى . . . ولا أملك إلا أن أقول

أعانني المولى على إسعادك مهما فعلت ثم ولت والغبرة تغص في صدرها . . . والهم قد أثقل جنانها فهذا ابتلاء عظيم . . فرفعت يديها إلى الله فقالت : يا رب أعني على ما تحب وترضى . . . يا رب اربط على قلبي وأنزل عليه الثبات . . يا رب قد رضيت بقدرك فارضني برحمتك واخلفني خيراً . . واكفني ما أهمني من أمري . . فهذه لم تخسر زوجها وقد أرضت قبل ذلك ربها فالله كفيل بأن يسعدها ويشرح صدرها ويريها مالا تحتسب . . .

إلى أن قالت : ختاماً : تذكري أيتها الزوجة المحبة أن أي تصرف لن يسعفك أمام حدث كتبه الله ووقع وليس لك مفر من أمر الله فكوني رابحة ولا تخسري كل شيء وأعلمي أن ثباتك وصبرك أمام هذا الخير ربما انجب لك حياة أكثر رغداً وسعادة وحباً . . أعانك الله . . اهـ (١) .

غاليتي . . . إن عدَّدَ زوجك وتزوج بأخرى فاستغلي يومك بكسب الأجر بخدمة زوجك وإرضائه وطاعته وحسن التبعل له ، حتى إذا كان يوم ضرتك فاستغليه بتربية أبنائك والجلوس معهم وحفظ آيات من كتاب الله أو مراجعتها وزيارة الأهل والأقارب وحضور المحاضرات والدروس العلمية بعد استئذان زوجك أو قراءة كتاب مفيد وصيام أيام من الشهر

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٨٣٧ محرم ١٤٢٣ هـ .

وغيرها من الأعمال الصالحة التي تدخل السكينة على نفسك وتقودك إلى رضا ربك وجنته. . ولا تنسي الإكثار من الدعاء أن يرضيك بما قسم لك.

بنيتي الحبيبة. . . ربما تقولين أثقلت فجعلت كل ما يدور في حياتنا من عشرة وتربية للأبناء وحل الخلافات ملقاة على عاتقي فقط وكأن جميع الحقوق عليَّ وليس لي منها شيئاً.

لا يا حبيبتي إن الإسلام جعل لك حقوقاً كثيرة كزوجة وكأم وكأخت. . ولأن حديثنا عنك هنا كزوجة فقد قال الله تعالى في حقك كزوجة: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فكما للرجل حقوق فلك مثل حقوقه وقال النبي ﷺ: **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»**(١) وقال عليه الصلاة والسلام: **«ألا واستوصوا بالنساء خيراً»** ولكن أقول لك عليك أن تؤدي ما عليك من واجبات دون أن تنتظري أن تأخذي ما لك من حقوق فهي علامة إخلاصك في معاشرة زوجك ومن حولك. قال الشيخ **زيد بن عبدالكريم الزيد** في كتابه (في بناء الشخصية الإسلامية): فإن المسلم يؤدي الواجب الذي عليه ولا يربط بينه وبين تحصيل الحق الذي له فهو مطالب بالواجب أما أخذ الحق فله شأن آخر يقول ﷺ:

---

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وهو صحيح انظر السلسلة الصحيحة ٢٨٥.

«ستكون أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الحق الذي لكم»[(١)] . . . إلى أن قال: «فتؤدي الواجب الذي عليها» - أي الشخصية الإسلامية - دون انتظار لطلبه بل تبادر إليه فور الاستطاعة أما مالها من الحق فنفس المسلم تؤمن بأن ما عند الله خير وأبقى وما تيسر في هذا فهو خير وما اختلط بعظيم فعدم الاهتمام به أسلم ولا يعني هذا أن يكون المسلم مضيعاً لحقوقه إلا المقصود ألا تكون كفة الحق الراجحة أو مساوية لكفة الواجب. . . فأخلصي بأداء واجباتك ولا تنتظري مقابل ذلك إن جاء بيسر وتوفيق من الله. .[(٢)].

غاليتي. . . إن السعادة أمر نسبي يزيد وينقص ويقبل ويدبر، لذا عليك أن تصبري وتحتسبي الأجر من الله فإن المؤمن مبتلى وقد وعد الله الصابرين خيراً ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] قيل في تفسير هذه الآية إنهم يصب عليهم الأجر صباً. . واعلمي أن الدنيا دار شقاء وليس هناك سعادة أبدية إلا في جنة الخلد - جعلنا الله وإياكم - من أهلها.

---

(١) صحيح البخاري (٤/ ١٧٧).

(٢) في بناء الشخصية الإسلامية عبد الكريم الزيد ص ٤٤، ٤٦.

وإليك هذه القصة نقلتها لك من مجلة الدعوة ـ وفقهم الله ـ تقول الأخت صاحبة القصة: سنة كاملة مضت على زواجي ولم أذق بعد حلاوة المودة والرحمة... دوماً أتشوق إلى الحياة الدافئة.. دوماً أتطلع إلى الرابطة المقدسة الحقيقية تذوقتها ولمدة شهر ونصف وبعدها تكشفت لي الحقيقة، لم تتكشف دفعة واحدة ولكنها جاءت كنقاط الماء العفن التي تتجمع قليلاً قليلاً.. لتصنع في النهاية بركة آسنة...

وفي إحدى الليالي جاء زوجها متأخراً قرب الفجر كالعادة فقالت: الحمد لله على السلامة. ساد صمت دوى بعده صوت الحق في الآفاق يخترق أمواج الظلام.. الله أكبر، فقالت: الصلاة يا إبراهيم. .لم ينبس سألت الله في سرها العون والمساعدة، ساد صمت لمدة دقيقة قالت: الصلاة يا إبراهيم... وثب جالساً ركبه عنف طبعه، نظر إليها بكراهية ثابتة ثم تحول ذلك إلى غضب جارف، فبصق في وجهها ثم تدثر بالغطاء تراجعت كأنما طعنت، موجة عاتية من الأسى اجتاحتها غاص قلبها من الألم.. تحسست بيدها وجهها نظرت إليه نظرة مريضة خسرت جمالها وكبرياءها وخرجت من الغرفة بقلب منصهر وفؤاد مجروح الكبرياء ... انتصبت في محرابها، ابتهلت، ابتهلت، ابتهلت حتى تدفق الدمع من عينيها.. ربي إني أستعصم بك فهبني قوة

وصبراً. . ربي أنت وحدك تعلم ما يعتلج في أعماقي. . إني وحيدة إلا من عونك. . وفي الصباح قالت لها صاحبتها: أرجوك أخبريني ما هو أرجىٰ عمل عملته أو تعملينه؟

قالت: وما هو الدافع لهذا السؤال؟ قالت لها: أرجوك أخبريني.

قالت: أخبريني أولاً ما الذي دفعك إلىٰ هذا السؤال؟

قالت: صاحبتها: لقد رأيتك في المنام ثلاث ليال متتابعات وأنت جالسة في أحد بساتين الجنة(١) انتهىٰ بتصرف. قال ﷺ: **«لم يبق من النبوة إلا المبشرات»**، قالوا: يارسول الله: وما المبشرات؟ قال: **«الرؤيا الصالحة»**(٢) إما أن يراها المؤمن أو ترىٰ له.

ولتعلمي بنيتي... أنه مهما كنت في كدر وضيق فإن هناك من هو أشد منك بلاءً وأن المؤمن يبتلىٰ علىٰ قدر دينه قال ﷺ: **«أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلىٰ الرجل علىٰ حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه»**(٣) وقال ﷺ: **«انظروا إلىٰ من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلىٰ من هو**

---

(١) مجلة الدعوة العدد ١٥٥٣ بتاريخ ٢٤ ربيع أول ١٤١٧ هـ بتصرف.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٦٩٩٠).

(٣) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٤٣

فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم»[1].

ولتعلمي أن كل ما يصيبك من هم أو حزن أمر مرض فهو تكفير لخطاياك فاصبري واحتسبي الأجر عند الله سبحانه وتعالىٰ الذي يقول في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤] ولتعلمي أنه ليس هناك راحة وسعادة إلا تحت شجرة طوبىٰ - جعلنا الله وإياك من أهل الجنة -.

لتجعلي ملجأك في تلك الأحوال إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ فهو نعم المولىٰ ونعم النصير وأكثري من الدعاء وخاصة في أوقات الإجابة ومنها جوف الليل، وما بين الآذان والإقامة وعند نزول المطر وعند اشتداد الكرب عليك قال تعالىٰ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢].

فإن دعاء المضطر مستجاب والسوء هو أعلىٰ درجات الكرب والاضطرار... فارفعي يديك لخالقك وليلهج لسانك بدعائه.. ولتعلمي أن لإجابة الدعاء شروط منها:

١- الإخلاص في الدعاء فلا تدعين ولا تسألين إلا الله.

٢- الخشوع والرغبة والرهبة وحضور القلب عند الدعاء.

٣- التعامل المالي بالحلال لأن التعامل بالحرام من موانع

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني انظر صحيح الجامع الصغير ١٥١٩

إجابة الدعاء .

٤ـ التأدب بآداب الدعاء التي منها :

* الوضوء . * حضور القلب .

* تخير وقت الإجابة * عمل الصالحات .

* الإكثار من الاستغفار والتوبة إلى الله سبحانه وتعالى .

وأذكرك بدعاء الكرب فأكثري من الدعاء به :

«لا إله الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم» .

ودعوة ذي النون : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له .

بنيتي . . .

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعل السعادة والرضا يملآن قلبك .

* * *

الأبناء

مهجة القلب. . .

الأولاد أمانة في أعناق الوالدين والولدان مسؤولان عن هذه الأمانة والتقصير في تربية الأبناء خلل واضح وخطأ فادح وخيانة للأمة ونقص في الديانة، فالبيت هو اللبنة التي يتكون من أمثالها بناء المجتمع.

وفي الأسرة الكريمة الراشدة التي تقوم على حماية حدود الله وحفظ شريعته وعلى دعائم المحبة والمودة والرحمة والإيثار والتعاون والتقوى ينشأ رجال الأمة ونساؤها وقادتها وعظماؤها(١).

قال **ابن القيم**: وكم من أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته على شهواته ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه وأنه يرحمه وقد ظلمه ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رايت عامته من قبل الأباء(٢).

فاحرصي **بنيتي** - وفقك الله - على حسن تربية أولادك فإنك

---

(١) التقصير في تربية الأولاد محمد إبراهيم الحمد ص ٥، ٦.

(٢) تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم من ١٤٦-١٤٧.

يوماً تصبحين أماً، فأنت مدرسة وصانعة أجيال وليس في الدنيا كلها أشرف ولا أنبل من صناعة الرجال وصناعة الإنسان الذي يبني الحياة والحضارة والأمجاد[١]. قال الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

وإليك بعض السبل المعينة - بإذن الله - على تربية الأبناء تربية صالحة اقتطفتها من كتاب التقصير في تربية الأولاد ومزجتها ببعض التجارب عسى الله أن ينفع بها:

* **سؤال الذرية الصالحة:** فهذا العمل دأب الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين كما قال تعالى عن زكريا عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [آل عمران: ٣٨] وكما حكي عن الصالحين أن من صفاتهم أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

* **الاستعانة بالله على تربيتهم:** فإذا أعان الله العبد على أولاده وسدده ووفقه أفلح وأنجح وإن خذل ووكل على نفسه فإنه يخسر ويكون عمله وبالاً عليه كما قيل:

---

(١) مجلة المجتمع العدد ١٤٩٠ بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ.

إذا صح عون الخالق المرء لم يجد
عسيراً من الآمال إلا ميسراً

* **الدعاء للأبناء وتجنب الدعاء عليهم:** فإن كانوا صالحين دعا لهم بالثبات والمزيد وإن كانوا طالحين دعا لهم بالهداية والتسديد والحذر كل الحذر من الدعاء عليهم قال المصطفى ﷺ: **«لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»** رواه مسلم، فاحرصي بنيتي على الدعاء لهم بالصلاح والهداية وأن يكونوا مرضيين عند ربهم ولا تدعي عليهم، فهذه قصة اقتطفتها من كتيب (أمهات بقرب أبنائهن) قالت الكاتبة: (وإليك أيها المربي قصة المرأة حيث تتحدث عن قصتها مع ولدها والدموع تذرف من عينيها وفيها من الحزن ما لا يعلمه إلا الله تقول: عزمنا السفر إلى مدينة الرياض وعند ركوب السيارة جرى خلاف بيني وبين أحد أبنائي حول لبس الشماغ حيث طلبت منه إحضاره فرفض فكانت المشادة بيننا وانتهت بدعائي عليه (اذهب لا ردك الله) تقول: وسافرنا إلى الرياض وكانت المصيبة في أحد شوارع الرياض حيث كنت أسير معه فإذا بسيارة تتجه نحوه وتصدمه فيسقط يصارع الموت ولم يلبث سوى ساعات ثم يموت وأعود إلى

بلدي بعد هذا السفر بدونه، هكذا كانت النهاية الأليمة أجاب الله دعاءها وذهب ابنها)[١].

* **غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوسهم:** فمما يجب بل هو أوجب شيء على الوالدين أن يحرصوا كل الحرص على هذا الأمر ويتعاهدوه بالسقي والرعاية كأن يعلم الوالد أولاده منذ الصغر أن ينطقوا بالشهادتين وأن يستظهروها وينمي في قلوبهم محبة الله -عز وجل- وأن ما بنا من نعمة فمنه وحده ويعلمهم أن الله في السماء وأنه سميع بصير ليس كمثله شيء وأنه معنا أينما كنا فننمي عندهم مراقبة الله والخوف والخشية من اطلاع الله علينا ونحن نعصيه وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء إلى غير ذلك من أمور العقيدة.

ولا تستصغري الطفل فإنه والله يدرك وهو في الرابعة والخامسة من عمره، فهذه طفلة لم تتجاوز السادسة من عمرها جلست في إحدى الليالي في الطابق السفلي من البيت ووالدتها في الطابق العلوي، جلست الطفلة تلعب وحدها ثم بعد أن انتهت من لعبها ذهبت إلى أمها وأخبرتها أنها كانت جالسة لوحدها في الصالة وأنها لم تخف وقالت

---

(١) أمهات بقرب ابنائهن نورة السعيد ص ٣٨-٣٩.

لأمها: أتدرين لماذا لم أخف؟ قالت: لماذا؟ قالت الطفلة: لأن الله كان معي فكيف أخاف.

*** غرس القيم الحميدة والأخلاق الكريمة في نفوسهم:** فيحرص الولدان على تربيتهم على التقوىٰ والحلم والصدق والأمانة والعفة والصبر والبر والصلة والجهاد والعلم حتىٰ يشبوا متعشقين للبطولة محبين لمعالي الأمور ومكارم الأخلاق.

*** تجنبهم الأخلاق الرذيلة وتقبيحها في نفوسهم:** فيكره الوالدان لهم الكذب والخيانة والحسد والحقد والغيبة والنميمة والأخذ من الآخرين وعقوق الوالدين وقطيعة الرحم والجبن والأثرة وغيرها من سفاسف الأخلاق ومرذولها حتىٰ ينشأوا مبغضين لها نافرين منها، فالحسن في عيونهم ما استحسنته لهم والقبيح ما استقبحته، ربما سمعت قصة الطفلة التي لبست عباءتها من قمة رأسها إلىٰ أخمص قدميها وهي لم تتجاوز التاسعة بعد، فلما سمعت من يسخر منها لأنها لبستها وهي صغيرة وجسمها صغير ردت عليهم قائلة: (إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون) وما زالت هذه الفتاة تفخر بعباءتها وحجابها.

*** الحرص على تحفيظهم كتاب الله:** فهذا العمل من أجل

الأعمال فالاشتغال بحفظه اشتغال بأعلى المطالب وأشرف المواهب ثم إن فيه حماية لأوقاتهم وحماية لهم من الضياع والانحراف فإذا حفظوا القرآن أثر ذلك في سلوكهم وأخلاقهم وفجر ينابيع الحكمة في قلوبهم، قال **الشيخ محمد الصالح العثيمين** - رحمه الله - في محاضرة له عن عظمة القرآن: أكثروا من قراءة القرآن واجعلوا لكم منه حزباً معلوماً لا يفوتكم كل يوم لأنكم إن تركتم النفوس هكذا مهملة مرسلة كسلت ونسيت وتهاونت.. إن لكم أبناء وبنات هم صغاراً فألحقوهم بحلق المساجد لتحفيظ القرآن ذلك والله خير لهم ولكم. إن حفظ القرآن لذخر عظيم أفضل من الدراهم والدنانير...

* **تحصينهم بالأذكار الشرعية**: وذلك بالقائها عليهم إن كانوا صغاراً وتحفيظهم إياها إن كانوا مميزين، وكذلك تعويدهم الأذكار طرفي الليل والنهار وبعد الصلوات وعند النوم وعند دخول المنزل والخروج وركوب الدابة ودخول الخلاء.. وجميع الأذكار التي يجب أن تلازم المسلم في كل شؤون حياته، ولا تتصاغري أعمارهم فقد تغفلين أحياناً فيذكرونك، وهذه إحدى الأمهات تقول: إنها اعتادت أن تردد أذكار النوم مع طفلتها الصغيرة كل ليلة قبل النوم وفي

إحدى الليالي غلب النوم على الطفلة ووالدتها فسمعت منها صوتاً خافتاً وهي بين النوم واليقظة، فخشيت الوالدة أن طفلتها قد أصابتها الحمى فهي تهذي ولكن بعد أن تحسست جبينها فلم تجد عليها حرارة فأنصتت لتستمع ماذا تقول ابنتها فإذا هي تردد الله أكبر وتحسب ذلك بأناملها فتبسمت الأم وقبلت جبين ابنتها ودعت له بالثبات.

* **تعويدهم الانتباه آخر الليل:** فإنه وقت الغنائم وتفريق الجوائز فمستقل ومستكثر..

* **تشويقهم للذهاب للمسجد صغاراً وحملهم عليه كباراً:** كأن يعمد الوالد إلى تشويقهم قبل تمام السابعة من أعمارهم أما إذا كبروا فينبغي له أن يقوم عليهم وأن يأمرهم بالصلاة في المسجد مع جماعة المسلمين لسبع ويضربهم عليها لعشر سنين وأن يحرص على هذا الأمر ويصطبر عليه وخاصة الفجر والعصر.

* **تعويدهم المشاركة الاجتماعية:** وذلك بحثهم على المساهمة في خدمة دينهم وإخوانهم المسلمين إما بالجهاد في سبيل الله أو بالدعوة إلى الله أو إغاثة الملهوفين أو مساعدة الفقراء والمحتاجين أو التعاون مع جمعيات البر وغيرها وتعويدهم على البذل والعطاء منذ الصغر بتشجيعهم على الصدقة.

* **العدل بينهم:** فما قامت السموات والأرض إلا بالعدل ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس إلا بالعدل فما يجب على الوالدين تجاه أبنائهم أن يعدلوا بينهم وأن يتجنبوا تفضيل بعضهم على بعض سواء في الأمور المادية كالعطايا والهدايا والهبات أو الأمور المعنوية كالعطف والحنان وغير ذلك، كان رجل عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءته بنت له فأجلسها بين يديه فقال رسول الله ﷺ: **«ألا عدلت بينهما؟»**(١).

* **إشباع عواطفهم:** إشعارهم بالعطف والرحمة والحنان حتى لا يعيشوا محرومين من ذلك فيبحثون عنه خارج المنزل فلتحرصي على ضمهم وتقبيلهم وخاصة إذا كانوا صغاراً واللعب معهم، وعند كبرهم يكون باحترامهم والتلطف معهم وإشعارهم بالمحبة وذلك بالتبسم عند رؤيتهم والدعاء لهم عند خروجهم ومشاركتهم وأفراحهم وأحزانهم، ولنا في الحبيب ﷺ أسوة حسنة حيث ذكرت أم المؤمنين رضي الله عنها: كان النبي ﷺ إذا رأها (يعني فاطمة) قد أقبلت رحب بها ثم قام إليها فقبلها ثم أخذ بيدها فجاء بها حتى يجلسها في مكانه.. البخاري.

---

(١) رواه البزار وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٢٨٨٣.

* **ربط حياتهم اليومية بالله سبحانه وتعالىٰ:** فكلما حالفهم نجاح أو توفيق في أمر أو حصول مطلوب ذكرناهم أن ذلك ربما كان بسبب رضىٰ الله عنهم بسبب حرصهم علىٰ صلاتهم وعبادتهم لله والعكس من ذلك كلما حدث لهم إخفاق أو لم يحصل لهم مطلوب رددناه إلىٰ تقصيرهم في طاعة الله وأن هذا من أنفسهم ﴿ **مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ..** ﴾ [النساء: ٧٩] أو أنه ابتلاء من الله ليرىٰ مدىٰ صبرهم وليرفع درجاتهم.

* **تعويدهم التفاعل مع الآيات الكونية والأحداث اليومية:** وذلك تأسياً أولاً بالنبي المصطفىٰ ﷺ وثانياً: لتعليق قلوبهم دائماً بالله واليوم الآخر وقد روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله ﷺ كان إذا رأىٰ غيماً أو ريحاً عُرِف ذلك في وجهه، فقالت عائشة: يا رسول الله أرىٰ الناس إذا رأوا غيماً فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال: «**يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عُذب قوم بالريح وقد رأىٰ قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا**»(١) وكان عليه الصلاة والسلام يقوم فزعاً إذا رأىٰ الكسوف كما جاء في صحيح البخاري عن أبي موسىٰ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب (فلما رواه عارضاً) رقم ٤٨٢٨، ورواه مسلم في كتاب الاستسقاء.

رضي الله عنه قال: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فزعاً يخشى أن تكون الساعة(١) وأمرنا عليه الصلاة والسلام عند الكسوف والخسوف أن نفزع للصلاة وأخبرنا أنهما من آيات الله التي خوف بها عباده ولا شك أن تفاعل القلب مع هذه الظواهر يقوي الإيمان في قلوبهم، فلنذكرهم دائماً إذا رأوا بستاناً جميلاً بجنة الآخرة وإذا رأوا النار في الشتاء أو عند إيقاد الموقد أن يستعيذوا من النار وإذا لفهم الظلام أن نذكرهم بظلمة القبر فيستعيذوا من عذاب القبر حتى تكون قلوبهم معلقة بالله واليوم الآخر دائماً.

واذكرهم هنا قصة بهذا الشأن حيث اجتمعت مع أخوات لي في الله ومن بين هذه الأخوات أخوات من جنسيات مختلفة من فرنسا وبريطانيا ومن الأرجنتين وهن الحمد لله مسلمات من فترات مختلفة فعندما قدمنا بعض أنواع الحلوى مع القهوة، أخذت إحداهن وهي الأرجنتينية قطعة من الحلوى ثم قالت: اللهم إني أسألك حلاوة الإيمان.

فكم نحن في غفلة عن هذا، لذا علينا تربية أبنائنا على التفاعل مع الآيات الكونية والأحداث اليومية لتعلق قلوبهم دائماً بالله.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الكسوف) باب الذكر في الكسوف (١٠٥٩).

هذه بعض الشذرات من الأساليب التربوية ـ وإن شاء الله ـ إذا صدقت مع الله سبحانه وتعالى فإنه سوف يفتح عليك أبواباً . . وأبواباً من الخير في تربية أبنائك ومن صدق مع الله صدق الله معه . . ولتعلمي أنه ليس بيدك الهداية وإنما الهادي هو الله سبحانه وتعالى والدعاء لهم وإن حاد أحدهم عن الطريق فهذا بأمر الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص : ٥٦] .

بهذا الدعاء يعوّذ الأطفال:

يعوذ الأطفال بالأدعية المناسبة : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق ومن شر شيطان وهامة ومن شر عين لامة ومن شر مخلوقات الله عامة ، وكذلك المعوذتان .

و الإعادة تقع على أية حال حتى لو كان غير موجود وتقولين أعيذه بكلمات الله التامة أو أعيذ أولادي بكلمات الله التامة لو كانوا غائبين .

أجاب عليه الشيخ عبدالله بن جبرين . الدعوة العدد ١٦٨٩ ١٣ محرم ١٤٢٠هـ .

* * *

بعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمرأة

غاليتي...

أختم رسالتي هذه ببعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمرأة لعل الله أن ينفعك بها ويفقهك في دينك، فتقبلي خالص دعواتي لك بحياة سعيدة في الدنيا والدرجات العُلى في الآخرة.

فتاوى في الطهارة:

س١: ما هي موجبات الغسل؟

موجبات الغسل منها: الأول إنزال المني بشهوة يقظة أو مناماً، لكنه في المنام يجب عليه الغسل وإن لم يحس بالشهوة لأن النائم قد يحتلم ولا يحس بنفسه فإذا خرج منه المني بشهوة وجب عليه الغسل بكل حال.

الثاني: الجماع، فإذا جامع الرجل زوجته بأن أولج الحشفة في فرجها أو ما زاد فعليه الغسل لقول النبي ﷺ عن الأول: «**الماء من الماء**»[(١)] يعني الغسل يجب من الإنزال وقوله عن الثاني: «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب**

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحيض باب إنما الماء من الماء (٣٤٣).

الغسل»(١) وإن لم ينزل، وهذه المسألة ـ أعني الجماع بدون إنزال ـ يخفى حكمها على كثير من الناس، حتى أن بعض الناس تمضي عليه الأسابيع والشهور وهو يجامع زوجته بدون إنزال ولا يغتسل جهلاً منه، وهذا أمر له خطورته فالواجب أن يعلم الإنسان حدود ما أنزل الله على رسوله، فإن الإنسان إذا جامع زوجته وإن لم ينزل وجب عليه الغسل وعليها، للحديث الذي ذكرناه آنفاً.

الثالث: من موجبات الغسل خروج دم الحيض والنفاس فإن المرأة إذا حاضت ثم طهرت وجب عليها الغسل لقوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ولأمر النبي ﷺ **«المستحاضة إذا جلست قدر حيضها أن تغتسل والنفساء مثلها فيجب عليها أن تغتسل»**.

وذكر بعض العلماء أيضاً من موجبات الغسل الموت مستدلين بقوله ﷺ للنساء اللاتي يغسلن ابنته: **«اغسلنها ثلاثا**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الغسل باب إذا التقى الختانان (٢٩١) ومسلم في كتاب باب نسبة الماء من الماء (٣٤٨).

أو خمساً أو سبعاً، أو أكثر من ذلك إن رأيتن ذلك»[١] وبقوله ﷺ في الرجل الذي وقصته راحلته بعرفة وهو محرم: **«اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه»** فقالوا إن الموت موجب للغسل ولكن الوجوب هنا يتعلق بالحي، لأن الميت انقطع تكليفه بموته ولكن على الأحياء أن يغسلوا موتاهم لأمر النبي ﷺ بذلك.

س٢: ما صفة الغسل؟

صفة الغسل على وجهين: الوجة الأول: صفة واجبة وهي أن يعمم بدنه بالماء ومن ذلك المضمضة والاستنشاق فإذا عمم بدنه كله بالماء على أي وجه كان فقد ارتفع الحدث الأكبر وتمت طهارته لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦].

الوجه الثاني: صفة كاملة وهي أن يغتسل كما اغتسل النبي ﷺ فإذا أراد أن يغتسل من الجنابة فإنه يغسل كفيه ثم يغسل فرجه وما تلوث من الجنابة، ثم يتوضأ وضوءاً كاملاً ـ على صفة ما ذكرنا في الوضوء ـ[٢] ثم يغسل رأسه بالماء ثلاثاً

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسدر ١٢٥٣، ومسلم في كتاب الجنائز باب غسل الميت ٩٣٩.

(٢) فتاوى أركان الإسلام للشيخ محمد العثيمين ص ٢٢٣.

ترويه ثم يغسل بقيه بدنه. هذه صفة الغسل الكامل[١] والجنب لاينام إلا بوضوء على سبيل الاستحباب وكذا بالنسبة للأكل و الشرب[٢].

وصفة الغسل من الحيض والنفاس كصفة الغسل من الجنابة إلا أن بعض أهل العلم استحب في غسل الحائض أن تغتسل بالسدر لأن ذلك أبلغ في نظافتها وتطهيرها[٣].

س٣: إذا اغتسل الإنسان ولم يتمضمض ولم يستنشق فهل يصح غسله؟

لا يصح الغسل بدون المضمضة والاستنشاق، لأن قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦] يشمل البدن كله وداخل الفم وداخل الأنف من البدن الذي يجب تطهيره، ولهذا أمر النبي ﷺ بالمضمضة والاستنشاق في الوضوء، لدخولهما في قوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] فإذا كانا داخلين في غسل الوجه ـ والوجه يجب تطهيره وغسله في الطهارة الكبرى ـ كان واجباً على من اغتسل من الجنابة أن يتمضمض ويستنشق.

---

(١) فتاوى أركان الإسلام للشيخ محمد العثيمين ص ٢٤٨.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد العثيمين ص ٣١١.

(٣) فتاوى أركان الإسلام للشيخ محمد العثيمين ص ٢٤٤.

س٤ : هل يجب الغسل بالمداعبة والتقبيل؟

لا يجب على الرجل ولا على المرأة غسل بمجرد الاستمتاع بالمداعبة أو التقبيل إلا إذا حصل إنزال المني فإنه يجب الغسل على الجميع إذا كان المني قد خرج من الجميع فإن خرج من أحدهما فقط وجب عليه الغسل وحده، هذا إذا كان الأمر مجرد مداعبة أو تقبيل أو ضم، أما إذا كان جماعاً فإن الجماع يجب فيه الغسل على كل حال، على الرجل وعلى المرأة حتى وإن لم يحصل إنزال لقول النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : «**إذا جلس بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل**» وفي لفظ لمسلم «**وإن لم ينزل**» وهذه المسألة قد تخفى على كثير من النساء تظن المرأة بل ربما يظن الرجل أن الجماع إذا لم يكن إنزال فلا غسل فيه، وهذا جهل عظيم فالجماع يجب فيه الغسل على كل حال، وما عدا الجماع من الاستمتاع لا يجب فيه الغسل إلا إذا حصل الإنزال.

س٥ : إذا استيقظ الإنسان فوجد في ملابسه بللاً فهل يجب عليه الغسل؟

إذا استيقظ الإنسان فوجد بللا، فلا يخلو من ثلاث حالات :

الحالة الأولى: أن يتيقن أنه مني، فيجب عليه حينئذ

الاغتسال سواء ذكر احتلاماً أم لم يذكر.

الحالة الثانية: أن يتيقن أنه ليس بمني فلا يجب عليه الغسل في هذه الحال، ولكن يجب عليه أن يغسل ما أصابه لأن حكمه حكم البول.

الحالة الثالثة: أن يجهل هل هو مني أم لا؟ ففيه تفصيل:

أولاً: إن ذكر أنه احتلم في منامه فإنه يجعله منياً ويغتسل لحديث أم سلمة رضي الله عنها حين سألت النبي ﷺ عن المرأة ترىٰ في منامها ما يرىٰ الرجل، هل عليها غسل؟ قال: «**نعم إذا هي رأت الماء**» فدل هذا علىٰ وجوب الغسل علىٰ من احتلم ووجد الماء.

ثانياً: إذا لم ير شيئاً في منامه فإن كان قد سبق نومه تفكير في الجماع جعله مذياً، وإن لم يسبق نومه تفكير فهذا محل خلاف: قيل: يجب عليه الغسل احتياطاً، وقيل: لا يجب وهو الصحيح لأن الأصل براءة الذمة.

* * *

فتاوى في الحيض

من كتاب (فتاوىٰ أركان الإسلام) للشيخ محمد صالح العثيمين:

س١: هل يجوز للحائض أن تقرأ القرآن؟

يجوز للحائض أن تقرأ القرآن للحاجة مثل أن تكون معلمة فتقرأ القرآن للتعليم أو تكون طالبة فتقرأ القرآن للتعلم أو تكون تعلم أولادها الصغار أو الكبار فتردد عليهم وتقرأ الأية قبلهم. المهم إذا دعت الحاجة إلىٰ قراءة القرآن للمرأة الحائض فإنه يجوز ولا حرج عليها وكذلك لو كانت تخشىٰ أن تنساه فصارت تقرؤه تذكراً فإنه لا حرج عليها ولو كانت حائضاً علىٰ أن بعض أهل العلم قال: إنه يجوز للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن مطلقاً بلا حاجة.

وقال آخرون: إنه يحرم عليها أن تقرأ القرآن ولو كان لحاجة.

فالأقوال ثلاثة والذي ينبغي أن يقال هو: أنه إذا احتاجت إلىٰ قراءة القرآن لتعليمه أو تعلمه أو خوف نسيانه فإنه لا حرج عليها.

س٢ : إذا اشتبه الدم على المرأة فلم تميز هل هو دم حيض او دم استحاضة أو غيره فماذا تعتبره؟

الأصل في الدم الخارج من المرأة أنه دم حيض حتى يتبين أنه دم استحاضة وعلى هذا فتعتبره دم حيض ما لم يتبين أنه دم استحاضة.

س٣ : إذا حاضت المرأة بعد دخول وقت الصلاة فما الحكم، وهل تقضي الصلاة عن وقت الحيض؟

إذا حدث الحيض بعد دخول وقت الصلاة كأن حاضت بعد الزوال بنصف ساعة مثلاً فإنها بعد أن تتطهر من الحيض تقضي هذه الصلاة التي دخل وقتها وهي طاهرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

ولا تقضي الصلاة عن وقت الحيض لقوله ﷺ في الحديث الطويل: **«أليست إذا حاضت لم تصل ولم تصم»**(١) وأجمع أهل العلم على أنها لا تقضي الصلاة التي فاتتها أثناء مدة الحيض أما إذا طهرت وكان باقياً من الوقت مقدار ركعة فأكثر فإنها تصلي ذلك الوقت الذي طهرت فيه لقوله ﷺ: **«من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤).

العصر»(١) فإذا طهرت وقت العصر، أو قبل طلوع الشمس وكان باقياً على غروب الشمس أو طلوعها مقدار ركعة فإنها تصلي العصر في المسألة الأولى والفجر في المسألة الثانية.

س٤ : إذا طهرت النفساء قبل تمام الأربعين فهل يجامعها زوجها؟ وإذا عاودها الدم بعد الأربعين. فما الحكم؟

النفساء لا يجوز لزوجها أن يجامعها فإذا طهرت في أثناء الأربعين فإنه يجب عليها أن تصلي وصلاتها صحيحة ويجوز لزوجها أن يجامعها في هذه الحال لأن الله تعالى يقول في الحيض: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢] فمادام الأذى موجوداً وهو الدم فإنه لا يجوز الجماع فإذا طهرت منه جاز الجماع وكما أنه يجب عليها أن تصلي ولها أن تفعل كل ما يمتنع عليها في النفاس إذا طهرت في أثناء الأربعين فكذلك الجماع يجوز لزوجها إلا أنه ينبغي أن يصبر لئلاً يعود عليها الدم بسبب الجماع حتى تتم الأربعين ولكن لو جامعها قبل ذلك فلا حرج عليه. وإذا رأت الدم بعد الأربعين وبعد أن طهرت فإنه

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة (٦٠٨).

يعتبر دم حيض وليس دم نفاس ودم الحيض معلوم عند النساء فمتى أحست به فهو دم حيض فإن استمر معها وصار لا ينقطع عنها إلا يسيراً من الدهر فإنها تكون مستحاضة وحينئذ ترجع إلى عادتها في الحيض فتجلس وما زاد عن العادة فإنها تغتسل وتصلي. والله أعلم

س٥ : المرأة إذا أسقطت في الشهر الثالث فهل تصلي أو تترك الصلاة؟

المعروف عند أهل العلم إذا أسقطت لثلاثة أشهر فإنها لا تصلي لأن المرأة إذا أسقطت جنيناً قد تبين فيه خلق إنسان فإن الدم الذي يخرج منها يكن دم نفاس لا تصلي فيه.

قال العلماء: ويمكن أن يتبين خلق الجنين إذا تم له واحداً وثمانين يوماً وهذه أقل من ثلاثة أشهر، فإذا تيقنت أنه سقط الجنين لثلاثة أشهر فإن الذي أصابها يكون دم نفاس، أما إذا كان قبل الثمانين يوماً فإن هذا الدم الذي أصابها يكون دم فساد لا تترك الصلاة من أجله، وهذه السائلة عليها أن تتذكر في نفسها فإذا كان الجنين سقط قبل الثمانين يوماً فإنها تقضي الصلاة، وإذا كانت لا تدري كم تركت فإنها تقدر وتتحرى وتقضي على ما يغلب عليه ظنها أنها لم تصله.

س٦ : من أصابها نزيف دم، كيف تصلي؟ ومتى تصوم؟

مثل هذه المرأة التي أصابها نزيف الدم حكمها أن تجلس عن الصلاة والصوم مدة عادتها السابقة قبل الحدث الذي أصابها، فإذا كان من عادتها أن الحيض يأتيها من أول كل شهر لمدة ستة أيام مثلاً، فإنها تجلس من أول كل شهر مدة ستة أيام لا تصلي ولا تصوم فإذا انقضت اغتسلت وصلت وصامت.

وكيفية الصلاة لهذه وأمثالها أنها تغسل فرجها غسلاً تاماً وتعصبه وتتوضأ وتفعل ذلك عند دخول وقت صلاة الفريضة، لا تفعله قبل الوقت، تفعله بعد دخول الوقت ثم تصلي وكذلك تفعله إذا أرادت أن تتنفل في غير أوقات الفرائض وفي هذه الحال ومن أجل المشقة عليها يجوز لها أن تجمع صلاة الظهر والعصر (أو العكس) وصلاة المغرب مع العشاء (أو العكس) حتى يكون عملها هذا واحداً للصلاتين صلاة الظهر والعصر وواحداً للصلاتين المغرب والعشاء، وواحداً لصلاة الفجر بدلاً من أن تعمل ذلك خمس مرات تعمله ثلاث مرات. والله الموفق.

س٧ : هل يجوز للمرضع أن تفطر؟ ومتى تقضي، وهل تطعم؟

المرضع إذا كانت تخاف على ولدها من الصيام بحيث

ينقطع اللبن حتى يتضرر الطفل فإن لها أن تفطر ولكنها تقضي فيما بعد لأنها تشبه المريض الذي قال الله فيه: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] فمتى زال المحذور تقضي إما في وقت الشتاء لقصر النهار وبرودة الجو أو إذا لم يكن في الشتاء ففي العام القادم، أما الإطعام فلا يجوز إلا في حال كون المانع أو العذر مستمراً لا يرجى زواله فهذا هو الذي يكون فيه الإطعام بدلاً من الصيام.

س٨: النفساء إذا اتصل الدم معها بعد الأربعين فهل تصلي وتصوم؟

المرأة النفساء إذا بقي معها الدم فوق الأربعين وهو لم يتغير، فإن صادف ما زاد عن الأربعين عادة حيضتها السابقة جلسته، وإن لم يصادف عادة حيضتها السابقة فقد اختلف العلماء في ذلك:

فمنهم من قال: تغتسل وتصلي وتصوم ولو كان الدم يجري عليها لأنه تكون حنئيذ كالمستحاضة.

ومنهم من قال: إنها تبقى حتى تتم ستين يوماً لأنه وُجد من النساء من تبقى في النفاس ستين يوماً وهذا أمر واقع فإن بعض النساء كانت عادتها في النفاس ستين يوماً وبناء على

ذلك فإنها تنتظر حتى تتم ستين يوماً ثم بعد ذلك ترجع إلى الحيض المعتاد فتجلس وقت عادتها ثم تغتسل وتصلي لأنها حينئذ مستحاضة.

س٩: ما حكم السائل الأصفر الذي ينزل من المرأة قبل الحيض بيومين؟

إذا كان هذا السائل أصفر قبل أن يأتي الحيض فإنه ليس بشيء لقول أم عطية: (كنا لا نعد الصفرة والكدرة شيئاً)(١) أخرجه البخاري، وفي رواية لأبي داود كنا (لا نعد الصفرة والكدرة بعد الطهر شيئاً)(٢) فإذا كانت هذه الصفرة قبل الحيض ثم تنفصل بالحيض فإنها ليست بشيء، أما إذا علمت المرأة أن هذه الصفرة هي مقدمة الحيض فإنها تجلس حتى تطهر.

س١٠: ما حكم الصفرة والكدرة التي تكون بعد الطهر؟

مشاكل النساء في الحيض بحر لا ساحل له ومن أسبابه استعمال هذه الحبوب المانعة للحيض، وما كان الناس يعرفون هذه الإشكالات الكثيرة من قبل، صحيح أن الإشكال ما زال موجوداً منذ وجد النساء لكن كثرته على هذا

---

(١)(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحيض باب الصفرة والكدرة في غير أيام الحيض (٣٢٦).

الوجه الذي يقف الإنسان حيران في حل مشاكله أمر يؤسف له، ولكن القاعدة العامة: أن المرأة إذا طهرت ورأت الطهر المتيقن في الحيض، وأعني بالطهر في الحيض خروج القصة البيضاء، وهو ماء أبيض تعرفه النساء فما بعد الطهر من كدرة وصفرة أو نقطة أو رطوبة فهذا كله ليس بحيض فلا يمنع من الصلاة ولا يمنع من الصيام ولا يمنع من جماع الرجل لزوجته لأنه ليس بحيض. قالت أم عطية: (كنا لا نعد الصفرة والكدرة شيئاً) أخرجه البخاري وزاد أبو داود (بعد الطهر) وسنده صحيح، وعلى هذا نقول: كل ما حدث بعد الطهر المتيقن من هذه الأشياء فإنها لا تضر المرأة ولا تمنعها من صلاتها وصيامها وجماع زوجها إياها، ولكن يجب أن لا تتعجل حتى ترى الطهر لأن بعض النساء إذا خف الدم عنها بادرت واغتسلت قبل أن ترى الطهر، ولهذا كان نساء الصحابة يبعثن إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ـ بالكرسف ـ يعني القطن ـ فيه الصفرة فتقول لهن: (لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء)[١].

س١١: ما حكم استعمال حبوب منع الحيض؟

استعمال المرأة حبوب منع الحيض إذا لم يكن عليها ضرر

---

(١) أخرجه البخاري معلقاً، كتاب الحيض، باب إقبال المحيض وإدباره.

من الناحية الصحية، فإنه لا بأس به بشرط أن يأذن الزوج بذلك، ولكن حسب ما علمته أن هذه الحبوب تضر المرأة ومن المعلوم أن خروج دم الحيض خروج طبيعي، والشيء الطبيعي إذا منع في وقته فإنه لا بد أن يحصل من منعه ضرر على الجسم وكذلك أيضاً من المحذور في هذه الحبوب أنها تخلط على المرأة عادتها فتختلف عليها، وحينئذ تبقى في قلق وشك من صلاتها ومن مباشرة زوجها وغير ذلك، لهذا أنا لا أقول إنها حرام ولكني لا أحب للمرأة أن تستعملها خوفاً من الضرر عليها.

وأقول: ينبغي للمرأة أن ترضى بما قدر الله لها فالنبي ﷺ دخل عام حجة الوداع على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تبكي وكانت قد أحرمت بالعمرة فقال: **«مالك لعلك نفست؟»** قالت: نعم: قال: **«هذا شيء كتبه الله على بنات آدم»**[1] فالذي ينبغي للمرأة أن تصبر وتحتسب وإذا تعذر عليها الصوم والصلاة من أجل الحيض فإن باب الذكر مفتوح ولله الحمد تذكر الله وتسبح سبحانه وتعالى وتتصدق وتحسن إلى الناس بالقول والفعل وهذا من أفضل الأعمال.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب الأمر بالنساء إذا نفسن (٢٩٤) ومسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام (١٢١١) (١٢٠).

س١٢ : ما الذي تعرف به المرأة نهاية حيضها؟

تعرف ذلك بانقطاع الدم وذلك بإحدىٰ علامتين :

العلامة الأولىٰ: نزول القصة البيضاء وهذا ـ بفتح القاف ـ ماء أبيض يتبع الحيض يشبه ماء الحيض وقد تكون بغير لون البياض فقد يختلف لونها باختلاف أحوال النساء .

العلامة الثانية: الجفوف وهو أن تدخل خرقة أو قطنة في فرجها ثم تخرج جافة ليس عليها شيء من الدم ولا من الكدرة أو الصفرة[١] .

س١٣ : ما هي الصفرة والكدرة؟

الصفرة والكدرة سائلان يخرجان من المرأة أحياناً قبل الحيض وأحياناً بعد الحيض .

والصفرة: ماء أصفر كماء الجروح .

الكدرة: ماء ممزوج بحمرة وأحياناً يمزج بعروق أي هو سائل أبيض فيه عروق فهو كالعلقة في نفس هذا السائل الأبيض[٢] .

* * *

---

(١) تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات ص٢٦ للشيخ صالح الفوزان .

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد العثيمين (ج١ ، ص٤٣٣ ، ٤٣٤) .

الخاتمة

بنيتي . . .

بعد هذ الجولة في رحاب الحياة الزوجية وما فيها من أحلام وأماني وما ينغضها من آلام وأحزان أذكر أن تقوىٰ الله وإخلاص العمل هي الركائز الأساسية لتحقيق السعادة في الحياة .

صغيرتي . .

لئن أخفقت أنا وقصرت بشيء مما ذكرت فلأنني لم أجد من يدلني ولكن ولله الحمد منّ الله عليّ بهذه التجارب التي سطرتها لك لتنير طريقك وطريق قريناتك وأخواتي المسلمات .

فأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يوفق كل زوجين ويظلهم بظلال وارفة من السعادة القائمة علىٰ طاعة الله وأن يرزقهم الذرية الصالحة التي تخدم هذه الأمة فتعيد مجدها وعزها .

اللهم اجعل عملي هذا خالصاً صواباً . . . آمين

والدتك المحبة المشفقة

المراجع

* كتاب الله الكريم
* شرح كتاب المنتقى — الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ
* فتاوى أركان الإسلام — الشيخ محمد الصالح العثيمين
* الشرح الممتع على زاد المستقنع — الشيخ محمد الصالح العثيمين
* أفراح — الشيخ أحمد عبدالعزيز الحمدان
* التقصير في تربية الأولاد — الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد
* مذكرة للتربية الإسلامية — الشيخ عبدالعزيز العقيل
* الزوجة ـ سري — الشيخ أحمد القطان
* سري للنساء فقط — الشيخ أحمد القطان
* أسرة بلا مشاكل — الشيخ مازن الفريح
* مجلة المجتمع — العدد ١٤٩٠ ١٠/ ١٢/ ١٤٢٢هـ
* مجلة الدعوة — العدد ١٨٣٧ ٢٨/ ١/ ١٤٢٣هـ

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
إهداء	٣
شكر	٤
مقدمة	٥
الزهرة تتفتح	٧
الخطبة	٧
الزواج	١٠
ما قاله الشيخ القطان في كتابه سري وللنساء فقط	٢١
العبادة	٢٨
عند هبوب العواصف	٣٣

الأبناء ٥٠
دعاء الأطفال ٦٠
بعض الأحكام الفقهية الخاصة بالمرأة ٦١
في فتاوىٰ في الحيض ٦٧
الخاتمة ٧٧
المراجع ٧٨
الفهرس ٨٩

in. 4
cm 10